

لوحة الغلاف :

الخوة في الكفاح

للغنانة جاذبية سرى ..

فنانة شفت بكفاحها الذاتي الطريق إلى الصوفى الأول بين الفنانين المصريين المعاصرين . تلقت مزيجاً من الدراسات المعهدة والدراسات الحرة في مصر والخارج ؛ وتدرجت في وظائف التدريس حتى أصبحت من سائدة التصوير بالمعهد العالي للفنون الفنية . ولكن روحها ما زالت عاتقة بأحبها ، ظفولتها وذكرياتها ؛ وما زال فيها رغم ما اكتسبته من خبرات الأداء التشكيلى لذكارات من تطلعا إلى أعمال الفنان الشعبى التى تغلغل وأجدها البيوت القديمة ؛ غير أن لغزها تمثلت في مزج هذا الصير الشعبي بالكوان شرقية كعب وصياغة معاصرة تشبه عنونها الهندسى واحساسها بمقتضيات المعاصر فى التصوير .

فى أعمالها التى سبقت رحلتها الأخيرة إلى أمريكا - لوحة الغلاف بينهما - يتمثل حلمها باللوحات الجدارية ؛ وتمرداً على نطاق اللوحة الصغيرة ..

وهي فى مسار خطها التشكيلى تغنى بالقسمون الاجتماعى لحياة الشعب وقضاياهم .. تبقى قلبها حزناً من أجل التوبة الفارقة واهتزت بملاعب الطلوة والفراخ ؛ وصرخت مشاعرها مع العدوان ومجند أخا الكفاح الذى جمع الشعب فى مواجهة الاستعمار .

برغم تحرر فنها من قيود القوالب القديمة فانتك تلمع فى بنائها الهندسى .. فى تلك الخطوط التى تسودها كما يبدو فى لوحة الغلاف وفى خصائصها اللونية ؛ وفى سمات نسيجها العام ؛ تلمع فى ذلك كله رواسب ثروات تعاضد من اللوحات الجدارية حتى يرقى اللون الفن الإسلامى وزخارفه .

الناس قبل الطبيعة هم الهامها المباشر ، ومن خلالها حققت تعبيرها الذاتى وقدرتها على مشاكله الأحداث العامة .

من أجل هذه السمات الميزة تلقى أعمالها الإعجاب حيثما عرضت فى المعارض الدولية ، وفى معارضها الخاصة بمصر والخارج .

الزهرة - للمثال أحمد عثمان

فى مجموع إنتاج كل فنان تبقى بين أعماله صفوة تمثل ذروته وعلامات الطريق الذى شقه . والمثال الزهرة - للمثال أحمد عثمان من صفوة أعماله التى لم يكن رافضاً للفنية .. بل تجسيد لافسانته إلى النحت المصرى المعاصر ، تمثلت فيه فى التصنيع التحدى مع حاسة الخرفية لم تلتصق النحت تعاضد كونه ، بل هى عنصر مكمل له .. ولقد حقق به صيغة تشكيلية تتواءم مع تلك البنية فى النحت المعاصر فاعترنا على نحو ما يتمسك بالصور الكبير محمود سعيد .

ظهر أحمد عثمان فى حياته الفنية مع جبل النحت الثانى فى الثلاثينيات ، واستطلع بدور الفلم إلى جانب دوره كتمثال ، بل إن حماسة للدور التعليمى حجب عن الإبداع الفنى كثيراً من قدراته ، فلقد ظل عشرين عاماً رئيساً لقسم النحت بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ؛ وما زال منذ عشرة أعوام عميداً لكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية التى أسهم فى إنشائها وما زال قواعداً فى النهوض بها وتطويرها .

ولكن أحمد عثمان ظل يواصل مساره الفنى فى تماثيله ، وفى لوحات النحت الجدارى بالبنى العامة ، فهو فنان من حياته القدرة على هذا النوع من النحت الذى يطالغنا فى أعماله المشتركة مع زميله المثال منصور فرج بمداخل حديقة الحيوان ، وببشرى معتقة لصر الفنية .

ولو أنتمت له القروى مزيداً من التفرغ الفنى لاستطاع أن يواصل تياراً حداثياً كان فيه النحت قريباً من المعمار ، ولأثرى الرؤية بمزيد من الأعمال الفنية الجدارية فى مبانى العامة .. تلك الأعمال التى تتطلب سلامة الإدراك التحدى مع العماسة الزخرفية والتناسب بين العمل الفنى والبناء ليتعق بين الفنون ما يتطلع إليه من لقاء حميم .

بدر الدين أبو غازى

الإشتراك السنوى

١٠٠ قرش صباغ فى مصر والسودان

١٥٠ قرشاً فى الخارج أو ما يصاد لها

إدارة المجلة ٢٧ شارع عبدالغنى ثروت

تليفون ٤٩٦٨٩ بالقاهرة

المشرف

الفنى

سكرتير التحرير

كمال ممدوح حمدي

محمد سامى فريد جمال عزام

ترسل الاشتراكات إلى قسم الاشتراكات بإدارة المجلات ٥ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة



من بعيد !!

حسين ذوالفقار صبرى

٢

الثلاثاء ٦ يونيو

بيونس آيرس ، حيث ينتظرني وزير خارجية الأرجنتين في الخامسة من مساء اليوم نفسه . وكانوا قد أبرقوا إلينا بذلك .

هاجمتني جموع الصحفيين والمصورين في أروقة وزارة الخارجية تسد على المنافذ ، وأصررت على ذلك على ألا انطلق بحرف حتى أنتهى من مقابلي لوزير الخارجية .

تقدمت مدير المراسم يشق طريقه بصعوبة بالغة ، بينما أحاط بي من شمال ويمين رجال الشرطة العربية المكلمان بحراستي ، فالأرجنتين هي موطن الطائفت اليهودية بأمریکا اللاتينية ، أضخمها حجماً إذ تناهز نصف المليون ، وأقواها نفوذاً إذ قوامها الاثرياء من يهود ألمانيا الذين فتح أمامهم هتلر باب الهجرة حين تولى الحكم - كذب من قال انه أعمل في اليهود قتلًا في سنه الأولى ! بل انه فتح لهم الابواب على مصاريحها حينذاك ، أما من اختار منهم البقاء فاما عن رغبة أو سعيًا الى غرض ، ولكنها قصة أخرى طويلة .

يهود الأرجنتين ، كما لاحظ الرئيس الأسبق فرونديزي - حين اختطفوا ايخمان - دولة داخل الدولة ، كلا بل دولة تغفلت الى أدق تفاصيل الدولة فسيطرت عليها من داخل .

وربما كانت أجهزة الامن - كما لمست في زيارتيين سابقتين - هي الوحيدة التي قاوم رجالها ذلك التطفل ، إذ لا يكاد يمر بهم يوم دون أن يضعوا أيديهم على عصاية تهريب او وكس للتفريز بالفتيات - بضاعة تصنّدر لبيوت الدعارة حيثما تكونون - أو أن يكشفوا عن تلاعبات

تعاشيت أن أعقبه مع فريد ابي شادي أي حديث عن المعركة الدائرة هناك على حدود الوطن البعيد ، كانت أنباء الليلة الماضية قد أسبغت عليه سكينه من تفاؤل ، تعلق بها قلبه المقعم بالإيمان فلا يفرط فيها ، في حين عاد وتملكني حذر طبع به فارفض الاطمئنان الى مالم يقطع به بعد يقين .

وددت لو أن السيارة طارت بنا الى الطابق فاقابل فتيجا فعمته ولا شك آخر الأنباء أن نحن فتائهم عاجزون عن نيك الطلاس التي تفرح بها أذنانا رطانة الاذاعات .

نزلا من السيارة الى دائرة تسعى إلينا في وجوم ، أين فتيج ؟ وبرز إلينا كاسف الوجه لا ينطق بحرف الا أن ابتدرته بالسؤال .

« الاخبار سيئة بعض الشيء .. » ثم تدارك يقول : « ليست على ما يرام ، أعلن اليهود سقوط العرش ، ولكن البلاغات المصرية تؤكد بأن القتسال ما يزال دائرا هناك وأنه بالغ العنف .. وفي الجبهة الاردنية سقطت جنين .. » وكان فريد حبيب ، سفير لبنان ، قد وصل لتوه فأنضم الى الحلقة الصغيرة المتنفة حول فتيج ، فلوى رأسه وقد اكفر وجهه ومط شفثيه غير مصدق ثم أفلتت منه كلمة وحيدة : « جنين ؟ » ، صدرت خافتة هامة لثقل ماكانت تنوء به من مشاعر .

وانفض الجمع إذ تكررت المناادة علينا بالحاج ، وهرونا الى الطائرة وقد أوشكت على الاقلاع الى

وأفضت في تعديد الشواهد على ثبات أمريكا المبيتة ، منها ترحيل المخابرات قبيل نشوب القتال ، ومنها تحركات الاسطول السادس المربية ، ثم ذلك الجسر الجوي الذي لم تنقطع علاقته بين إسرائيل والقواعد الأمريكية بالمنطقة وخاصة تلك التي في «هوبس» بليبيا ، كما اشرت الى المحاولات المفضوحة التي التجت اليها سفينة نقل أمريكية بغية تعطيل الملاحة في قناة السويس .

واستطردت أقول : « اننا نبغى السلام ولكن ليس أى سلام ، فلا سلام الا اذا ارتكز على قواعد وطنية من عدل تراعى فيه حقوق الشعوب ، واننا نرى أن الدول الاعضاء في مجلس الامن ، ومنها الأرجنتين ، تحمل على كاهلها واجبا مقدسا ، الا وهو شجب التدخلات الاجنبية في المعركة وخاصة من قبل الدول العظمى ... »

قال الوزير قد اقبل على بحواسه ، تشف لسماته الطلقة من سقاء طوية وخلق ردى . فتجسرت على الغرض الضالعة ، هذا السلام الفصح زخر رجال على استعداد للانتقاء بنا . ولكن نجعلهم فلا نسعى اليهم الا حين نسامع اسرورا ، وهيهات ان تنسج الدقائق بسيد جوار من تفاهم ، انما هي في حاجة الى دعائم لانرسى روسيها الا من خلال العمل الدائب المتصل عبر السنين .

سارعت مرة الى الأرجنتين ابان أزمة مياه حوض الاردن ، ضمن جولة بدأتها بزيارة عدد من بلدان جنوب شرقي آسيا ، تابعتها الى اقاصي المحيط الهادى حيث استراليا ونيوزلندا ، ثم قفلت منها عبر أمريكا اللاتينية فآزور سبعة من بلادها .

ولكنها منطقة أصمليها حين كانت تتوق الى اتصال فتنبذد الشكوك التي ساورتهم عندما اسيء تصوير موقفنا من حكوماتها في ضوء من قرارات مؤتمر القارات الثلاث ، كانوا يطمعون الى كلمة منا ياتيهم بها رسول ، ولكنا أدركنا لهم ظهورنا وكفاهم ما قيل لسفرائهم في القاهرة !

أقنعنا سفراءهم فعلا ، واضطلع هؤلاء بدورهم بمهمة اقناع حكوماتهم - هذا كله على

مالية تحت ستار تصفية اعمال او اعلانات افلاس مختلفة ، او ان يقموا على شبكات ايتزاز قوامها «بلطجة» وقحة او اندية ميسر مرفهة انيقة ، ويؤوس الشر فيها جميعا يهود او واجهات تستر من خلفها يهود .

ولكن ألا تزال اجهزة الامن على تفتائها هل امكنتها الاستثمار في الصمود ، ام ان نفوذا صهيونيا ما قد تسرب اليها آخر الامر ؟ تساؤل لااستطيع الاجابة عليه ، فان زيارتي هذه الاخيرة لم تهيم لي فرص استطلاع .

اقبل على «كوستا منديسى» وزير الخارجية باش الوجه بصافحنى ، وتمتيت لو ان اتبحت لي فرصة اللقاء قبل ذلك بشهور ، قبل ان يتمكن الامريكان من استغلال الازمة الاقتصادية فيفرض على الحكم مستوزر دعما مكانته بقرض ضخم ارتفع الى عشرات الملايين من الدولارات .

قبل ذلك كانت حكومة الأرجنتين متجاهلة الاتجاهات ، وطنية في مساعيها الى الحلول . اما الآن فقد اخلت موازينها بعد ان أصبح للامريكان موطئ قدم داخل مجلس الوزراء . وباله من موطئ قدم وطيد لا يمكن ان يتجاهله او الاستخفاف به .

كانت الجملة الافتتاحية «اباه» قد علقت بلساني فلا اجد منها بدلا ، وانها لمدخل الى الحديث على اى حال ، ولكنى ماكدت انطلق بها حتى قاطعنى الوزير : « بل انى اعتقد ان مهمتك لا تزال كما هي ، مهمة سلام في المقام الاول » .

وسألته : « كيف بعد ان ألقت أمريكا وبريطانيا بثقلهما في المعركة ؟ » وأسهب في اضاء نقاصيل من عندي ، استنتجتها استنتاجا من تلك الانباء المقتضبة التي التقطتها سفارتنا من اذاعات القاهرة عن التدخل الجوي الاستعماري ، وأرى الآن انى لم اجاب الحقيقة حين اكدت ان القوات الجوية الاسرائيلية نفسها قد طعمت بمشأت من المتطوعين اليهود اوفدوا على عجل على متن الاسلحة التي تدفقت على اسرائيل من القواعد الاستعمارية المحيطة بنا كيشتركوا في القتال .

ولكن مهلا، وعود بنا الى أزمة قرارات مؤتمر القارات الثلاث ، فهل اقتنعت فعليا بحكوماتهم بالتفسيرات التي قدمت الى سفرائهم في القاهرة؟ أو لم يترك الموضوع بعض مرارة في النفوس أو على الأقل بعضا من شكوك من حيث نيائنا فنوازر حركات تصدير الثورات من خارج وإثارة القلاقل والاضطرابات على حساب ما نعلن من تمسك بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ؟

بقى مساء السبت ، الثالث من يونيو ، وأحداث العدوان ما تزال في طي من غيب ، اتصل بي سفير الأرجنتين بالبرازيل يخبرني بأن المسؤولين في بيونس آيرس يودون لو أتيحت لهم فرصة مناقشة موقفنا من قرارات مؤتمر القارات الثلاث ، فتطمئن قلوبهم في ضوء من الاتصالات التي أجراها سفيرهم في القاهرة .

تأهيت إذن لمناقشة الموضوع إذا ما أثير ، وأثقا من أنه ولا شك سوف يثار ، ولكن كياسة وزير الخارجية أمام ظروف العدوان رفضت أن تلمح إليه ولو من بعيد ، إنما أنا الذي أشرت الى تصريح مؤسف أطلقه منذ أيام مكتب لنا في دولة مجاورة ، عقدت فيه مقارنة لا معنى لها بين مشاكل المرور في مضايق بتران من ناحية و « بيجل » من ناحية أخرى ، فلم يكسروا تعاطفا من شئ كانوا يسمعون إليه ، وإنما في غفلة من تقدير البوا الأرجنتين علينا ، والبحرية الأرجنتينية على الخصوص ، وهي المتفردة عن زميلتها قوات الجو وقوات البر ، إذا مسها سنان قول تطيرت الى سورة جامعة ، فهي الى الغضب والغضب مسرحية ، فكيف بها والموضوع من صميم اختصاصاتها ، قيمة عليه ، وأيها فيه فرض لازم على مستويات الدولة جميعا .

وكان صالح محمود ، سفيرنا بالأرجنتين ، قد سارع فيؤكد لهم أنه تصريح لا يعكس رأينا الرسمي ، فهذه النفوس قبل أن ينزو بها شر ، وإن ترسبت عنه في القلوب ولاشك بعض حفيظة .

وأي وزير عن كياسة مرة أخرى ، أمام ظروف الحرب الدائرة على حدود بلادنا ، إلا أن يشعر بأنهم قد وجدوا في تأكيدات سفيرنا كفاية تفسير ، ولكنني كنت أسعى لمحو أي أثر لذلك التصريح

الصعيد الرسمي خلف أبواب مغلقة ، فهي اتصالات لا تروى الا بعض غلة ، إذ أن الدعايات الاستعمارية والصهيونية انتهرت الفرصة فأليت الرأي العام علينا مما دفع ببعض الحكومات على التلويح بقطع علاقاتها معنا ، قلو أن رسولا خاصا أوفد اليهم وقتذاك من القاهرة - أي رسول - فتنايع الصحافة أخبار اتصالاته ، لكن هذا وحده كفيلا بتبديد الكثير مما علق بأذهان العامة ، فإن شعوب أمريكا اللاتينية ، ورجالهم في الحكم قبل شعوبهم ، عاطفيون ، أنهم أحفاد الأسبان الذين اختلطت دماؤهم وتشابكت أمزجتهم بدماء العرب وأمزجتهم خلال ثمانية قرون أو يزيد .

ثم أنها دول لها حساسية خاصة ، كثرتها العددية فرضت على المنظمات الدولية استخدام الاسبانية لغة رسمية ، على قدم المساواة مع تلك اللغات الأخرى الثلاث - بل الأربع ، فلا تتجاهل الصينية وإن كانت قد أدخلت بالوكالة على أكتاف حكومة تايبان العميلة - تلك الكثرة العددية خلفت لدول أمريكا اللاتينية مكانة تنافس بها الدول العظمى ، ولكنها مكانة عاقلة بعرض دون جهر ، فهي أبدا متعطفشة الى مظاهر تقدير شعوبها ، فإذا ما أبدت دولة لها وزنها ، كما كانت حال مصر قبل الخامس من يونيو - ملاحظة أنسبها الى واقع ماض ، فلا بد لنا من مواجهة الواقع المرير ، نعم أن النكسة قد أصابت أيضا من مكانتنا الدولية - إذا كانت مصر قد أبدت وقتها اهتماما لمعجزت إذن وسائل السيطرة الامبريالية على جبروتها عن أن تكبت فورة المشاعر التي تحركها في كوامن نفوسهم تلك الاستجابة الغورية تجاه موضوع أضيق عليه بالنسبة لهم إبعاد قارة ومصرية .

ثم أن الخلافات التي استمرت بين دولهم لمئات السنين دفعت بأبحاث القانون الدولي عندهم الى ذروة من عمق وشمول ، فصار لهم في هذا المجال أساطين ، ومن اليسر لمن كان على حق أن يكسب منهم أعدادا الى جانبه ، وخاصة إذا طرحت القضايا على مهل عن طريق مداومة الاتصال ، وليس اعتسارا في أوقات الأزمات ، وإن أصوات أولئك الثقاق لتتجمع بوزن لا يجرأ ساستهم ، مهما تعرضوا الى ضغوط ، على تجاهله تماما ، فهو المجال الذي يتأكد لهم فيه عن غيرهم تفوق وصيت وعلو شأن .

وارتفعت موجة من لفظ «ومال مدير المراسم
يهمس في أذني ألا جدوى طالما انتقد المترجم من
الاسبانية واليه ، ونظرت اليه بعين ساهية ، انه
لا يريدني أن أتكلم اذن ، واستنهدت نفسي ،
قلدي الفاظ هي حصيلة رحلات سابقة ، وخاصة
تلك الاولى عام ١٩٦٠ ، حين زرت خمس عشرة
دولة جميعها ناطقة بالاسبانية فيما عدا البرازيل ،
لازمني خلالها الدكتور حسين مؤنس فكان لي خير
ملقن ، حتى انه توسم أن ساواظب ، فضحك من
نفسى حسرة ، واشفاقا عليه اذ خيبت طنه ، حين
أرسل الي منذ عام أو يزيد نسخة فاخرة تضم
أعمال «جرتيالوركا» ، فلم اقرأ الا كلمة الاهداء
الرقيقة التي خطها صديقي مؤنس على البطاقة
المرفقة .

ولكنى اندفعت اتكلم ، قبل أن يشلني شعور
بمقصود عن مواجهة الموقف فيرتج على .

اندفعت ولكن بلسان مجحل ، اتصيد الكلمات
فلعل بها اذ انتشلها واحدة بعد أخرى من أغوار
ذاكرة أجنة ، حتى انفكت العقدة فقد ازمنت
وصممت .

تكلت مع الوزير .. على .. حول
الموقف في الشرق الاوسط .. هناك صعوبة ..
التي عطلتني في الرد على الاسئلة .. ولكن ..
ولكنى سوف التى عليكم تصريحاً .. تكلت مع
الوزير عن .. عن ظروف الحروب في الشرق
الاوسط ، بلادنا لتعرض لهجوم جوى ثلاثي ..
كما حدث خلال عام .. عام ..

وافلتت منى الارقام فلم أجدها : « كمسا في
العدوان في حرب السويس .. »
وقاطعتني سائل : « هل تعنى أن فرنسا قد
اشتركت ؟ »

« كلا .. قلت عدواناً مماثلاً .. كلا ليس
فرنسا ، انما أمريكا الشمالية وبريطانيا ..
الطائرات شمال الامريكية » - فاللاتين يرباؤون
بكلمة «أمريكا» متجردة عن أن تكون علما تحتكره
الولايات المتحدة لنفسها دون غيرها من دول
الامريكتين - « الطائرات شمال الامريكية
والبريطانية بادرت بالهجوم الجوى علينا .. وهي
مستمرة في ذلك ، بل انها الآن فوق القاهرة .. »

المؤسف ، فقلت أن تعليماتنا الرسمية لا توى
عقد مقارنة بين مشاكل خليج العقبة وبين أي مشكلة
أخرى ، اللهم الا فيمسا يختص بتلك الجوانب من
مشكلة خليج « فونسيكا » ، التي وجدت لها
العبرة القانونية اللاتينية حلا سليما .

وأبدى الوزير اهتماما بالغا حين عرضت لأوجه
التشابه بين المشكلتين ، واستحجنتي الى مزيد من
معلومات عن وضعية خليج العقبة ، جغرافيا
وقانونيا ، واستوقفتني طويلا اذ شرحت له كيف
اغتصبت اسرائيل قرية أم رشرش، متحدية بذلك
الزعامات الهدنة ، فاقامت على انقاضها وجودها
في الخليج ، ثم وعدني في النهاية بأن يهدد لقايلتي
لرئيس الجمهورية ، فيعرض عليه تفاصيل ما جرى
بيننا من حديث .

وكيس على الصحفيون فقد كانوا يباب الوزير
مرايطين ، حلقة متراصة قد أحكمت من حوى ،
وعلى الأجناب نفر اغتسلوا المساعد كيصيون من
مصاييح اضاءة تليفزيونية أو سينمائية وصحبا
خاطفا سدر له بصري ، لولا تلك الوضيات المعلقة
من آلات التصوير . متواترة ههنا ومعلقة ههنا
آخر ، فالج مع رجح الاضواء اللطيفة وقد رنعت
بطول وعرض في تلك الكنتا البهريّة الملاحية
بعضها قد جثا أصحابها أو ارتكزوا ، وآخرون قد
أشربوا بها يتشوفون أجهزة تصوير علقت
بأطراف ممدودة الى اعلى ، وبين بين متناثرة على غير
استواء ، باختلاف قامات اصحابها ، وجوه مشدودة
الى في تطلع ملهوف ، بينما تصطبخ الحناجر
بوابل من كلام ، تداخلت مقاطعة مع تناثر في
النبرات الى ضجيج لا يبين ، تضطرب معه في
عشرات الايدي وريقات تحفرت من فوقها أقلام قد
شمذنت فاستلت .

وأفرعت من قامتي ، متصنعا الهدوء ، شاخصا
ببصري عبر حدود المكان كأنما استشف به الى
بعيد ، وأرخيت من أطراف شفاه ربا علقت بها
آثار زم سابق فاسكن بها الى ابتسامة خافتة ،
وخمدت اصوات الجلبة رويدا حتى همدت أو يكاد
الا من همهمة أو بضغ همسات .

« هل مخاطبتكم بالانجليزية أم بالفرنسية ؟ »

رأيها خلال الأزمات، مجرد أنها سارعت فأصبحت
بزماء المبادرة ، بالنسبة لمواضيع معينة ، لم تثر
لسبب أو آخر اهتمام زميلاتها - أو بالأحرى
غريباتها - فهي اذاك لا تبالي .

ولكن الذى يجمعهم آخر الأمر هو بغضهم
للحركة « البيرونية » ، أو هل يصيبهم اذا ما لوح
لهم النفوذ الأمريكى المتفعل باحتمالات خطر
شيوعى مزعوم فيما يظهر من اتجاهات تقدمية هنا
أو هناك أو حتى حين تبرغ نوازع الى اصلاحات
اجتماعية .

ومن خلفهم جميعا كتلة صلبة من ضباط
البحرية ، لا يتحركون - رغم حساسيتهم
« الاشتغالية » - الا بحسب وفى الوقت المناسب ،
كما حدث عام ١٩٥٥ حين أقنع الاميرال روخاسب
بسفينة حرب قديمة ، من مدينة « ماردل بلاتا » ،
على مئات الأميال من العاصمة ومينائها ، فذعر
الرئيس بيرون - وقد تم له عزل مراكز ثروة
القوات البرية تمهيدا للقضاء عليها - وهرع مبرولا
« ديله فى اسنانه » ، لاجئا سياسيا الى سفارة

البرازيل .

أقبل على كوستا منديس وزير الخارجية
بوجهه الصبح ، مارا بقاعة الانتظار فى طريقه
الى مكتب رئيس الجمهورية ، ان هى الا لحظات
والحق به ، قالها وكأنا يتأسف اذ يسبقنى فيجور
على دقائقى من حقى ، وقد أرف موعدى مع
رئيس الجمهورية .

واستقبلنى الجنرال اونجنيا بنظرة صافية ،
ثابتة لا تريم ، تتم عن ثقة واستقرار نفسى ، كما
يضع أيضا من قسماته ، فلا شد أو زم ، والما
أسالة بشرة اديمها صراح .

هو صديق حميم لرئيس البرازيل ، ولكن
شتان بينهما فى المظهر على الأقل ، بل لو لم
أقابلهما فأبرزت الى صورتاهما فاحزر وأفز ،
لجزمتم بأن « كوستا اسلفا » هو رئيس الارجنتين ،
اذ تتجسد فيه تلك اللامع التى اعتبرت سمات
بارزة لفرسان « البامباس » ، فهو « الجوشو »
الامثل ، الا من حيث بعض بدانة أو ترهل ، أما
اونجنيا فهو اى رجل أعمال شاب ، ميسور العيش

ونطرت الى ساعتى : « قاذفات ثقيلة ، لاتلك
مثلها اسرائيل ، بدأت تضرب القاهرة حين انتصف
الليل هناك ، أى منذ ساعتين » . اننا أمام عدوان
ثلاثى تشترك فيه دولتان كبيرتان مع اسرائيل .
هذا ما أستطيع أن أقوله لكم الآن ، وأشكركم .

« هل تقابلون رئيس الجمهورية ؟ »
« سؤال يوجه الى وزارة الخارجية » قلته وأنا
اتحرك الى امام بعد أن بدأ رجلا الشرطة السرية
المكلفان بحراستى فى شتى الطريق فتداعت
صفوف الصحفيين والمصورين الى شمال وإلى
يمين .

ولم نجد فى السفارة أنباء جديدة ، آخرها كانت
تلك التى وصلتنا قبيل الموعد المحدد بينى وبين
وزير الخارجية - قبيل الخامسة مساء بتوقيت
الارجنتين ، أى منتصف الليل هناك فى أرض
الوطن البعيد - والتى حملت اليها ذلك الخبر عن
تعرض القاهرة لاغارة جوية ليلية .

الأربعاء ٧ يونيو :

تهادت بنا السيارة الى المدخل ، لا محالة
روساد - « القصر الوردى » - الذى تألف من ثلاث
لهذا المكان حيث المقر الرسمى لرئيس الجمهورية ،
قابلت فيه « فرونديزى » عام ١٩٦٠ و « اليا »
عام ١٩٦٤ ، وميمادى اليوم مع الجنرال اونجنيا ،
الذى اعتبر وقتا ما قائد الجناح « الناصرى » فى
الجيش الارجنتينى ، ذلك الجيش الذى كان دائما
القوة الحقيقية وراء الحسك وما يزال ، رغم
الانقسامات العنيفة التى تميزه ، والتى كادت أن
تتردى بالبلاد الى الحرب الاهلية فى بعض الظروف .
فينقسم الجيش عندئذ على نفسه الى « ذرق »
و « حمر » - وليس هؤلاء بشيوعيين بل ان البعض
ليعتبرهم يمينيين متزمتين ، انما هى تسميات
يستعملونها من الاعلام التى ترفع فى « لعبة »
المناورات - ثم هناك تنظيمات سرية تقيده بخلاياها
الى أدق الحنايا ، أهمها الثان ، « الحضر » وجماعة
« الفوريلا » ، هذا عدا « شلل » فى القوات الجوية ،
ملتفة حول افراد ، متناحرة فيما بينها ، قد تنجم
احداها - وان لم تكن الأقوى عددا - فى قرض

علينا في محاولات تربص أو اقتحام ، بل وأن
أربط بين الأحداث وجذورها العميقة منذ أن
اغتصبت الصهيونية أرض فلسطين ، فانتهكت
الحقوق ثم تنكرت لما تعهدت به على نفسها أمام
العالم من حيث اتفاقيات هدنة تحولت الى
قصاصات من ورق تذرورها رياح الاطماع
التوسعية .

وتكلم أوجينيا فاوري بأنهم على اتصال
وثيق مستمر بالبرازيل ، زميلتهم اللاتينية في
مجلس الأمن ، يعدون معا مشروعا مشتركرا
يستهدفون به اقرار السلام قبل أن يستفحل
النزاع فيتطور الى حرب عالمية .

واقاطعته قورا : « ليس أى سلام والا فهو
استسلام ، واننا على أسس من عدل ، وشجب
لتدخلات الدول الكبرى .. »

« نعم .. نعم .. » اننا نتدارس الامر مع
أخواننا البرازيليين من حيث جوانبه جميعا ،
ولسوف يكون مندوبنا في مجلس الأمن تحت
عزفكم فيما يعن لكم من آراء ، فأرجو أن يظل
وفدكم هناك على اتصال وثيق به ، كما أرجو أن
تعملوا على انقضاء عهد الناصر عتيق شكرى
لمباديته هذه ، وليس مثل الاتصال الشخصى عاملا
فعالا في توضيح الأمور وشرح ما يلابسها من
أسباب ركام الخفيات علينا لبعده المسافات وندره
الاتصالات ، ثم اننا أقرب اليكم مما تظنون ،
فقدنا جالية عربية هي محل كل تقدير .. »
وشعرت على الفور أنه ود لو راجع نفسه ،
ان هي الا وقفة خاطفة ، ولكنها عند هذا الرجل -
المسيطر سيطرة شبيهة مطلقة على خلجات جسمه
ونبرات صوته وتواضع حواسه - كانت تعنى
الكثير ، وسارع بصل الكلام ببعض : « وانها لمحل
تقدير لانها تقدر أيضا « ارجنتينيتها » ، فهي
بيننا وبينكم خير رباط .. »

وكنت قد سمعت عن مخاوف أبلديت في بعض
الايوساط من أن يتحرك أفراد من الجالية العربية
متظاهرين ، فتتصدى لهم الجالية اليهودية بالمثل
فتقع بينهم مصادمات ، ولكنى كنت بتخاذل رؤوس
الجالية العربية في الارجنتين علما ، فكم من
اتصالات دارت ، كلما يشهد أوار الدعاية
الصهيونية ، مع رجال الاعلام ، ومع القائمين على

في حفلة من وظيفة قيادية مستقرة ، لا يقض صفو
بale اعتماضا مشاكل ، فهو مدير لمصرف يهيم
به على شئون المال في مدينة هادئة ، أو صاحب
مصنع للروائح العطرية أو غيرها من الكماليات
عالية الأرباح مضمونة التصريف .

ولكنك لو وقفت على تاريخه ..

بل ان رئيس البرازيل يبرز أيضا الرئيس
الارجنتينيين السابقين من حيث السمات التي
صورت علما على الأرجنتينى كما يجب أن يكون ،
ولذكرت فرونديزى بوجهه اذ يستدق من جهة
عريضة الى فكين طويلين تحيلين وذقن لا تكاد
تبين ، ومن خلف نظارته عينان لا تكاد أن تستقران
- تلعب في صورة انسان - وقد كان فعلا داهية
مكبرا ، متحرسا في أساليب المداورة والمحاولة ،
ولذكرت فرونديزى بوجهه اذ يستدق من جهة
ثم « اليا » ذلك الشيخ الطيب النحيف ، انحنى
ظهره فهو صورة لطبيب القرية ، حلب على أهلها
رؤوف بهم ، يحار أمام صفوف الملأ التي تهب
بها مدينة العصر الحديث ، فلا يجد لها تلميحيا
فيركن الى ايمان لا يتزعزع بأن دواءها جميعا انما
في مزيد من عطف ، طريقا الى ثقة ثم طمانينة
نفس ، فلا شك أن سوف تهتجيب السماء آخر
الامر فتسبغ عليهم من لذة الوسخة وضوئها .

جلس أوجينيا قبائلى فلا تطرف له عين ،
بل وما من خلجة تنم عن أنه يصفى فعلا الى ما
أقول ، ولكنى ما أكاد أنوقف عنيفة حتى اشعر
وكانما عيتاه تستعجنانى الى مزيد من شرح
وتفصيل ، أهو يريق غامض ، أم فحة تضفى
على الهدنة مزيدا من عمق واتساع ، فينجذب لها
لسانى .

ومضيت فلم أترك جانبا من جوانب القضية
الا وعرضت له ، وكان قصارى أمل أن تناح
الفرصة قافضح دور أمريكا وبريطانيا في تدخلهما
الجوى لصالح إسرائيل ، وما ترتب عن استمرار
دعمهما الجوى للعدوان من قطع علاقاتنا مع أمريكا
ومن اغلاق القناة بعد ضرب تكرر لبعض السفن
المارة بها ، ولكن رئيس الجمهورية اذ أفسح لى من
وقته واهتماماته هيا لى أن أربط الأحداث بأصولها
القريبة منذ أن ألتقت المغابرات الأمريكية بثقلها

توق الى مباحة أو مكايبة من حيث رشاقة أو جلال
أو علو ثراه ، فان لبعضهن مآرب أخرى ..

حاصرني خمس أو ست ، واحدة يزتهن
جميعا أسلوبا وجراة مقلقة بمكر لاشك انها
تمرس على ، هي بضمة رخصة رطية ، عينها
الحضراوان تسميانك طهرا وبراة ، اخترعت قصة
عن ابن عمومة لها لاشك وانى اعرفه ، فهو ضابط
سورى انتقل الى ميدان السياسة ، كثير الترحال
الى القاهرة ، ولكنى لا اذكره ولا اعتقد انى رأيته ،
ولكنها تلح على أن اذكر فيخفت صوتها الى نبرة
من توسل هاس ، وتنادو وهي تتكلم فتستل
الى امام حتى أكلت المسافة التي بيننا ، وأصبحت
انفاسى تداعب جيدها ونحرها ، واكتافها العارية
تعكس الاضواء كأنما بشرتها من زجاج رقراق ،
ولم تعد بى حاجة الى اختلاس النظر الى طوق ثوبها
الذى انحسر عن صدر عاجى رحيب ، فقد كيست
حتى أصبحت ملء البصر تحجب عن عيني ما
عداها ، وأنظر فاعجب كيف أن ثوبها ما يزال
معليما بلكان ، لولا أن نهد له ما ينأهده ، فهو
يعتايها جسدها لصيق ، مخزى يتلألا مع الاضواء
أذ انى صاحبتني عن الثثنى .

وبذلك الصليب عرقا وقد تملكنى الحرج ،
السيد لها زيج واين عو ، وماذا يكون موقفه اذا
ما نظر وراى ، أم انها لم تتزوج بعد ، فهي فوق
العشرين بغيل ، فأين اذن صحبتها من أب وأم
أو أقارب أدنين ؟

ولكنى كنت قد حوصرت وظهرى الى جدار
القاعة ، وصدرها يكاد أن ينأطح جسدى من يمين
وشمال ، وتلفت حولى أبغى خلاصا ولكن الجميع
عنى فى شغل شاغل وقد شدتهم تلك الاهتمامات
التي هي بعض دوافعهم الى اقامة هذا الحفل ، وإذا
كان نفر قد لاحظ ما أنا فيه فربما أن سرهم الحال
فيتخرجوا من أن يحرموني متعة لاشك انى سعيد
بها فى اسرار حلقة الانسجام المضروبة من حولى .

وفيما أنا التفت وقعت عيني على تلك الفتاة
الأخرى التي كانت الصق من غيرها بصاحبتنا ،
انها أصلى صديقاتها ولاشك ، سمره نحيفة
القوام هضم ، وإن كانت ملفوفة الأطراف ، تتابع
الحديث بابتسامة خفيفة تم عن رضا ، فان
للسداقة فروضاء أو ربما هي من اللاتي ، وخاصة

محطات التليفزيون على وجه الخصوص ، فيردون
بانها برامج تحتاج الى تمويل ، وإن الجالية
اليهودية تدفع ، وتدفع بسخاء ، فلو أن اجتماع
المفتريون ودفع الواحد منهم دولارا واحدا لغير ،
فانها عندئذ حصيله محترمة من مئات الألوف ،
كفيلة باعداد برامج لها وزن ، فإذا ما نقل الكلام
الى أقطاب الجالية العربية وقع من آذانهم « كالآذان
فى مالطة » .

ولكن أحداث العدوان نجحت فى الدفع بهم
الى الاجتماع آخر الأمر ، فتمخضت حميتهم عن
خمس وسبعين دولارا ..

صحيح ان الاجتماع لم يضم مفترى
الارجلتين جميعا ، فما كان هناك متسع من وقت ،
ولكن أقطابهم فى بيونس آيرس كان يمكنهم لو
أرادوا أن ينصبوا من أنفسهم وكلاء على زملائهم
ثم يحاسبونهم على مهل ، وربما يكون هذا ما
حدث ، بواقع « بيزو » ارجنتيني - أى ما يعادل
مليما أو يزيد قليلا - عن كل خمسة افراد . أم
انى اظلمهم ، فيبض الظن اثم ، فهو مبلغ قد
قد جادت به اريحية اعضاء الجالية بالعاصمة
وحدهم دون غيرهم ، فالحساب انى ليس بطول
وانما بعرض ، ولكم أود لو تتهللل فرحة نصيبته
معهم بعرض القفا واحدا بعد آخر .

وانه لأمر عجيب ، إذ اذكر كيف تسابقوا
عام ١٩٦٤ فاقاموا الى حفل عشاء فخيم ، استأجروا
له طابق الاحتفالات بفندق « بلازا » بقاعاته جميعا
فقصت بالمئات ، ولا أحسب أن الفندق رضى بأقل
من تلك الخمسة وسبعين دولارا لتلكه عشاء
وشراب وخدمة للفرد الواحد .

ولكنهم دفعوها عندئذ مضروبة فى عسدد
الحاضرين - ولقد نيقوا على الاربعائة - عن طيب
خاطر ، بل وسمعت انهم تباروا فى أيهم يتحمل
من التكاليف أكثر من غيره ، فهو حفل سوف
يهيى لهم دعاية وائ دعاية ، أو لسانهم على
الأقل قرصة استعراض رشاقتهن وفنائس ملبس
ومصاغ ، كما سوف يدلفن من خلاله بينانهن
اللأى على « وش جواز » الى ساحة تروج بشباب
الجالية ، ففى ان تروق هذه فى نظر هذا أو
ذلك .

ثم ان يتهنئ نسوة لا يدفعن الى الحفل مجرد

الأندية المختلفة ، كل منها يمثل ملة أو طائفة ، فتلك القواصل العقيمة مازال تلاحقهم حتى في أرض الاغتراب فتحسول بينهم وبين التماسك والاتحاد ، وتعلقت بى نظرات « الطفلة » البضة الرخصة عسى أن أومئ اليها بإشارة ربما أدت الى وصال ، واني لأبعد من أن أكون قد خدعت عن حقيقة حالي ، فلست صاحب وسامة مظهر او خلابة لسان أو مسمة من فحولة أو غيرها من صفات تهفو اليها بعض من نسوة ، ولكن الرجل اذا ما كان محط اهتمامات فان منهن من يرضى غرورها ان يعتسر من التزاماته فيفرغ اليها ولو سوعات .

ولكن أقطاب الجالية كانوا في عجلة من امرهم ، فقد انقضت علينا نحو ساعة في قاعة الاستقبال ، دارت خلالها بينهم اتصالات عمل ، فتستأنفات وعقدت صفقات او تواعدوا على لقاء ، اما الآن فالى حيث مدت الموائد ، حافلة بما لذ وطاب ، بما سوف لا أنسا به ، فاصناف الطعام هنية شبيهة بفرح بأرواح زكية تناغش جوفى ، ولكن المأدبة ليست الا ذريعة يستغلها أقطاب الجالية في الدعاية لأنفسهم جماعة وافرادا ، فالمصورون يجوبون الصفوف المتراسة متربصين ، يترصدون عليك الطعام صفة بعد لفة ، فاذا ما تجع المرء مرة فاعلم ان ذلك اللقمة في حلقه اذ ينطلق مرة بعد أخرى رنين من آنية تدق بسكين ، ايدانا يان فلانا أو علانا سوف يلقي خطابا ، فنزرد ما فى فمنا ولما تدوقناه ، بل ونمسك بانفاسنا فنضفى على القاعة الفسيحة جوا من انصات وترقب لتلك الدرر التي سوف تساقط من لسان محدثنا - وحاشا أن تكون المأدبة عجفاء فلا تحظى الا بستحدث أو اثنين ، فهم عشرات يتعاقبون واحدا تلو آخر ، ياكلون علينا الوقت أكلا فاذا بالطعام قد أروح أو تلبن فأخسر ، وتصد عنه نفوسنا وتغافه .

ولا بد للمخطيب أو الشاعر - فالحفل مسميخ ان لم يبتل بقصيدةتين أو ثلاث - ان يقف متخيلا بعض الوقت حتى تلتقط له عشرات الصور فينتقى منها فيما بعد ما سوف تتحل به صفحات مجلة الجالية ، « فالجوالى » - كما يسميها المفتربون - حريصة على ان يكون لها مجلة مصورة ، مهما كلفهم ذلك ، انها الرسول الذي

اذا كن لا يتمتعن بمسحة ملفتة من جمال ، فيجدن غبطة أو تسلية هم فى « التوفيق بين رأسين » ، ولهن فى المرام مجالات أوسع منها فى الحلال ، وأنى لها يمثل صاحبتنا ، طعما شهيا تقور له الدماء ويسيل له اللعاب .

ولكن اذ تقابلت العين فقد حذجتني فجأة بنظرة كأنها من صقر جارح واضطربت أطراف انفها الضارم كأنها قد مستها رعدة ، ثم حركة طفيفة باعدت بها بيننا وبين صاحبتها فتنتفى تبعيتها لها ، ولكن مع ذلك لا تنطق بحرف بالرغم من ان صاحبتنا قد أعياها الكلام ، ولكن الأخريات سرعان ما انتهنز الفرصة فلأن الفراغ بشقشة متصلة ، فاحاول أن التقط معنى أو لفظا ، متفلا بنظري بينهن ، فتقع عيني مرة بعد أخرى على تلك الفتاة السمراء ضامرة القوام بإهتمامها الخفيفة الساخرة ، فتلمع عيناها بذلك اليريق الفاض ، فيه التحدى وفيه تربع الصقر اذ يتحلف لانقضاض .

وكانى بها تقول : « سحرتك صاحبتنا اذ تناود وتناوه ، فان باعطاها البيئة قورة تنازع ثوبها اللصيق فيكاد أن يفتق ، ولكنها ليست الا طفلة بعد كل ، سرعان ما يجسبها قور ، ففى بعدئذ مهاد من راحة واسترخاء ، اما هنا فالدمار المتصلة اذا ما قدحت بزناد ، لهيب لا يكاد يخبو فيتأجج من جديد ، نار مستمرة ، تاكل أكلا ثم تعود فتصاعد بك الى جموح ، مرة بعد أخرى فتحار أين الغلة وأين الروى . ولكننا أمور لا يقدر عليها الا من كان من معدن ، وأى معدن . فأى الرجال أنت ؟ »

ولكن أين الحقيقة مما أقول ؟ هل يحق لى أن اتصيد طفيف عرض فاحلل وأستنتج ثم أقرر كانى بخوالج النفوس عليم ؟

أليست جميعا خطرات قد قفزت الى مخيلتى فاجسبها الى يقين ، أنها أقرب الى تمنيات مكبوتة قابضة فى أغوار النفس ، فأرمى غبرى بداه هو دائى وان كنت به غير دار ، تمنيزها لنفسي أمام نفسى .

وجاء دور الرجال اذ أؤزت ساعة العشاء ، تحرركوا نحونا فى صورة لجنة ضمت رؤسها

العروة الوثيقة التي تربط بين العالم العربي من ناحية وبين كل بلد ناطق بالآسيانية عر ذلك التراث المشترك الذي خلقه التلاحم بين أجدادنا وأجدادكم على الأرض الآسيانية خلال ثمانية قرون أو يزيد ، ترات انبثقت عنه قيم حضارية لا تزال حية حينما الغلبة للروح على المادة ، وإذا كانت بلادنا قد عزلت عن بلادكم لطول ما عانينا من سيطرة استعمارية ، فانه يجب علينا منذ اللحظة تخطي تلك المسواجز التي أقيمت بيننا قسرا فنزيلها من الطريق .

« سيدى الرئيس ، لا تحدثني عن الجالية ، فانها رباط ولا شك ولكن ما أوصاء اذا قيس بتلك القيم المشتركة التي هي الاصول الوجدانية لشعوبنا » .

وشد اوتنجنيا على يدي بحرارة وقد اعتمدت نفسه بمشاعر دافقة ، ولكن المشاعر لا تؤتي اكليا الا بعد عمل شاق طويل ، انها لا تقوى وحدها على الثبات امام وطأة الضغوط الاجنبية التي تمسك بخناق كثير من بلاد ، ولكننا نرتكب خطأ فاحشا اذا ما ادبرناها ولم نحاول ان نعملها ، فحينئذ نخلق تروابط بين المصالح المادية التي تنشئ حياة الشعوب ، واننا لنخطئ ايضا اذا حاولنا ان نصلها النتائج فينفد صبرنا ونقلب على محاولاتنا جانفتين ، انما هي خطوات اولى على طريق من مثابرة شاق طويل .

وخرجت الى رجال الصحافة رباط الجاش ، لا يساورني قلق كما بالأمس ، اذ كنت قد أخذت لهم أهيتي وأمضيت وقتا ، في ضوء آخر ماوصل الى سفارتنا من انباء ، في الرجوع الى قاموس جيب أحمله معي في مثل هذه الرحلات ، فاعددت ما سوف اتيه عليهم من كلام ، منددا بالتدخل الاستعماري من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا ، وان استمراره قد ادى الى اغلاق قناة السويس ، واننا نرفض رفضا قاطعا قرار وقف اطلاق النار حتى يتم لنا طرد قوات العدوان فتتطهر أرض الوطن من دنسها .

(لها بقية)

يحكى قصة نجاحهم لاقربائهم في الشرق البعيد . هؤلاء الذين أقدمهم وخم أو تبند عن الهجرة الى حيث الجاه والثراء .

وبعد أن تكون نفسى قد علت وجسدى قد فتر من تفرز على طوى ، ومن غثيان بعد ثروة ولغو أو تقفر وتشدق ، فانهم يستحثونني بتصفيق وجلبه هي اقرب الى الوعوة ، أن أقوم بدورى فالقى عليهم كلمة ، فاستجمع من شتات نفسى لانهض نشطا خفيفا ، مهتل الوجه ، تفيض بى سعادة دافقة لما غمروني به من حفاوة وتكريم .

وليس هذا حال الجاليات العربية جميعا . فشتان بين هذه وبين جالية البرازيل ، أو بينها وبين جالية شيلي ، بل ربما أكون قد جرت عليها فقيبتها ، ولكنها الظروف القاسية التي مرت بى بينا سلامة وطنى فى كف القدر وكرامته تتعرض لامتهان ، فلم تقفز الى ذاكرتى الا التقاض مجسمة مضخمة فتجب عنى مواطن من مروءة وشهامة لا شك وأنها غير معدومة .

اجتمعوا اذن بالأمس - نالى أيام العدوان - فجمعوا خمسة وسبعين دولارا ، فمما هم به فاعلون ؟ وصاح أحدهم فجأة بأن يستخدم فى ارسال برقية تأييد ، ولا أريد أن أعمل عليكم ب مزيد من تفصيل ، وانما الذى يعيننا أنهم قرروا بعد نقاش طويل توجيهها برسم الرئيس جمال عبد الناصر ، الا ان ذلك اللوذعى الذى كلف بصياغتها اخذته الحية فتجاوز بكلماتها الحد المباح ، ففى عندئذ تتكلف ثمانين دولارا ، فإن لهم بالمحسة السباقية ؟ وكان ان تكفل أحدهم بالانكباب عليها فينكمش بها داخل الحدود المالية التي رسمت لها .

خواطر وذكريات ومشاعر مرقت بذهنى ، سريمة متلاحقة متجاوزة فى ذلك أرقى ماوصلت اليه « التقنية » الالكترونية ، ورفعت بصرى الى الجنرال اوتنجنيا انظر اليه مليا .

« سيدى الرئيس ، ربما أن تكون الجالية إحدى الروابط التي بيننا ، ولكن الدعامة الوطنية

قل منا من يختلف على أن مشكلة السكان هي واحدة من أخطر ملامح الكيان المصري المعاصر ، بينما تعتقد الكثرة - ونحن معهم - أنها هي بالدقة المشكلة الأم أو المشكلة المفتاح . خذ أي مشكلة نوعية في حياتنا اليومية ، مباشرة أو غير مباشرة ، صغيرة أو كبيرة ، ابدأ من عملاء استعير أن مسكنه رغبت آخر . من مسكنه مواصلات محلية في مدينة أو مسكنه اسكان عن المستوى الفردى ، من بالوعة الاستهلاك إلى معوقات التصدير .. الخ ، فلن نخطئ عند التشريح الدقيق أصبح مشكلة السكان خلقها بطريقة أو بأخرى ، حتى ليصح أن نضعها قاعدة عامة في كل مشاكلنا . فمش عن السكان !

... أن الألوان لتطرح هذه القضية حيوية ... سيع نطاق وفي أشمل إطار بعد ذلك ... الموضوع ، ولكننا ما زلنا بحاجة ... إليها بحاجة - إلى كل نظرة ... رؤية وكل تشريح وضوء ، حتى ... العام في وعي سكاني ... المشكلة وخطورتها وقادروا على مواجهتها .



بين الموارد ...
والهواهب

د. جمال حمدان

مشكلتنا ..
السكانية ..

ساسة كل محصول الحياة • تلك علامة ما يسمى
« مرحلة السكان البدائية » في أوضح صورها •

ولكن ربيع القرن ٢١ - ١٨٤٦ كان على الأرجح
فترة نشطة من إعادة تزايد السكان حيث بدأ
انقلاب الري واستصلاح الأراضي • فكل
الفلّاحون يستثحبون حثا على الزواج المبكر
والتناسل السريع (٤) ، كما أدخلت وسائل
الطب الحديثة ضد الأوبئة ، فارتفعت المواليد
وانخفضت الوفيات • ومع ذلك فقد ابتلعت
الأوبئة والحروب العديدة نسبة كبيرة (٥) وكانت
الصيحة دائما هي طلب المزيد من السكان •
والأغلب بعامة أن تزايد السكان رغم سرعته
النسبة كان أبطأ من الامكانيات الاقتصادية •
كما يبدو أن الوضع هكذا ظل حتى نهايات
القرن الماضي • يؤكد هذا أن المساحة المزروعة
في مصر أكثر من تضاعفت في تلك المرحلة ،
فكانت من ٢٠٣٢.٠٠٠ فدان في ١٨٢١ إلى
٢.٠٠٠.٠٠٠ فدان في ١٨٦٠ ، و ١٨٨٨.٠٠٠ في
١٨٩٧ • أي أن تلك كانت أعظم مرحلة شهدتها
مصر • مع الألفى • كما تشهد
على ذلك روافد الهندسية ومشاريع الري
الانسانية كالمثل قناطر الدلتا في ١٨٨٣ ، ١٨٩١
ثم إقامة خزان أسوان ١٩٠٢ • ولم يكن غريبا
لذلك أن تصل صيحة المطالبة بتكاثر السكان
حينذاك إلى أحد طبقات « الكارماليه » في دعوة
مثل دعوة روسي بك Rossi المسميتة إلى
التناسل السريع (٦) • ولعلنا لا نخطئ إذا
شخصنا الفترة بأنها « مرحلة الانطلاق السكاني
أو المرحلة الانتقالية » بدرحة أو بأخرى •

غير أنه عند حوالى بداية القرن العشرين
بدأ معدل النمو ينخفض باستمرار وأطراد تقريبا
حتى بداية الحرب الثانية ، فهبطت نسبة الزيادة
الثوية سمويا من ٢٩ في ١٨٩٧ ، إلى ١٦ في
١٩٠٧ ، إلى ٤ في ١٩١٧ ، إلى ١ في ١٩٢٧
إلى ٢ في ١٩٣٧ • أي أنها انتهت إلى نصف

لم تتخلف طويلا جدا في نقطة البداية • وإن
كانت قمة الانفجار وحجمه الاساسي قد تأخرت حقا
إلى القرن الحالي • ولما كان الزيادة الذي أطلق هذا
الانحمار السكاني في مصر هو انقلاب الري
والزراعة بكل ما يعنى من نتائج ومحاولات
اقتصادية واجتماعية ، مثلما كان الزناد الذي
أطلقها في الغرب هو الانقلاب الميكانيكي والانقلاب
الصناعي ، فأننا نستطيع باطمئنان أن نقول أن
انقلاب الري عندنا كان بمثابة الانقلاب الميكانيكي
في أوروبا ، بينما يعادل انقلاب الزراعة الانقلاب
الصناعي • (٧)

وقبل أن نناقش اتجاه وحركة النمو بعامة ،
نمى بعض نقط تاريخية تستحق الملاحظة كعلامات
على الطريق • فدورة القرن نقطة ارتكاز جديرة
بالتسجيل ، إذ وصل السكان عندها إلى علامة
العشرة ملايين ، بينما أن لسنة ١٩١٧ مازى
خاصا حيث بلغ السكان ١٢٧ مليون نسمة
وكانت بذلك أول مرة على الأرجح نجف عنها
الحمة بها فدرابها وطرقها • والى هذه
أى استحدثت مصر القديمة • هذه العلامة
وكان رواده بعدد بعد بدل •
تماما لم تعرفها مصر القديمة على الأرجح في أى
وقت • ثم يأتى منتصف القرن ليسجل علامة
العشرين مليونا ، أى ضعف علامة دورة القرن
وأخيرا وعلى عتبة الثلث الأخير من القرن تتحدد
علامة قياسية جديدة هي علامة الثلاثين مليونا ،
تربو كثيرا بالتأكيد على ضعف أقصى ما يحتمل
أن يكون قد وصل إليه سقب السكان في مصر
القديمة أو الوسيطة •

ويهمنا بعد هذا إيقاع النمو وسرعة خطاه •
والواضح أن الفترة منذ الحملة الفرنسية إلى ١٨٢١
تمثل فترة جمود وتوقف تام ، حيث أن عدد
السكان عند التاريخين واحد وهو ٢٥ مليون
نسمة • أي أن حصيد الموت كان يستوعب



ما بدأت به • ورغم أن هذه الفترة شهدت تمار انشاء خزان أسوان ثم تعليته المردوجة ثم بدايات الصناعة الأولى بعد ترشيد التعريفية الجمركية في ١٩٣٠ ، إلا أن من الواضح أن هبوط معدل النمو بالمخاض يدل على أن موارد البلد لم تعيد تتزايد بنفس سرعة السكان • فمئذ ١٨٩٧ حتى ١٩٣٧ لم تزد الأرض المزروعة إلا من ٨٨٠.٠٠٠ ٥٠٠ فدان إلى ٢٨١.٠٠٠ ٥ فقط ، وإن كانت زيادة المساحة المحصولية أكبر نظرا لاستكمال التحول من الري الموسمي إلى الدائم ، قارنتمت من ٨٣٥٨.٠٠٠ ٦٦٤٠٠٠ فدان في ١٨٩٧ إلى ٨٣٥٨.٠٠٠ ٦٦٤٠٠٠ فدان في ١٩٣٧ • وأذن فذلك المرحلة استمرار للفترة الانتقالية ، غير أنها كانت في نصفها الهابط كأنما تقترب نوعا من طلائع المرحلة الاستقرارية بصورة ما •

غير أن مرحلة جديدة بدأت مع الحرب الثانية، انقلب معها اتجاه الحركة صموذا وطفرة • فقد صبت ظروف الحرب رموس الاموال الاجنبية ووصل التصنيع الى قمة نسبية • ثم أدت ثورة يوليو لتغلب الاقتصاد بالتوسع الزراعي والصناعي المطلق ولتغلب المجتمع بالانتماء والخدمة بكونه الملكية ، فاصبح معدل نمو السكالي بطرح باسظام ففي ١٩٤٧ وصل الى ١.٩ ، وفي ١٩٦٠ الى ٢.٤ ثم الى ٢.٧ في ١٩٦٦ • وهذا المعدل الاخير يقترب كثيرا من أعلى معدل سجلته الفترة الحديثة وهو ٢.٩ في ١٨٩٧ ، ولا مثيل له فيما بين البداية والنهاية •

ومن الواضح من سلوك النمو على امتداد الفترة السكانية الحديثة أنه وطيفة لملاقة الصراع والشد والجذب ما بين قوى التكاثر كما تحددها التطورات الاقتصادية وفرص الانتاج وما بين قوى التناقص كما تتمثل في قرض الموت ، و معدلات المواليد والوفيات على الترتيب • ولستنا نعرف على وجه الدقة اتجاهات المواليد والوفيات في القرن الماضي ولكنها في الخمسين سنة الاخيرة تبدي نمطا مجددا بوضوح كان يعطي مصر شهرة تقليدية وهي أنها من أعلى دول العالم مواليد ووفيات • فقد ظلت المواليد تتراوح حوالى ٤٠ - ٤٥ في الألف بمتوسط

قدره ٤٢ في الألف ، ولم تزل كذلك حتى الآن • أما الوفيات فقد تراوحت حوالى ٢٦ في الألف حتى الحرب الثانية ثم بدأت تنخفض انخفاضا محققا حتى وصلت أخيرا الى ١٥ في الألف ، وينتظر لهذا المذهب الانخفاض بكل تأكيد • وهذا الكبر • وعلى النتيجة فقد انتقلت مصر من نمط التميز بمواليد مرتفعة ووفيات مرتفعة كذلك ومن ثم بتزايد معتدل ، الى نمط البلاد التي تمتاز بمواليد مرتفعة ووفيات منخفضة ومن ثم بتزايد سريع ضخم ، وهذه مرحلة الانفجار السكاني • ونحن الآن نزيد بمعدل ٧٥٠ ألف نسمة كل عام •

وهنا يمكن أن ننظر الى هذه الدورات المتعاقبة من تسارع وتباطؤ واضح في النمو خلال فترتها الحديثة ككل • ومن الممكن أن نقيس هذه الدورات اذا نحن عرفنا في كم سنة ضاعف السكان أنفسهم مرة واحدة • ولعل هذا نتخذ فترة قاعدية ولتكن ٢٥ سنة ومضاعفاتها • والجداول الآتية يلخص لنا هذه المحاولة ، مع ملاحظة أنه لما كان طوال الفترة منذ ١٩٤٧ أقصر من الفترة القاعدية فقد أضفنا لتقريبهما تقديرات حجم السكان المستمرة لعام ١٩٧٠ • (٧)

الفترة السكان السكان في بداية السبعينيات

١٨٢١ - ١٨٤٦	٢٥٣٦٠٠٠	١٧٦١
(٢٥ سنة)	٤٩٦٧٠٠٠	تقريبا تضاعفت
١٨٤٦ - ١٨٩٧	٤٩٦٧٠٠٠	٢١٥٦
(٥١ سنة)	٩٦٣٤٠٠٠	أكثر من تضاعفت
١٨٩٧ - ١٩٤٧	٩٦٣٤٠٠٠	١٩٧٦
(٥٠ سنة)	١٩٠٤٠٠٠	تقريبا مضاعفت
١٩٤٧ - ١٩٦٦	١٩٠٤٠٠٠	١٨٠
(١٩ سنة)	٣٠٠٨٣٠٠٠	مرة ونصف
١٩٤٧ - ١٩٧٠	١٩٠٤٠٠٠	١٥٨٠
(٢٣ سنة)	٣٤٥٠٠٠٠	تقريبا تضاعفت

والحقيقة البارزة هي أن سكان مصر ضاعفوا أنفسهم تقريبا في ربع القرن الأول ، بينما في نصف القرن الثاني أي في صعب الفترة السابقة لم يعمد سوى ١١ صاعدا . ومن ثم في نصف القرن الثاني كثر - و بالكاد - نفس الشيء . ولكنهم يعود ذلك في ربع القرن الأخير إلى زيادة النمو السكانية فيوتشون أن ضاعفوا - في مصر - هذا ، بصورة نسبية فيها نمو في التحولات في الانتقال من ربع القرن الأول إلى نصف القرن التالي كان من مستوى هندسي من النمو إلى مستوى حسابي ، بينما ظل المستوى الحسابي في النصف القرن التالي ، ثم عاد هندسيا في ربع القرن الأخير .

ومثل هذا السلوك قد يوحى باتجاهات معينة . وبالفعل رأى البعض فيها ما يسمى بالاتجاهات اللوجستية Overpopulation (A) . واللوجستية تفترض عالما متناهيا تبدأ فيه السكان أولا تنمو وترتفع ببطء ، تقريبا بشكل لوغاريتمي ، ثم تتوسع جدا في متوالية هندسية بدرجة أو بأخرى وتستمر هذه المرحلة بنسبة الحجم المطلق للامكانيات الطبيعية والحضارية ، ثم أخيرا تنعكس معدل النمو ويدخل في مرحلة لوجستية تتناقص فيها . ومعنى هذا كله أن نمو السكان يتخضع لقانون « معادلة الدرجة الثالثة » (٩) .

وبغير التزام بحرفية اللوجستية ، فمن الواضح

أن سكاننا بعد مرحلة التوقف منذ الحملة الفرنسية بدأوا نموهم بسرعة ، ثم أخذت تتباطأ خطاهما كما لو لتنتهي إلى حالة من الاستقرار والثبات في دورة طويلة المدى كما يقضي المنحنى اللوجستي (١٠) ، ولكنها عادت في البداية منذ الحرب الثانية وبسبب ثورة التصنيع والتوسع الزراعي لتبدأ دورة لوجستية جديدة قصيرة المدى أو لا نعلم مداها بعد . والمهم أننا ، بعد أن كما قد أتجهنا أو بلدنا نتجه إلى مرحلة الاستقرار بصورة ما أو حتى ببطء شديد ، قد عدنا منذ الحرب الثانية إلى معدل من سرعة النمو لم نعرفه إلا في بداية الثورة الديموغرافية وإلى قمة انفجارية خطيرة من التزايد الهندسي ، كما بدأ دوره حرجية حديده بحسب بل ونورد - من مراحله حديده « انصاف » وعما موطن الخطر .

فالمسألة السكانية قد هزم بانتظام كل تنبؤات وتقديرات المختصين ، ولا تكاد تعرف تقديريا أو حسابيا . فخصاء النمو الفعلي ، وأحيانا حصة صاعدة أو صاعدة ! ففي ١٩٢٣ حين كان السكان ١٩٠٤٠٠٠ ، قدر شرد وريشارد أنها ١٩٠٤٠٠٠ . وفي ١٩٦٦ ، وهي ١٩٠٤٠٠٠ . وفي ١٩٦٨ ، وعلى أساس المساحة الصالحة للزراعة (٧ ملايين فدان) ، وعلى أساس كثافة السكانية كثافتها مصر (٣ أشخاص للفدان) ، فإن أقصى طاقة مصر هي ٣١ مليوناً مستحصل إليها في السبعينيات . (١٢)

وقريب من هذا تقدير دورين وأرينو بنحو ٢٢ مليوناً لسنة ١٩٧٠ (١٣) . كذلك أعطت محاولة أخرى في ١٩٣٨ تقديراً بنحو ٢٠ مليوناً لعام ١٩٦٠ . وفي ١٩٣٧ ، وعلى أساس انخفاض معدل النمو السائد حينئذ ، قدر البعض عدد السكان بنحو ٢٣ مليوناً في ١٩٩٧ ! (١٤) وآخرون أعطوا ٣٠ مليوناً لعام ١٩٩٠ (١٥) ، سناً قدر البعض الآخر نفس الحجم لسنة ١٩٧٢ ، وتنبأ غيرهم بنحو ٢٥ مليوناً لسنة ١٩٦٧ (١٦) . ومن الواضح أن السكان بالفعل طغمت حتى الأرقام القياسية في هذه التنبؤات .

وتناك خطورة الموقف إذا نحن اعتبرنا

المستقبل من منظور الحاضر الواقع قفلا - قفلا
قدر على أساس تعداد ١٩٤٧ أنه إذا استمرت
معدلات الخصوبة الحالية طوال المدة من ١٩٦٠ حتى
١٩٨٥ ، فسيصل السكان الى ٢٩٩ في ١٩٦٥
(وهو ما تحقق بالفعل اذا كشف تعداد ١٩٦٦
عن ٣٠ مليونا) ، ثم الى ٣٤٥ في ١٩٧٠ ، فالى
٣٩٧ في ١٩٧٥ ، الى ٤٥٥ في ١٩٨٠ ، وأخيرا
الى ٥٢٥ في ١٩٨٥ ! وهذا يعنى اضافة ٣٢
مليون نسمة الى السكان الحاليين - أى بنسبة
٧٥٪ - في نحو ٣٠ عاما . (١٧)

تلك قصة السكان في عصر المعاصرة ، صادًا
عن الجانب الآخر ، جانب الانتاج والموارد
الاقتصادية ؟ ندخل مباشرة الى قصة الارض
والزراعة بحسيناتها قاعدة الانتاج . الجدول الآتي
يقدم خامه للمناقشة ، والارقام المطلقة فيه
بالألف ، وارقام ١٩٦٦ تقريبية .

ولسنا بحاجة الى أن نقول ان الإيقاع الأساسي الذي يرين على الأرقام هو الاختلال المطلق والمطلوب بين الأرض والناس ، فالسكان في تزايد سريع، والأرض اقرب الى الثبات أو بطيئة الخطى، وبالتالي نرصد منها في التكملة

حضر ويمكن أن نعبر عن هذا بطريقة موحدة

أدركنا السبعين سنة من ١٨٩٧ ، حيث تبدأ

وحتى ١٩٦٦ ، واعتبرنا أن

أرم ١٠٠ إلى ١٠٠ سبب لها أرقام

مة • فنجد أن عدد السكان

وعلى أساس من أرقام السكان ١٩٦٠ ، أجرت اللجنة المركزية للاحصاء بمصر تقديرات أخرى للسكان على أساس عدة افتراضات ، فوجدت أنه إذا ثبتت معدلات المواليد باستمرار فسيبلغ عدد السكان في ١٩٨٥ نحو ٥٢,٥ مليون نسمة .
تجهت الى ٤٨,٣ إذا تناقصت المواليد بمعدل ١٪ كل عام ، وإلى ٤٣,٦ إذا تناقصت بمعدل ٢٪ كل عام .

كذلك فقد قدرت هيئة الأمم المتحدة الإسكان
مصر عام ٢٠٠٠ على أساس أرقام السكان ١٩٥٥
فوجدت أنها ستبلغ ٨١ مليون نسمة إذا
ثباتت معدلات المواليد والوفيات كما
٤٧٥٠ مليون نسمة إذا افتُتحت

W

الفترة جدياً ، ولا بد لصحة المقارنة من تصحيح تلك الأرقام على أساس ثابت . فإذا ما فعلنا - على أساس أسعار ١٩٥٧ - وجدنا قيمة الدخل ١٩١٣ تعادل في الحقيقة ٤٧٦ مليون جنيه ، وبذلك كان متوسط دخل الفرد ٣٦ جنيه ، ولكنه هبط بعد ذلك إلى ٢٨ جنيه في ١٩٤٥ ثم عاد فارتفع إلى ٣٢٫٥ جنيه في ١٩٥٧ . ولم تصح أرقام ١٩٦٧ بعد إلى الأساس الثالث ، ولكن إذا كان ثمة تحسن فهو طفيف على الأرجح .

وقصارى ما قد يمكن أن يقال الآن هو أن كل الجهود الاقتصادية والحضارية التي بذلت خلال نحو نصف القرن الأخير ، ولكن بالأصح والأحرى في عقد الثورة الأخير فقط ، قد نجحت بالكاد في المحافظة على مستوى متوسط الدخل . الأخير في تناقص جدرى متزايدين الكم والكيف ، بين حجم السكان ومستوى المعيشة . ولا يخرج الموقف عن شخص يصعد على سلم هابط ألياً ، لعل تلك التشنجات المألوفة عن السياق بين

التي سار بها المجتمع الحديث .. الخ .

افراط السكان

هل هذا كله ؟ ضيف السكان على موارد الإنتاج وأوضاعه ، وأوضح منه ضغط الإنتاج على حياة السكان . غير أن صميم السؤال هو : هل بلغ السكان حجماً أكبر مما تحتمل الموارد أي هل تعدوا حدود « أنسب السكان » ، وبصيغة أخرى هل ثمة « افراط سكاني » ؟

في مصر ؟ هناك أعراض متعددة جغرافية واقتصادية واجتماعية تتخذ مقاييس لافراط السكان ، منها درجة التزاحم أو كثافة السكان ومنها اكتظاظ الريف ، ومنها انخفاض مستوى الدخل ومنها كذلك البطالة .

ورغم أن كثافة السكان ليست أصلاً مقياساً لأنسب السكان ، فلعننا لا نفلو إذا اعتبرناها قد أصبحت في مصر عرضاً حقيقياً من أعراض افراط السكان . فقد وصلت الكثافة إلى أرقام يادرة ، فكثافة المصور في مصر ١٩٦٦ تصل إلى ٨٥٤ نسمة في الكيلو متر المربع ، أو ٢٣٠٠ في الميل المربع ، وهي معدلات لا تعرف حتى في

زاد إلى ٣٩٨ أي تعدى ثلاثة الأمثال ، بنسبة زيادة قدرها ٣٠٩٩٪ . أما المساحة المزروعة فقد ارتفعت من ١٠٠ إلى ١١٨ فقط ، أي بزيادة ١٨٪ . وكنتيجة لهذا هبط متوسط نصيب الفرد الواحد من الأرض المزروعة من ١٠٠ إلى ٣٨ ، أي أصبح ٢٨٪ مما كان عليه ١٨٩٧ . أما المساحة المحصولية فقد ارتفعت من ١٠٠ إلى ١٥٣٫٧ ، بزيادة قدرها ٥٣٫٧٪ فقط بينما هبط نصيب الفرد من هذه المساحة من ١٠٠ إلى ٥٠ ، أي أصبح النصف .

ويمكن أن نلخص الموقف كله كالآتي : الأرض المزروعة ثابتة لم تكد تزداد عملياً ، أما السكان فأصبخوا ثلاثة الأمثال ، وفي المنزل بين المنزلتين زادت مساحة الحاصل فأصبحت المثل ونصف المثل . وترتب على ذلك أن نصيب الفرد من الأرض المزروعة هبط من أكثر من نصف فدان إلى خمس فدان ، ومن المساحة المحصولية من ٧٠ فدان إلى ٣٥ فدان . ويمكن أن نضيف في ١٩٥٧ يعادل تقريباً ما كان نصيبه من الأرض في سنة ١٩١٧ ، سناً أن نصيبه من المساحة المحصولية ١٩٦٦ أصبح إلى ثلثي نصيبه من سنة ١٩١٧ . كما كان ١٨٩٧ . وبهذا كله أصبح كما كان مصرين يعيشون على ما كان يملكه مصرين من الأرض (مقابل اثنين فقط في ١٩١٧) ، والآن يعيشون تقريبا على فدان واحد من المساحة المحصولية (مقابل ١٥ فقط ١٨٩٧) .

غير أن الأرض والزراعة ليست كل الاقتصاد فهناك الصناعة وطرقتها الأخيرة ، وهناك النشاطات العديدة الأخرى . ولهذا فالمقياس الحقيقي للعلاقة بين السكان والإنتاج إنما هو الدخل القومي ككل والأرقام الخام لدخلنا القومي في تزايد مستمر مطيعة الحال . ففي ١٩١٣ بلغ الدخل ٢٠ مليون جنيه ، وصلت في ١٩٦٥ إلى حوالي ١٨٠ مليون جنيه ، إلى ٢٣٥٠ مليوناً مقدرة بصفة مدققة لعام ١٩٦٧ . وعلى هذا الأساس فإن متوسط دخل الفرد كان في السنة الأولى نحو ١٦ جنيه ، وفي السنة الوسطى نحو ٦٠ جنيه ، وفي الأخيرة ٧٨ جنيناً .

كن منه ريادة شكيكية مصطنعة ، لأن المصنوع الشرائية ، القيمة الحقيقية ، للثروة تغيرت خلال

اكتف المتجمعات الصناعية • غير أن هذه الكثافة العيزيولوجية تشير إلى المعمور على الاطلاق (٣٥ ألف كم^٢ أو ١٣ ألف ميل^٢) ، في حين أن نسبة الارض المستغلة بالفعل - الستة ملايين فدان التي تمادل نحو ٢٥٥٥ ألف كم^٢ أو المعمور الفعال - تقل عن ذلك كثيرا ، بحيث قد ترتفع الكثافة الحقيقية إلى ١١٧٠ نسمة للكيلو المربع •

وواضح أن العطشاء البشري في مصر يؤلف ارسابة سمكية لا تكاد تكرر على رقعة مماثلة في العالم • ومن المحقق أن زراعة الرى ، والرعى الدائم خاصة ، تستدعى كثافة من السكان غير عادية مثلما تمكن لها • ومع ذلك فكما يلاحظ بومان ، فإنها وحدها ليست المسئولة عن كثافتنا الساحقة المفرطة ، فمثلها في الولايات المتحدة لم يخلق مثل هذه الكثافة • (١٨) وانما يمكن الضابط الأخير في الإطار الاقتصادى - الاجتماعى ولو كانت مصر ترتبط في تقاليدھا الاجتماعية بمستوى معيشى أعلى لكانت كثافة أكبر • وكثافتها السكانية أقل بالتأكيد •

ولا يقل الريف الزراعى وحيدہ اكمطاط - بالسكان • فادراك امر - مثل - في مصر السكان في مصر تقريبا ، أو نحو - من - لهذا اليوم ، فالنتيجة أن كثافة الريف - تزداد حول ٧٨٥ نسمة للكيلو متر المربع ، وهو رقم غريب حقا • وينعكس افراط السكان الزراعيين في سحب الملكية الزراعية وقزميتها ، بل وقبيلها في انتشار المدممين من مستأجرين وأجراء ، وفي انخفاض مستوى الاجور والدخول والمعيشة الريفية ، ثم في تقضى البطالة الموسمية والمقتصة والسافرة بنسب متفاوتة ، فيقدر ارتفاع انتاجية وحدة المساحة وقلة رأس المال في الزراعة المصرية تماثرا بانخفاض انتاجية وحدة العمل مع شدة كثافة العمل في نفس الوقت Labour-intensive حتى ليكاد يتحول العمل بصورة ما الى نوع من رأس المال •

كذلك تنعكس نفس الظاهرة في طيف الريف المستمر الى المدن وفيما تلفظه الزراعة من قوة العمل الى الصناعة وغيرها من الحرف الأخرى ، دون أن يتأثر انتاجها ، مما يدل على أنها من قبل خزان عمل متخم الى درجة ما فوق التشبيم

وقد ضرب كيلاند مثلا خطيرا منذ ١٩٣٦ على مدى افراط السكان الزراعيين من تجربة عملية أثبتت أن مجرد ترشيد وتنظيم الإدارة الزراعية واستغلال قوة العمل والثروة - دون أى ميكنة - يمكن أن يعطى نفس الانتاج الزراعى بنحو خمس قسوة العمل الراحة ! (١٩) وهما يكن من أمر ، فإن من المؤكد أن ميكنة الزراعة ميكنة شاملة جديرة بأن تستلب الأغلبية العظمى من السكان الزراعيين مبرور وحودهم ذاته بكل بساطة ! وحسبنا أن نذكر أن كل قوة الزراعة في الولايات المتحدة لا تزيد اليوم عن ٣ - ٤ ٪ من مجموع السكان ! وإذا تركا الزراعة الى سكان المدن ، فإن الكثيرين - ونحن منهم - يعتقدون أن طفرة المدنية وتضخم المدن ، خاصة الكبرى ، ليس الا الوجه أو الجانب الآخر من افراط السكان الزراعيين ، حتى لتبدو المدن جزئيا كمجرد طيف الريف • فنسبة سكان المدن في مصر الآن نحو ثلث (٣١ / ١٠٠) ، وجزء كبير من هذا الارتفاع الهام غير وطيفي بالقطع في أكثر من معنى فعدا البطالة بأنواعها المختلفة ، قلل الحرف غير - في المدن منها في الريف - في فرنسا - (٣٠) تعاني - في - ، بما فيها الإدارة المبرورة - بل - افراط سكانى مهين محقق شك فيه • وقد قدرت البطالة في مصر عامة ١٩٦٠ بنحو ٣ و ٣ مليون نسمة •

اما عن مستوى المعيشة ، فإذا كانت دلالة اتجاه متوسط الدخل القومى غامضة لتطور الاسعار ، فإن مستوى متوسط الدخل الحالى يعد منخفضا جدا بالنسبة للدول المتقدمة ، بل بالنسبة لأغلب الدول العربية ، البترولية وغير البترولية على السواء ، وكذلك يقصرون الحد الأدنى على تحده هيئة الأمم المتحدة • كما أن هناك مقياس التغذية والصحة ، وهما واضحا الدلالة • وقد كان هناك من يعتقد - مثل المؤرخ الاقتصادى كروتشكى - أن مستوى معيشة العلاج والمستوى العام للعناية هو خير الآن مما كان عليه في القرن الماضى كما تدل سجلات الماضى (٢١) • ولكن الكثيرين يرون العكس ، وأن الاسعار زادت بوجه عام أكثر من الاجور • بل ذهب يونغفيلش الى



أن نفس مستوى المعيشة الأدنى الذي كانت تكفيه
للأسرة الزراعية ٥ أقدنة في عشرينات القرن الماضي
ينطلب اليوم ١٠ أقدنة • (٢٢)

ويبقى في النهاية عنصر الكفاية الذاتية
اقتصاديه • وليست الكفاية الذاتية ، غذائيا أو غير
ذلك ، هدفا قوميا كقاعدة عامة ، لا وليست
هي دليلا قاطعا أو حتى دالا بالضرورة على افراط
السكان ، ولكن مصر التي كانت حقلا غلال
روما قديما ، والتي كانت تكفي نفسها بنفسها
من الحبوب حتى الحرب العالمية الثانية ، بدأت
تحول الى مستورد كبير للحبوب خاصة القمح
بدرجة لا يمكن الا أن يكون لها مفرها • فمع
صيق وثبات الرقعة الزراعية ، ومع توازن أطراف
المركب المحصولي بحكم الضوابط الاقتصادية
والاجرومية ، ظل الانتاج الغذائي ينمو ببطء
في مواجهة الطفرة السكانية حتى تخلق عنها
تماما •

ولنحس الآن نستورد من القمح أكثر • سح
بسيطة ملحوعة ، ربما بنسبة ٢٠ ٪ ،
ان عمر الإحتاج المحلي في كثير من الأحيان
باطراد • والمقدر أن ما ندفعه سنة لهذا
نكاد يعادل دخلنا من قناة السويس حاليا •
ننا بالفعل ثلثهم محصول القمح بطريق
مباشر ! وقد بلغت قيمة وارداتنا من السلع
الاستهلاكية الغذائية في ١٩٦٥/٦٤ نحو
١٢٢ مليون جنيه من مجموع الواردات البالغ
٤٠١ مليون جنيه بنسبة الثلث تقريبا (٣٠٦٪) ،
وكانت تلك القيمة تقارب في الواقع قيمة المعجر
في الميزان التجاري بين الصادرات والواردات
والبالغ ١٣٦ مليون جنيه حينذاك •

وبصفه عامه فنحن نبتعد كل يوم عن الكفاية
الدائية الغذائية بدرجة مثيرة بالنسبة لبلد لا زال
زراعيا أساسا • عبر أن كلفه اعدائية ليس
مقياسا لافراط السكان ، وإن كانت تؤكد ضغط
السكان على الموارد وتقوى بذلك الشبهات التي
تثيرها المقاييس الأخرى •

والسؤال الآن : افراط سكاني ؟ وهو سؤال
قديم ، وكان دائما قضية خلافية • فثمة قلة
أكثر أن السكان أكثر مما تحتمل الموارد وهما

• • • • • كروتشيل الذي يقول انه اذا
• • • • • السكان اتجاه مستوى
• • • • • فليس بمصر افراط (٢٣)
ومعه فعل ضئيف الذي يرى - كالكاملين -
الثروة في السكان ، ولو انه يكاد يتراجع عن
موقعه في النهاية (٢٤) •

ولكن الأغلبية العظمى من الكتاب تعتقد - مع
وهذا كليلاند خاصة - بالعكس تماما ، وإن مصر
بعاني من افراط السكان بدرجة أو بأخرى •
فعبيل الحرب الثانية قدر كليلاند أن النسب
السدان لمصر لا ينبغي أن يتعدى ١٢ مليونا ، وأن
الانتاج الزراعي كان في حالة تكافؤ معقول
مع السكان حوالي ١٩١٤ ، وبعدها بدأ افراط
السكان بالنسبة للموارد حتى وصل الزائد
الفاض الى ٥ ملايين في ١٩٢٩ • (٢٥) ويأخذ
عيسوي موقفا أكثر تحفظا ، فيميز بين ثلاثة أنواع
من افراط السكان : تنظيمي - حين لا يحسن
استغلال الموارد والطاقات ، تكنيكي - حيث
يؤدي ادخال المخترعات التكنولوجية الى عدم الحاجة
الى جزء من السكان ، مطلق - حين يريد عدد
السكان عن كل موارد البلد اطلاقا • ثم يرى ان

السويين الأولين تعرفهما مصر حقا ، أما عن
الافراط المطلق فهو يرى أن كل شيء في مصر
يتوقف على سعر القطن في الخارج ، ومع هذا
السعر تتذبذب أبدا نقطة الأنسب عندنا . (٢٦)

ولا شك أن عناصر الموقف قد تغيرت كثيرا
منذ الثورة عن طريقين . الاشتراكية والتنصيح ،
مما يحتاج إلى إعادة النظر في الحكم من جديد .
ويقدم لنا شيروشي ناسو معناه للحل (٢٧) .
فهو يميز بين نوعين من افراط السكان :
المالطوسى والمالرسى ، وهما ليسا مرادفين تماما
لزراعى وصناعى أو لفرع وشرقى . وإنما يوجد
افراط السكان المالطوسى حين وحيث يوجد
اختلال جذرى بين الموارد والسكان كنتيجة
خطأ في العلاقة بين الانسان والبيئة نفسها ،
أما المالرسى حين وحيث يكفى الموارد الكافية
ولكن يفسدها عدم عدالة التوزيع بين السكان ،
أى أنه ينشأ من خطأ في العلاقة بين الانسان
والانسان . ومن المؤكد أن مصر كانت تصبى
من افراط السكان المالرسى قبل الثورة . ولم
يكن ذلك بالشيء اليسير إذا بدكرنا أن نحو نصف
في سنة من السكان كان يذهب إلى مصر
الدخل القومى كله تقريبا . ومعنى هذا أن
الدخل الحقيقى ومستوى المعيشة لم يكن
الأعظم من السكان كما نرى في مصر
الاشتراكية . ولما كان هذا في ١٩٤٥ يعادل ٢٧
جنيها ، فإن متوسط الدخل الحقيقى للشعب
كان في حدود ١٤ جنيها للفرد . وهذا وحده
يكشف عن بشاعة الموقف الحقيقى كما كان في
ظل الاقطاع . لقد كانت جغرافية السكان في
جوهرها وأغلبها فصلا ضخما في « جغرافية
الجوع » إذا استمرنا تعبيرا دي كاسترو ، وكان
السود الأعظم من السكان يعيش قريبا من خط
الفقر أو عليه ، وربما وقع بعضهم تحتها في
منطقة خط الجوع ذاته . (٢٨)

غير أن الحق أن الإصلاح الزراعى وإعادة
توزيع الدخل القومى عن طريق القوانين
الاشتراكية وتقارب الدخول وتدوين الفروق بين
الطبقات ، قد استبعدت افراط السكان المالرسى
من مصر ، لا نقول تماما ولكن في معظمه .
وببقى الافراط المالطوسى مدار السؤال . ولا شك

أن مصر ما قبل الثورة قابلت الندم المالطوسية
وجها لوجه إبان الحرب الثانية وبمدها كما تدل
كارثة الملايا أثناءها ووباء الكوليرا بمدها ، وكل
استمد فاعليته في الحقيقة من الفقر الذى وصل
بالكثيرين إلى حد سوء التغذية الزمن ولا نقول
الجاعة . وقد كان الاقطاع يلجأ دائما ، عندما
توشك السكان أن تواجه الموانع المالطوسية
بصورتها الحام الكالحة ، يلجأ إلى المسكنات
والمهدئات المؤقتة لتفادى الكارثة ، ولكن الاختلال
الرهيب كان يستفعل بأفراد . بل لقد ندى
الاقطاع لنفسه كما عبر البعض عبقرية نادره
- عبقرية الحلقة المفرغة - في حل المشكلة بخلق
مشكلات أخرى ، وكان الحل الأخير لمشكلة السكان
هو ببساطة تخفيض مستوى المعيشة بانتظام (٢٩)
والواقع أن التحول من الرى الحوضى إلى الدائم
- الذى كان ينبغي نظريا أن يرفع مستوى معيشة
الملاح - قد انتهى على يد الاقطاع إلى أن يكون
سجونا من مجاعات دورية إلى جوع مزمن (٣٠)

ولا يحد أن الموضوع اليوم بعيد عن حقل
العلم ، بل هو من حقل الحس . وليس السبب
في هذا - ليس - أنسب علف ، كما
نرى في الماشية . (٣١) وليس من المعقول
السكان . والإنكاس فكرنا عن أنسب السكان
اقرب إلى « أسوأ السكان » . ومن هذه الزاوية
فحين نرجع أن مصر لا تزال تعاني اليوم من
افراط السكان - المطلق بتعبير عيسوى -
والمالطوسى بتعبير ناسو - وإن يكن بدرجة قد تقل
عما قبل الثورة . والحكم في النهاية سؤال
وحده هو من أى نوع سكان مصر اليوم
بطريقة أو بأخرى ، ينخفض مستوى معيشة
الباقى أو يزيد ؟ ويكاد يكون الرد المؤكد أنه
يزيد ، بينما أن الانتاج القومى لن يقل . وهناك
نسبة من سكاننا زائدة وفائضة عن طاقة
- وساحة - مواردها ، ولكن ليس من سميل إلى
معرفة حجم هذه النسبة بالضبط ، وكل ما نعرف
أنها تستغل تزداد باستمرار ما لم يتغير الموقف
كلية .

ومن الضروري أن نذكر أن هذا الفائض النما
هو حصيلته تراكمية أساسا من ارث الماضى
الاقطاعى وعمله ، وأن الحل ليس اقتصاديا

فحسب بل وتاويخي كذلك ، ليس استاتيكيًا فقط بل وديناميكي أيضا . وإذا نحن حللنا الموقف في اطواره الحضارى العريض ، فلن يخرج عن صيغة العارق الحضارى Cultural lay الذى حدث في تطور مصر الحديثة . فصميم الأمر أنه منذ أوائل القرن الماضى حدثت ثورة اقتصادية في الانتاج والموارد خاصة الزراعة . ولكن دون أن تصاحبها ثورة اجتماعية في توزيع الدخل ونشر العدالة الاجتماعية وتطور التعليم . بل لقد تخللت الثورة الاجتماعية (١٩٥٣) عز الثورة الاقتصادية (١٨٢٠) أكثر من قرن وثلاث قرن في الواقع ، وكان على « ثورة » يوليو أن تحل الارث المتراكم منذ « انقلاب » محمد على . ومع ذلك فإن اصجار السكان في العقد الأخير قد ضاعف من هذا الفاض وهذه التركة بمعدل الربح المركب . فان إعادة توزيع الملكية الزراعية واندخ القوي الى جانب التصنيع قد أحدثت موجة رخاء ورواج لا شك فيها بين شرائح عريضة من السكان ، ولكن موجة الرواج تحولت من إسف الى موجة زواج ، وتحولت إعادة توزيع الدخل الى زيادة معدلات الاستهلاك .

احصيه وعلمت حصونه استاتيكيًا على حصاره التربة . بل ان موجة الهجرة من المدن - و « ما أكلت الإنسان mangesous des hommes » كما وصفت لما تخفض من معدل المواليد (٣٢) - لم تغير من السلوك البيولوجي لأغلبية الريفيين المهاجرين (وان فلتهم - بالمنااسبة - من مستهلكي ذرة الى مستهلكي قمح ، أى أن كل ما فعل التمدن أنه لم يخفض المواليد ولكنسه عقد مشكلة الجيوب الغذائية) . وتكاد لهذا كله أن نقول ان افراط السكان الماركسي الذى صفته الثورة قد حوله معدل المواليد الى حساب افراط السكان المalthوسي ولحسابه ، وهو الافراط الأصمب حلا ! بل كدنا نضيف أن الثورة السكانية باتت تتهدد الثورة الاشتراكية بكل جهودها الضخمة الى حد أن وصفها البعض - مجازا - بمثابة « ثورة مضادة » ، صامتة غير واعية وغير مقصودة بطبيعة الحال !

وعند هذا الحد يرد على الذهن تشبيه جوليان هكسلي الشهير عن النمو السرطاني . فهو يتساءل عما هو السرطان ان لم يكن نموا شاذًا مرضيا

متضخما مدعرا في خلايا الجسم . ثم يتساءل - ويبحث يتساءل - عما هو افراط السكان ان لم يكن نموا شاذًا مرضيا متورما في أحد عناصر المركب البيئي يهدد كل خلاياه بالتفريط والتلفي ويهدد التوازن الايكولوجي الدقيق فيه بين العالم العضوى بالاختلال الخطير . وليس في التشبيه غلو أو اسراف فيما يبدو ، وعلى الاقل فإن افراط السكان المعربد ان لم يكن ورما خبيثا فهو - ولا يهم بمقد ذلك ان كان حميدا - ورم على أية حال .

وان قليلا من التفكير ليهدينا الى أن افراط السكان أصبح عبئا حقيقيا على نميتنا الاقتصادية وانه يعد كثيرا من مروتنا وحريتنا في التخطيط والحركة . فعند خطر الاستهلاك الداخلى كالبالوعة وعجز الادخار التشديد ، والاتفاق الخطر على استيراد الغذائية على حساب إمكانيات التصنيع والضغط المستمر على موارد التربة الى حد الاستنزاف ، هناك أخطار السياسة العالمية رديسوا اريا العالمية .

فإذا كان صيغ النبل قد حررنا من ذبذبات السياسة العالمية ، فإذا كان سوبع الاناج يحرق من ذبذبات السياسة العالمية ، فإن افراط السكان يهدد الآن بأن يضمنا تحت رحمة ضغوط السياسة العالمية التي تتخذ من القمح الآن سلاحا نكسا للحرب الاقتصادية . كذلك فإن اتجاء ديموغرافية العالم يجعل المستقبل خطرا ، حيث يسمق نمو سكان العالم نمو انتاج الغذاء ، فتزداد المنافسة على سوقه التي تضيق باستمرار .

ان افراط السكان عندنا يمكن أن يتحول الى نقطة سوداء في كياننا مستقبلا ، ويمكن لضغوطه المتزايدة ان لم تكبح أن تحرق كثيرا من شخصية مصر المتطلعة الى الاستقلال الاقتصادي المطلق والانطلاق في مدارج التنمية الاقتصادية والقوة السياسية . عند تحررنا من الاستعمار القديم استعمار القطن ، ويجب الآن ألا يرضعنا افراط السكان تحت رحمة الاستعمار الجديد استعمار القمح . لقد سبق أن وضع افراط القطن « مصر افرقيا » تحت رحمة « مصر أمريكا » (كما قيل عن نطاق القطن في الولايات المتحدة) ثم تحررنا بشق النفس ، وليس ينبغي لافراط السكان اليوم

عبد حوالي دورة العرن ، ولم تعد تزايد الا
صعيق . أما اليابان فقد ظلت حتى منتصف القرن
في مرحلة الانحجار الخطر العارم وعرفت مشكلة
السكان كاشدا ما يكون ، ثم ما لبثت أن دخلت
مرحلة الاستقرار والثبات وانخفاض المواليد .
أما مصر فتختلف عن الاثنين كثيرا ، فهي على قمة
مرحلة الانفجار والانتقال بعد أن بدأ أنها إلى
هبوط واعتدال نسبي . غير أن الفترة الحالية من
باريخنا ووعينا السكاني تشبه ارحاصات الفترة
التي عرفتتها اليابان في أعقاب الحرب الماضية
وعدمتها ضرورة ضبط النسل .

هي إذن ثلاثية سكانية متقارنة الملامح في معنى
أو آخر ، والتشابه بين بريطانيا واليابان أمر
معروف ، ويمتد إلى أبعد من النواحي السكانية
وحددها ، حتى يقال بحق أن « اليابانيين هم
بريطانيا الشرق الأقصى » . وقد يصح لنا بدورنا
بـ نصف إلى هذا التشبيه أن مصر هي أما يابان
التي هي أو بريطانيا الشرق الأوسط ، دون أن
تقتصر بذلك نشاطها ، فضلا عن تماثل ، في أكثر
من جوانب بعضها في الوضع والتطور السكاني .

نحو الحل

« مد فبا حل يعبر معضلات مطولة ، به
ضبط الزرع من الممول لمشكلتنا السكانية : إعادة
توزيع الدخل القومي ، زيادة الدخل القومي ،
الهجرة ، ضبط النسل ، الأول والثاني يمثلان
جانبى الانتاج والتوزيع ، والأول والثالث
يشتركان في أنها إعادة توزيع أساسا ، بينما
يشترك الثاني والرابع في انهما إعادة تحديد
احجام .

وواضح أن إعادة توزيع الدخل القومي هو
أوليات الحل الاشتراكي ، ولذا يدخلها في
فلسفة الاشتراكية السكانية مباشرة . وقد كان
الاصلاح الزراعي وإعادة توزيع الأرض أولى
انجازات ثورة يوليو ، ولا شك أنها قطعت شوطا
هاما في سبيل حل أو تخفيف مشكلتنا السكانية
وإذا كانت إعادة توزيع الدخل قد رفعت مستوى
المعيشة لملايين من الفلاحين والعمال بالتأكيد ،
فقد رأينا كيف انعكس هذا بزيادة من تكاثر
السكان من ناحية ، ووفرة الاستهلاك واستيراد
الغذاء من ناحية أخرى . غير أن الناحية الأخرى

أن يضع حمل قمع روما القديم تحت قبضة نطاق
القبح الأمريكي الجديد . . في كلفة واحدة . لقد
أصبحت كناقتنا هي قدرنا
our density is our destiny

وعند هذا الحد من المناقشة ، يمكن أن نرى
أين تضعنا صورتنا ومشكلتنا السكانية من الاطار
العالمي . فهناك بعض نواحي من تنمياه في
السكان وغير السكان بين مصر في افريقيا وكل
من اليابان في آسيا وبريطانيا في أوروبا . فكل
منها جزيرة - فعلا أو مجازا - على تخوم أطراف
قارة ، وكل منها تتنازع بأنها « جزيرة جيب »
تعاين من اساحه المحدودة ، وكل منها تحمل
كتلة بشرية صحية كثيفة تكاد تعد أكثر أو من
أكثر ما في قارتها . وكل منها تحكم سكانه ،
نموا وتوزعا ضوابط جغرافية محددة تختزل في
معادلة سكانية قوية شديده الموصوح منه هي
بريطانيا معادلة : العمم : الصناعات السكان .
كان يقابلها في اليابان تقليديا معادلة : الطر
الأرز : السكان (٢٣) بينما تخضع مصر لمعادلة
الري : القطن : السكان .

ثم إن لنا من ثلاثتها لا يصحح لم يعثر بحرف
الكتابة الحديثة الحديثة . وكل منها «
بدرجه أو بأخرى . وكل منها «
إلى الانقلاب الصناعي الواحد بالمضاربة الحديثة ،
وهو أكثر قارته قوة وتطورا . كما أن كلاهما
كان أسبق قارته إلى الثورة الديموغرافية وسجل
أكبر رقم قياسي في معدلها . وكما أخرج الانقلاب
الصناعي بريطانيا من النظام الاقطاعي ، صيغت
الحرب الأخيرة في اليابان آخر بقايا نظامها
الاقطاعي العتيق ، وكانت الثورة هي التي وضعت
نهاية العصر الاقطاعي في مصر .

والعارق الجوهرى بين النظائر الثلاثة هو
امدق الزمنى والتوقيت . فعلى أساس الصناعة
وخصم سبقت بريطانيا في كل مجال منذ
الانقلاب الصناعي ، وتختلف اطلاقا اليابان إلى
أواخر القرن الماضى ، ولم تبدأ مصر التصنيع
حقا إلا بعد منتصف القرن الحالى . ولكن قريبا جدا
هذا فالتطور السكاني في الجميع يشير إلى متجنى
واحد أساسا ، وانما يختلف موقع كل منها
عليه . فبريطانيا دخلت مرحلة الاستقرار بعد
الانفجار والانطلاق في النمو السكاني منذ عهد

سندعي وقعه استنزافك * فرغم كل احتذارها ،
 فهي لا تعدو في حقيقة انها استبدال نمط
 استهلاك واستيراد جديد وصالح يحفظ استبدال
 واستهلاك قديم وقاسد * فانتم اسدى بدوكم
 اليوم في استهلاك اعيوب وانفد اسود الشعب
 هو في جوفهم نفس الثمن السدى لك الاضغاع
 اعطيت يسسلبك في الشعب ويدفع في استيراد
 فانه انما يلبس الترفيهه اعطيهه خسسليه
 الناحس * وهو بهذا حطوة اشتراكيه ، حطوة الى
 الامام (٣٤) .

وايا ما كان ، فان لامكانيات اعاده توزيع
 اندخل حدودها التي يحكمها الحرص على عدم
 فعيت الملكيات الى ما دون الحد الاقتصادي لانتاج
 وأهم من ذلك مسألة المساحة الزراعية في البلد
 اصلا - وقد قدر ان اعاده توزيع الملكية كلها
 تماما لن تخرج في النهاية عن اعاده توزيع الفقر
 أو المساواة في الفقر * بمعنى آخر ، فان الحل
 الاشتراكي البحث غير كاف وحده لمواجهة مشكلة
 اسكان .

وهنا نصطدم بالفلسفة الاشتراكية في السكان
 فلنماركسية نظرية ثورية برمسها في علم السكان
 رفس ولا مجرد فكرة اس - - -
 اسكان في نسمع طبعي ، سولايين جبرسا
 عنه الا بعد اعاده توزيع الدخل بينهم * وجبرسا
 فليس هناك ثورات ديموغرافية - نسبة فقط
 ثورات اجتماعية (٣٥) وبعد هذا وخطر من هذا
 فان الماركسية تقول ان افراط السكان مستحيل
 على الاطلاق والى الابد في المجتمع الاشتراكي
 الكامل ، وذلك بغير الهجرة وبغير ضبط النسل
 ولهذا فان الماركسية من اكبر اعمدات المثلوس
 والمثلوسية اخدينه مما .

غير ان موقف الماركسية هنا لا يخلو من
 غموض ، فالبعض يفهمه على انه ينفي امكان حدوث
 افراط السكان الى الابد ، والبعض الآخر يرى ان
 ماركس لم يقل أبدا ان مشكلة افراط السكان لن
 يواجهها الشيوعية يوما ما .

ومهما يكن ، فليس من الواضح ماهية
 الميكانيزم الذي يستبعد افراط السكان من المجتمع
 الماركسي (٣٦) * ولهذا يرى البعض ان الماركسية
 قد تكون نجحت في تحطيم النظرية الكلاسيكية
 في السكان ، ولكنها لم تنجح في اقامة بديل

بها * وهي سحبه اخرى فان استجرية الفعلية
 برصد اسوقيه تم نصفي استيعابه عادت اجرا
 بعد سره مغول طويله ان يقول تحديد السكان
 وصعب اسئل * ومن انوصح بهذا انه انما في
 مصر لا يمكن ان تترك حل ملتنا اسساليه
 المنعله معلنه على نظريه غير فاضله الايديسا
 وحجر اصحابها عمليا .

ويمكن ان تعرض لهجرة نفس المنطق
 والاصحاب * فافتراحت بهجر المصريين ليست
 جديدة ، وكثيرا ما تراوحت بين السودان والعراق
 وسوريا ، واثينا بين الحبشه والعام الجديد في
 امريكا اللاتينية * كذلك تراوحت تقديرات
 اعاص الذي بهجر من ٤ - ٥ ملايين الى سسبة
 ٢٠ - ٢٥ ٪ من مجموع السكان حينذاك عند
 ليلاند ، الى مليونين عند واينر (٣٧) ومن
 المرجع ان مشاكل الهجرة الخارجية المألوه لا محل
 للحواف منها هنا * فبالجم المناسب ، لن تؤثر في
 حجم الانتاج اقموي - فهذا محور سلامة اقتراح
 بهجر اصلا * ثم انها لن تؤدي الى الانفصار
 رئيسي أو الاعمار بالقرى كما عرفت ايطاليا مثلا

ولن ترح الاقتصاد القروي بالعرش الفجائي
 لغاربه بهجريه بساطة بسبب الفقر السائد
 ان اناسم ليست

جديه (٣٨) ديموياهي اخرى ، فان توزيع بضعه
 ملايين في المصريين على البلاد العربية التي تعاني
 من تفريط السكان underpopulation
 لا يفيد الانتاج في هذه البلاد فقط ، بل ويشل
 أداة سياسية وحدوية بالغة الأهمية والمطورة ان
 لم يكن الضروري ، فهي تدعم الوحدة المنشودة
 وتجانس العربيه ، كما تحد من ضخامة مصر في
 لاتحاد المرفوق وتقرّب من أحجام الجميع بدرجة
 ما ، مما يسدّد مخاوف البعض - حقيقية أو
 موهومة - من سيطرة مصر على الاتحاد كما
 يقولون .

ومع ذلك كله فأغلب الظن بل الظن كله ان
 الهجرة حل حيالي أكاديمي يبت في الظروف
 الحاضرة وفي المستقبل المرئي * فعدا ما تتطلبه
 من تنظيم وحويل حكومي ضخم جدا ، وعدا رغبة
 المصريين من الهجرة ، وعدا حدود امكانيات التشبع
 السكاني في المهاجر المقترحة ونمو أبنائها الذاتي ،
 وعدا التمويل الأضخم اللازم لاعاد المهاجر ، فان

استرجحة . وهذا وحده دليل على أن التنمية الاقتصادية وحدها ليست الرد النهائي على زحف السكان الغامر .

ودرس آخر يعليه لنا السد أن امكانيات التوسع الأفقي في مصر محدودة في النهاية بحكم طبيعة النمط البيئي . وبعد عقد واحد ستكون قد وصلنا الى « نهاية العالم » بالنسبة لنا وإلى أقصى آفاق بيتنا الجغرافي .

وستفلق بهذا آخر كوة أو طاقة أرضية تبقت لنا . قبل السد العالي كانت المشكلة المباشرة هي قلة المياه لا قلة الأرض الصالحة للزراعة . بلفة الأيكولوجيين : كانت المياه هي العامل المحدود limiting factor والأرض العامل المسيطر master factor أما بعد السد فسنندرك سريعا أن المشكلة النهائية لن يكون المياه بل الأرض . ستكون المياه هذه المرة هي العامل المسيطر في المدى المباشر ، والأرض العامل المحدود في المدى الأخير . وهنا نرى أن العامل المحدود الأخير لا يرقى في التوسع البيئي . رأيت في التوسع الرأسي ، بل بعد . رأيت من هذا ، سنرى أنه لا يمكن في الزراعة ذاتها بقدر ما يمكن في الصناعة . وهو في الكل لا يتحدد بالسكم بقدر ما يتحدد في الكلف .

ومعنى هذا أن السد العالي عى اعجازه - ليس آخر كلمة في كياننا الزراعي . فهناك مجال لترشيد وتخطيط الإنتاج حتى تصل الى الإنتاج الاكثف والامثل . فلا بد بعد ثورة الري من ثورة الصرف ، فما دام ثمة رى صناعى فلا بد من صرف صناعى كذلك . كذلك لابد من تثوير مركبتنا المحصولي ضمينا لأقصى اربحية . فإذا كانت صيغة تطورا الرراعى الحديث هي « من الحبوب الى الالياف from food to fibre » ، وإذا كنا لم تعد نملك ولايمكن أن نملك الكفاية الذاتية

للمناخ السياسى والوعى السياسى لم يتضح بعد فيما يبدو لتقبل مثل هذا الحل ، والأمري يحتاج الى فكرة جديدة تماما . وسيكون على مصر الواقعية أن تفكر في حلول محلية بحثة - على الأقل في المدى القريب .

وأول هذه الحلول المحلية هو زيادة حجم الدخل القومى ، أى التنمية الاقتصادية . ومن المهم أن نؤكد هنا أن الإنتاج الاقتصادى ليس معطيات صماء من الطبيعة ، بل هو أساسا حاصل ضرب الموارد الطبيعية في المهارة الانسانية . وتعبير الموارد الطبيعية نفسها غير دقيق ، فما هي الا تقييمات حضارية كما يقول كارل ساور . وبمعنى آخر : ليس ثمة موارد طبيعية resources ثمة أساسا مواهب اسانية resourcefulness وعلى أبناء مصر أن يستخروا كل مواهبهم حتى تستخر مصر لهم كل مواردها .

ومن هذا المنطلق ، نجد سجلا مشرقا لحصر الثورة . ففي مجال الأرض الزراعية . بعد أن كنا لنصف قرن لاتزيد المساحة المزروعة إلا بضعة آلاف من الأفدنة على الأكثر كل سنة ، فتح السد العالي من قبل شوطا طويلا . والمشروع يحول ٧٠ مليون فدان من زراعة الخضاس الى الزراعة الدائمة في الصعيد ، ويستصلح للزراعة ٣٠ مليون فدان في برارى الدلتا . والمقدر بعامة ان المساحة الرراعية سترتفع من نحو ٦ ملايين فدان الى ١٧ مليون ، وبالتالى ترتفع المساحة المحصولية من ١٠٠٤ الى ١٣٠٣ مليون فدان . بل يقدر البعض أن المساحة الزراعية قد تصل في النهاية الى ٩ ملايين فدان ، أى بزيادة ٥٠٪ عن المساحة الحالية لتكون ثورة زراعية جديدة حقا .

غير أن المقدر أن نمو السكان سيظل يلاحق مكاسب السد العالي . ففي ١٩٧٠ سينخفض متوسط نصيب الفرد من كل من المساحة المزروعة والمحصولية عما هو عليه الآن ! أى أن نمو السكان كما يتبعل الآن دخل القناة - أو ما يعادله - في استيراد الغذاء ، فانه كقيل بأن يتبعل مكاسب السد العالي هو الآخر رغم ملحته

القطن وصولا الى الهدف الكبير « من الألياف الى المنسوجات from fibre to fabric »

كذلك فقد اقتحمت مصر الصناعة الثقيلة ، وعرفت الأسواق الخارجية ، وأن كانت تستهدف أساسا اشباع الاستهلاك المحلي . وطبيعى أن يظل دور الصناعة في العمالة محدودا (١٠,٦ ٪ في ١٩٦٠) ، لأن الصناعة تكتيكيا - كثافة حيث الزراعة مساحة . والصناعة لا تحل مشكلة العمالة أساسا ولكنها بالتأكيد تحل كثيرا من مشكلة السكان بدخولها المرتفعة .

تلك هي الملامح الرئيسية والأركان في تنميتها الاقتصادية وامكانياتها . غير أن المتفق عليه انها وحدها في النهاية لن تحسم مشكلة السكان كلية ، إذ أن هذه ارث متراكم ، فضلا عن أنها مشكلة ديناميكية لا تكف عن النمو مع كل حل تجابه به وقد أصبحت مشكلة السكان تحديا خطيرا لا لوارثنا الطبيعية فحسب بل ولواهبنا البشرية كذلك . والتنمية الاقتصادية مطلب وضرورة . وهي جدية بأن تغير وجه مصر وشخصيتها في المدى البعيد لتضعها في المكان اللائق بها تحت الشمس . ولكن وجه مصر ومكانها سوف يترك على الحال الجبرى لمشكلة السكان . لا يعرف من أن نعتزف انها تكاد تشوه بحرف يسميها - وهذا ما ينقلنا الى الحل الآخر ، ضبط النسل .

ولضبط النسل أعداء رومانتيكيون تقليديون ، يجمعون - للفرابة - ما بين أشد العناصر تطرفا في الدين كالكانونيك ، وبين أشد العناصر بعدا عنه وهم الماركسيون ! وهي مصر لم تصدم دعاة متحمسين لتكاثر السكان ، بل عرفت مصر - على تصغير ومتأخرا - مشادات كالمشادات الديموغرافية التي عرفتها أوروبا منذ مalthus . فالجدل المalthوسي تكرر في مصر في الثمانينات الماضية بين روسي بك داعية التكاثر المتغالل على مذهب جودوين ، وبين كولوتشي باشا Colucci « مalthوس مصر » كما سمي . وفيما قبل الحرب الأخيرة كان كيلاند - أول داعية المalthوسية الحديثة - هو برادلاو مصر ، وكما حوكم برادلاو حورب كيلاند . ولكن المalthوسية الحديثة وجدت مدرسة كاملة من الانتصار بين العلماء والمتفنيين المصريين . غير أن نكسة المalthوسية البائدة خلال القرن العجيب - « القرن التاسع عشر -

في القداء ، وكان القطن لا يزال « ملكا » فإن كلية الدليل الى المستقبل قد تكون « من الألياف الى البساتين » ، بحيث تصبح مصر ، التي كانت مزرعة لالتكثير ، حديقة افرقيا وكاليفورنيا أوروبا كما يتحلى البعض .

الى هذا الحد اذن يمكن للموضع في مصر أن يتكثف ويتعمق . ولكننا في هذا قصرنا الحديث على الزراعة والوادي . غير ان لامكانياتنا ابعادا واعماقا أخرى لا تقل خطورة - أن مصر لم تكن قط ولا يمكن أن تكون « دولة مبادئ » ، ولكن صحرائنا قد برزت وجودها أخيرا بفضل الكشف العلمى المخطط . فعند أروسة معقولة من الفوسفات والحديد وبعض الفحم ، يبدو أن مصر على أبواب ثورة بترولية مذكورة ، وأنها ستتحول من « دولة زراعة بلا بترول » الى دولة من دول الزراعة والبترول .

ومعنى هذا جميعا أننا بعد أن كنا نعتمد على موارد السطح وحدها ، أضعنا الموارد الباطنية ، أى بعد أن كنا نعيش على موارد الجفرايا أضعنا موارد الجيولوجيا . وبذلك ازدوجت قاعدة بنائنا المادى وأصبحت « ذات طابقيين » كما يقال . هذا عمقا تحب الزراعة . ولكن - كما يقال - يأتي طابق أو بعد ثالث وشأنه يسمح كيانا صلابة لم يعرفها من قبل ويعطي سكانا طاقة روحية . انها الصناعة وقد سجلت الصناعة اعظم نمو شهده الإطار القومى المعاصر فمن ٧,٨ ٪ من قيمة الدخل القومى في ١٩٥٠ ، ارتفعت الصناعة الى ٢١,٣ ٪ في ١٩٦٠ - أى أكثر من تضاعفت في عقد ، ولا زالت توالى صعودها . والخطوة العشرية التي كانت تهدف أصلا الى مضاعفة الدخل القومى بين ١٩٦٠ - ١٩٧٠ ، تهدف داخليا الى أن تقلب المحصر النسبية لكل من الزراعة والصناعة في الدخل القومى بحيث تكون ٢٤,٥ ٪ للزراعة مقابل ٣١,٣ ٪ في الصناعة . فإذا تم هذا فلا مفر من أن نقسول حينئذ ان مصر الزراعية قد تركت مكانها لمصر الصناعية نهائيا والى الابد .

على أننا الآن « دولة صناعية » بمعنى ما ، وإن ظلت الزراعة الأساس . وقد تطور هيكل الصناعة جلدريا ، فشملت معظم فروع الصناعة الخفيفة لا سيما النسيجيات حيث تصنع ثلث محصول

- الجراب Sheath and Pessary الا من العرب
وعن طريق العرب ! (٤٤) .
وليس على مصر أن تخشى آثار ضبط النسل .
فهناك قاضى محقق لا سبيل الى ازالته قورا ،
ولا بديل سوى تصفيته بالتدريج . ولن تعرف
مصر يوما خطر تناقص السكان على غرار المثل
الفرنسي ، فان أشد المختصين تفاؤلا لا يرى أن
حصيلة ضبط النسل فى يوم ما ستتنقص
بالسكان عما وصلوا اليه الآن من حجم ، وقصارى
أملهم أن تتناقص الزيادة المضافا لا أكثر .
وصحيح أن ضبط السكان كما قال هروبرت
سينسر من حوافز الحضارة الضاعلة ، ولكن من
الصحيح لذلك أنه اذا زاد عن الحد يمكن أن
يكون من عوائق الحضارة الساحقة والوائدة .
كذلك لا وجه للخوف على قوة مصر العسكرية
من ضبط النسل ، فلا علاقة حقيقية بين «النسب
العسكري» و «النسب السكان» ، ولم تعد
الحرب الحديثة - والعدو الاسرائيلى أقرب دليل
- اليكاسر ، والا لما خلقت هذه الاسرائيل
لحقها ! وانها لتكون مسخرة حقا اذا عارض
أحد ضبط النسل بزعم أنه يهدد ثلاثين مليوناً
بغير مبرر . ونحن نكرر أن ليس بين
«النسب السكان» و «النسب العسكرية»
علاقة حقيقية . بل من الغريب أن يدعو أحد
الى ممانعة «ألفا بير» فى السكان ، فى الوقت
الذى يأخذ المجتمع والدولة بالتخطيط الاشتراكي
فى كل مجالات الحياة . والمجتمع كله فى المركب البيئى
وحدة واحدة من وجهة التوازن الايكولوجى .
وكل تغيير فى أى عنصر مهما تضاعف تستتبعه
حتماً تغيرات فى المركب كله ، وكل مولود جديد
هو «تغيير» فى المركب يمكن أن يؤثر عليه وعلى
توازنه . وليس من الاشتراكية فى شيء أن يترك
معدل المواليد ظاهرة فردية بحتة ، وأن يترك
لأى فرد حرية تهديد كيان المجتمع كله .
وايكولوجية مجتمع السكان كله أشبه بايكولوجية
ماء النهر نفسه : كل مضخة ماصة هنا هي بمثابة
مصخة كابسة هناك ، وكل زيادة فى عدد السكان
هي بمثابة نقص وانكماش فى مساحة البيئة .
وليس سليماً ولا منطقياً أن تمارس ضبط النسل
ولا تمارس ضبط النسل ، فما هذا الا الوجه
الآخر لذلك فى الحقيقة والكامنة الموضوعى له .
ولهذا نتحفظ وان كنا ندرك أن تخطيط النسل -

انعكست على مصر ببعض الدعوات الى نمو
السكان . قرأنا من يدعو مصر قتل الحرب
الثانية الى النمو حتى ٣٠ مليوناً ، بل حتى ٥٠
مليوناً ! (٣٩) . ومثل هذه الدعوات رجعة ساذجة
الى «الكامرالية» القرن الثامن عشر التى كانت
تري ثروة الأمم فى السكان .

غير أن مثل هذه الدعوات غير المسؤولة
اختفت اليوم مع خطورة الموقف وجديته .
وصحيح أن كل طفل يولد بقم واحد ولكن
بدرامين اثنين ، وصحيح أن على كل جيل أن
يحل مشكلته ويترك المستقبل آملاً أن تحله
الاجيال القادمة بملءها الاكثر تطوراً (٤٠) ، ولكن
من الصحيح ايضا أن كل قم يولد «يعمل» طويلاً
قبل أن تعمل ذراعه ، وأن جيلنا وراث مشكله
الاجيال السابقة ، ونحن بالتأكيد نسبىء الى
الاجيال القادمة اذا تركنا لهم المشكله مضاعفة
وصحيح كذلك أن هناك «ضوابط النسل
الاجتماعية» التى تشمل فى التعليم ورفع
مستوى المعيشة والتطور الحضارى والاجتماعى
وغيرها من العوامل غير المباشرة ، او كما
تسلاط «علم اب العداء المصرية» وسريع معدل
المواليد نفسه نفسه . «البيولوجيا البشرية»
دلائل على سائر وانحدار سائر النسل
التجريبية للمعاد المصرية . «البيولوجيا»
ولكن هذه ضوابط بطيئة جداً . ومعنى
المشكلة تسبقها دائماً . بل ان هذه الحلول
اصبحت هي نفسها شبه معقدة او متشعبة
سبب فداحة المشكلة فى ذاتها . وقد رأينا مثلاً
كيف ان التمسدين لم يخفف معدل مواليد
المهاجرين من الريف .

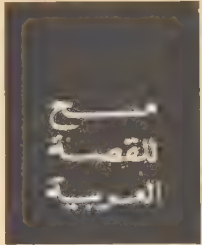
لا مفر اذن من «ضوابط النسل البيولوجية»
لأنها وحدها السلاح الحامس السريع . وهو اذا
كان ، يصطدم بالتقاليد والامية ، الا ان الشائع
هو أن الدين مشكلته . وهنا وجه الخطأ والرابية
معا . فثابت أن الاسلام لا يمنع ضبط النسل
اذا لزم ، بل قد يحث عليه حينذاك . ولسنا
بحاجة هنا أن نكرر كل ما افقت ورنصت به
الهيئات الدينية الاسلامية المختلفة مراراً . ولعله
ليس من الصدفة أن واحدة من أولى الدعوات الى
ضبط النسل فى الاسلام - كلمة عمرو المعروفة
مصر بالذات ! كذلك قد لا يعرف البعض ان
أوروبا لم تصرف أدوات منع الحمل الأولية

قبل « الحياة الجديدة » هي شعارنا الاجتماعي - البيولوجي منذ الآن . وإذا كنا قد رأينا أوجه تشابه سكاني بين مصر من ناحية وبين كل من بريطانيا واليابان من ناحية أخرى ، وأنهم يقعون في النهاية على متحني سكاني واحد شبه حتمي وإن اختلفت مواقفهم منه تاريخيا ، فينبغي أن تكون تجربتهما ، وخاصة تجربة اليابان وهي لم تزل ماثلة للعيان ، درسا لنا . فاليابان لم تجد حلا لمشكلتها السكانية سوى ضبط النسل، ولكن بعد أن مرت بأزمات خطيرة ، ما أغنانا نحن عن مثلها اليوم وإن نحن أدركنا حتمية التاريخ وكان لنا من البصيرة ما نستقيها به .

ككل التخطيط - ينبغي أن يعتمد أساسا على التخطيط بالإنعاق Persuasive Planning وربما استدعى الحال هنا أكثر من الإنعاق ففي هذا المجال الخطير نالذات قد تلزم الرواد كاحتياطي أخير إلى جانب الحوافز .

وبعد ، إن مناط القوة ومحك الحضارة اليوم إنما هو الكيف لا الكم ، مستوى المعيشة لا حجم السكان . ولن يخلص مصر وجهها الحقيقي ولن تنطلق لتحقيق شخصيتها الكامنة الكاملة إلا إذا تحررت من عبء الأفراس السكاني الذي يشل حركتها ويثقل خطاها . ولتكن ضبط النسل هي كلمة المستقبل ومفتاح الحل . لتكن الحياة الجديدة

- L. Jungfleisch, « L'Agriculture égyptienne à la fin du XVIII^e siècle », Egypte Contemp., Fb., 1919, pp. 135-6 (٢٢)
- كرويشل - السابق (٢٣)
- L'Egypte est-elle surpeuplée?, Egypte Contemp., 1942, p. 768 (٢٤)
- « A Population Plan for Egypt », Egypte Contemp., 1939, pp. 741 ff (٢٥)
- Charles Issawi, Egypt, A Social and Economic Survey, p. 195 (٢٦)
- Shiroguchi Nasu, in Population, Harris Foundation, Chicago, 1937, pp. 170-3 (٢٧)
- Jean de Castr, Géog., 1941, p. 181 (٢٨)
- L. Janss, Population, Econ Geog., April 1941, p. 104 (٢٩)
- E. Hyams, Soil and Civilization, 1927, p. 46 (٣٠)
- L. Robbins, Optimum Theory of Population, in London Essays in Econ., Lond., 1927. (٣١)
- J. Beaujeu-Garnier, Géog. de la Population, Paris, 1958, t. I. (٣٢)
- Irene Taeuber ; Beal, in Demographic Studies of Selected Areas, Milbank Memorial Fund, pp. 5-7. (٣٣)
- G. Hamdan, Population of Nile Mid-Delta, Thesis, Rading Univ., 1953, Vol. II, p. 337. (٣٤)
- Pierre George, Intro. à l'étude géographique de la Population, Paris, 1951, pp. 70-5. (٣٥)
- A. Sauvy « Le Faux Problème de la Pop. mondiale », Population, No. 3, 1949, p. 454. (٣٦)
- De Castro, op. cit. p. 25 ; F. Le Gros Clark, For Thousant Million Months, Lond., 1951 p. 24 (٣٧)
- واريس - ص ٥١ (٣٨)
- Julius Issacs, Economics of Migration, Lond., 1947, pp. 104-145. (٣٩)
- كلاند - ١٩٣٦ - ص ١٠٩ - قليب شدياق ص ١٨٠ - عبد الواحد الوكيل ص ٢٢٣ - مجلة الجمعية الطبية المصرية - ١٩٣٧ (٤٠)
- Kenneth Smith, « Some Observations on Modern Malthusianism », Pop. Studies, July 1952, pp. 100-5 (٤١)
- Lewis Mumford, Technics and Civilization, Lond., 1946, p. 260 (٤٢)
- John A. Wilson, in before philosophy, Pelican, 1949, p. 40. (٤٣)
- A.M. Carr-Saunders, World Population, Lond., 1930 (٤٤)
- G. Hamdan, Studies in Egyptian Urbanism, Cairo, 1959, p. 5. (٤٥)
- A.E. Crouchlev, « A Century of Econ Development », Egypte Contemporaine, 1939, p. 135 (٤٦)
- Lot By Aperçu général sur l'Egypte, Paris, 1940, t. I, p. 170. (٤٧)
- Ross Bey, La Population et les Finances, Question égyptienne, Paris, 1878, p. 10. (٤٨)
- محمد عبد الوكيل - مصر اليوم - ص ١١٠ (٤٩)
- « Les Problèmes de la Population Contemporaine 1925, pp. 332-4. H. Azzi, in Social Study of the Population Contemporaine, 1933. (٥٠)
- Revised Pearl Growth of Population, Geog. Soc., London, 1937. (٥١)
- Hist. of Pop., Lond., 1939. (٥٢)
- G. Uday Yule, « Growth of Pop. and Factors which Control it », Jour. Roy. Statistical Soc., 1925, p. 7. (٥٣)
- Shepherd and Richards, « Egyptian Cemeteries », Egypte Contemporaine, 1923, p. 123. (٥٤)
- M. Amer, Some Problems of Pop. of Egypt, Cairo, 1928, p. 21. (٥٥)
- Land and Poverty in Middle East, p. 46. (٥٦)
- مصطفى هسي - مجلة الاتحاد العلمي المصري - ١٩٢٧ ص ٩٩ (٥٧)
- محمد علي علوي - مبادئ السياسة المصرية - ١٩٤٢ ص ١٩ (٥٨)
- A. Grittly, Structure of Modern Industry in Egypt 1949, p. 576 (٥٩)
- اللجنة المركزية للاصحاء - الاتجاهات السكانية ص ٢٠٤ - القاهرة - ١٩٦٢ ص ٦٩ وما بعدها (٦٠)
- I. Bowman, Pioneer Fringe, N.Y., 1931, pp. 77-8. (٦١)
- W. Cleland, Population Problems in Egypt, 1938, pp. 104-6. (٦٢)
- A. Sauvy, « Progrès technique et répartition professionnelle de la Pop. », Population, 1949, p. 322. (٦٣)
- « A Century of Econ Development », loc. cit., p. 151. (٦٤)



بمقام : عبدالحميد ابراهيم محمد

[٢] في العصر الأموي

القصة التي ذكرها صاحب مصارع العشاق «
وقصص فيها تجربتي بكر بن أنس بن مالك مع
صاحبه القتل» تحت عنوان «باب مصارع
عشاق الحور العين» (٤) •

نم كان العصر الأموي - وهو عصر ملي
بالأحداث والمفاجآت - فازدهرت فيه القصة
ازدهارا كبيرا ، تفوقت فيه على ما كانت عليه
في العصر الجاهلي ، وفي صدر الاسلام •

وقد كانت هناك أسباب لهذا الازدهار وذلك
التفوق :

(١) فالحكام والقادة الأمويون كانوا ذوي
اتجاهات جاهلية ونزعات عريضة ، فقد كانوا
يتشوقون الى أحوال آبائهم الجاهليين ، روى
أن الحجاج قال للفرزدق وجريير وهو في قصره
بجزيرة البصرة « اثنيا في لباس آبائكما في
الحامية ، مجاء الفرزدق وقد لبس الدبائح
والغر وقعد في جبة ، وشاور جريير دساسة
سوى ربيع ، فقالوا : ما لباس آبائنا الا
المجدد » (٥) وبدل على شعاع الروح الجاهلي

راينا - في البحث السابق (١) - ولع عرب
الجاهلية بالقصة ، فقد عرفوا الروايات العديدة
منها ، فمن قصص تحكي حول الجان والساقيين
ومن حكايات تعاك حول الأبطال ، ومن أخبار
تنسج عن الأيام •

ونزل القرآن الكريم فانخذ القصة غالباً
لبث الحكاره ، وتبليغ أغراضه ، وانبتت فيه
الروايات من القصص • فمن قصص تنقص حول
الأنبياء والمرسلين ، ومن قصص يحكيها الهدد
والنمل ، ومن قصص تحكي عن أخبار الماضين
كأصحاب الكهف وياجوج وماجوج ... الخ •
ويبدو أن النبي عليه السلام كان مولعاً
بالقصص ، فيروى أنه كان يجلس الى تميم
البادري ويسأله عن خبر الجساسة والدجال
فيقصه عليه (٢) •

وكان بصاحب الدعوة الحميدة الكثير من
القصص التي ترغب في الاسلام وتفر من عبادة
الأنعام ، أو التي تحث على الجهاد وتقضي
ما أعد الله للشهداء ، كذلك القصص التي
يقصها رجل من أهل نجران من بني الحارث
ابن كعب عن سبب اسلامه (٣) ، أو كذلك

في هذا العصر ، أن من كان يتفقد ثقافة جاهلية يشجع ذكره بين الناس ، فعذيفة ابن شداد بن كعب ، كانت له ابنة قد شاع في العرب ذكرها بالحسن والقصاحة وحفظ أيام العرب وإنسابها وأشعارها ، وقد رآها نوبة بن الحير فائقن بها (٦) .

ومن هنا أبداً فاقول : ان شيوع القصة في العصر الأموي ، كان امتداداً لشيوعها في العصر الجاهلي ، وأن الأمويين قد حافظوا - في هذه الناحية - على تراث أجدادهم الجاهليين . (ب) ثم كانت القصص في القرآن ، وفيها اشارات مجيدة عن ناقة صالح ، وعن همدان سليمان ، وعن معجزات موسى ، وعن أحوال عيسى وزكريا ويحيى ، وعن أخبار أهل الكهف ... الخ .

وكان لا بد أن تختبر القصص والحكايات ، لترضى هذه الحاجة الناشئة ، وأن تلمس هذه القصص أحياناً من أخبار أهل الكتاب ، وأحياناً من الخيال المحض ، يحكى السيوطي في حديثه عن العلوم المستنبطة من القرآن قول بي العنصر المرسى في تفسيره :

• ولمحب طائفة ما ... من قصص ...
السائلة ، والأيام الحالية ...
ودنوا آثارهم ووقائعهم ...
الدنيا ، وأول الأشياء ، وسموا ذلك بالتاريخ أو القصص (٧) .

واشتهر العصر الأموي بأسماء قصاص حاولوا أن يشبعوا هذه النزعة الجديدة . مثل كعب الأحبار ، وهو يهودي من اليمن ، وينسب إليه كتاب في حديث ذي السكفل (٨) . وعن كعب هذا أخذ عبد الله بن عباس ، وهذا يعطل ما في تفسيره من إسرائيليات وعبيد ابن شربة الجرهمي ، وله من الكتب كتاب الامثال وكتاب الملوك وأخبار الماضيين (٩) . وهوب ابن منبه ، وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء وسير الملوك (١٠) وقال فيه السخاوي انه كثير الخرافات (١١) ، وله كتاب الاسرائيليات وله كتاب قصص الانبياء (١٢) .

(ج) ونجى الى منبع آخر من منابع ازدهار انقصة . وهو الحديث الشريف ، وذلك لأن

الخصومات السياسية بين علي ومعاوية ، وبين الحسين ويزيد ، وبين ابن الزبير وعبد الملك وبين المختار الثقفي ، مرة مع الأمويين ، ومرة مع الزبيريين - هذه الخصومات دعت البعض الى أن يضع حكايات يؤيد بها وجهة نظره ، أو يدحض بها وجهة نظر مخالفه ، ثم رأى أن يكسب حكاياته قوة فينسبها الى النبي عليه السلام ! وما حديث السفياني الذي اخترقه الشيعة ، وحديث السفياني الذي اختلقه الأمويون ، وما يحدث بينهما من قتال الا مثلال لهذا النوع من الحكايات .

(د) ثم كانت غزوات الرسول مجالاً خصصها لافتنان المفتنين ، وخيال المتخيلين فالعرب في جاهليتها كان يستهويهم حديث الأيام ، وما يحاك حول أبطالها من قصص ، وما ينشد فيها من اشعار ، وما يكون فيها من خلق يصبر عن المثل الأعلى عند العرب ، فلما جاء الاسلام نهى عن العصبية والقبلية ووجد العرب ، فوجد العرب في مغازي الرسول فرجة يصيدون فيها حديث الذي يشبه حديث أيام العرب ، ولو وحشت الى الأيام في الجزء الثاني من العقد ... الخ ...
والثاني ... الخ ...
بشأنها ... الخ ...
الاحداث ، كما كانت تدور حول أشخاص أيام العرب ، والأشعار تطرح في المغازي كما تطرح في الأيام ، والخلق العربي كالضخامة والتضخيم والشجاعة ... ظاهر في المغازي كما هو ظاهر في الأيام .

وفي العصر الأموي لمحت أسماء تقص أخبار المغازي وتؤلف فيها ، فغالخ بن عبد الله القسري طلب من محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أن يكتب السيرة له (١٣) ، وتسب اليه السخاوي كتابا يسمى « مشاهد النبي » رواه عنه يونس بن يزيد ، وقد روى عنه المغازي حجاج بن أبي عتيق (١٤) .

واذا أخذنا برأى الاستاذ فيك Vlek من أن كتاب محمد بن اسحاق (توفي سنة ١٥٠ هـ) الذي رواه عنه ابن هشام ، لم يؤلفه في بغداد أو الحيرة أو بأمر من الخليفة المنصور ، بل ألفه في المدينة قبل اقامته لدى العباسيين ، بدليل

أن فيه بعض الأحداث التي لا يرضى عنها
 العباسيون ، كاشتراك العباس في بدر إلى جانب
 الكفار ، وأسر المسلمين له (١٥) - إذا أخذنا
 بهذا الرأي فإننا نعتبر الكتساب من التراث
 القصص في العصر الأموي - وعروة بن الزبير
 كان يحكي الكثير من هذه الغزوات ، مما
 نستطيع أن نتلمسه في ابن اسحاق والواقدي
 والطبري ، وقد روى عنه الغزالي أبو الأسود
 والزهرى (١٦) ، وكان يسارع إلى إرضاء
 حاجة السائلين ، حدثنا هشام بن عروة عن
 عروة أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان فكتب
 كتبت إلى في أبي سفيان ومخرجه ، تسألني
 كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه ٠٠ (١٧) -
 وكان المسلمون يحرسون على أحداث الغزاي
 ويقرؤون العارفين بها ، فمن سعيد بن المسيب
 قال ، بينما نحن عند مروان بن الحكم ، إذ
 دخل عليه حاجبه ، فقال : هذا أبو خالد
 ابن حزام . قال : أئذن له ، فلما دخل حكيم
 ابن حزام قال : مرحبا بك ، يا أبا خالد ، أدن
 فحال له مروان عن صدر المجلس حتى كان بينه
 وبين الوسادة . ثم استقبله مروان فقال :
 حدثنا حديث بدر (١٨) ؟

(هـ) وربما كانت طبعه لما خره كمن
 الأمويين ، والمسلمون من ذرائعهم ، أدت إلى
 ازدهار هذا النوع من القصص التي كانت تدور
 حول شخصية النبي عليه السلام ، فأصل الكتاب
 حين أسلموا أكثروا عن أنبيائهم ، وقد تتبعنا
 في تفسير ابن جرير كثيرا من الآيات التي وردت
 عن بني إسرائيل ، فإذا بطل الرواية منها
 وهب بن منبه ، وقد ذكرنا من قبل أنه كان من
 يهود اليمن وأسلم ، فكان يقص ما جاء في كتب
 اليهود من غير تحر دقيق ٠٠٠ كما تتبعنا كثيرا
 من الآيات التي وردت عن النصاري فإذا كنسر
 مما يرويه الطبري عن ابن جرير ٠٠ ويقول
 عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ :

« انه من أصل رومي ، فهو نصراني الأصل
 ويقول عنه بعض العلماء : انه كان يضع الحديث
 وأنه تزوج تسمين امرأة زواج متعة ٠٠ (١٩)
 وإزاء هذا الطرفان من مبالغات اليهود
 والنصارى ، اندفع بعض المسلمين إلى الحديث
 عن نبيهم أيضا حديثا فيه الكثير من القصص
 والوضم ، فإذا أظن ابن منبه في الحديث عن

موسى ، وأسرف ابن جرير في الكلام عن عيسى ،
 لم يبق أمام قصاص المسلمين إلا أن يكثروا من
 الحديث عن محمد ، ليعارضوا أصل الكتاب
 بهذا - عقد السيوطي فصلا لأكاذيب العرب ،
 ختمه بهذه العبارة .

« وحدثنى التوزي قال : سألت أبا عبيدة
 عن مثل هذه الأخبار من أخبار العرب ، فقال :
 إن العجم تكذب أيضا فتقول كان رجل تصفه
 من نحاس ونصفه من رصاص ، فتصارعها
 العرب بهذا وما أشبهه (٢٠) »

وعلى هذا فالقصص التي وردت عن أنبياء
 وشخصيات سابقة على الإسلام ، وتنبأ بظهور
 الدعوة المحمدية والترويح لها موضوعا لتجديد
 السيرة النبوية والتنبؤ بها قصة الحارث
 ابن مضاض الجرمي التي يقول فيها لرفيقه :
 « يا بني هل ولد في بني مضر مولود اسمه
 محمد : قلت له : لا . قال : إن ولد ، والا
 في حينه ويعلو دينه ٠٠ (٢١) »

رأه بعد أن كتب « التظافر والتناصر » الذي
 سببه المؤرخون إلى دغفل المنسابة البكري ،
 ما هو إلا كتاب موصوع على هيئة مجالس
 « سيرة النبي » ، يتتبع فيها سيرة النبوة ،
 « يا دعوه السيرة التي تنبأ بها وتوقعها
 من العرب قبل شرونها » ويتضح هذا
 جلياً في الثامن عشر الذي سأل فيه معاوية
 دغفلا .

« من أبلغ العرب في ثائه ؟ فقال دغفل :
 ذلك النابغة الذبياني حين دخل على الحارث
 ابن أبي شمر ، يطلب إليه في أسارى قومه »
 فقد جاء في خاتمة كلام النابغة للحارث :
 « فانك من سرورات قططان ، وأنا من سرورات
 عدنان وستجيب نبيا شامخ البنيان ، عظيم
 الشان ، واضح البرهان ، يقال له محمد
 صاحب البيوت والاركان ، وجدناه في كتب
 موسى وعيسى عن الأخبار والرهيان ، وأنت
 تعرف قول يا سيد الكهول والشبان (٢٢)
 إذ يبدو لي أن هذا الكلام بما فيه من سجع
 متكلف ، وما فيه من لغة ساذجة ، بعيدة
 عن الجزالة والنحولة ، لا يمكن أن يكون من
 أسلوب النابغة صاحب المعلة ، ولا يمكن
 أن تنسب لشاعر من العصر الجاهلي ، ومن
 ناحية ثانية ، فإن النابغة لم يتنبأ بظهور

محمد عليه السلام ، وحتى على فرض نبوته
فإنها لم تصح ، لأن الحارث لم يجب صاحب
الموت والأركان .

(د) وتؤثر طبيعة المفاخرة في نوع آخر من القصص ، وهي تلك القصص التي حكاها عبيد بن شريك الجهمي أمام معاوية واعتقد أن عبيدا كان يخلق للأحداث التي تجدد ملوك قحطبان أو على الأقل يبرز ملك الأحداث ، ويقص فيها ، وبلغت النظر إليها ، ليعتبر بامجاد ملوك اليمن وحضارتهم العاربة أمام أمجاد قرش وحضارتها الطارئة ، بل انه يرجع أمجاد المدنانيين الى يرب قحطان ، فهو أول من تكلم العربية ، ولمشرك عبيدا يكمل افتخاره :

و ٠٠ حتى كان اسماعيل ٠٠ وبنه ابراهيم
(ص) من بلاد فانزله بمكة ، فكننا نحن
جرهم اهل البلد الحرام ، فشى اسماعيل وينا
وتكلم بكلام العربية ، وتزوج منا فجميع ولد
اسماعيل من بنت مضاى بن عمرو الجهمى
واسماعيل وابوه منا ، وانتم يا قريش حيا ،
والعرب بعضهم من بعض ٠٠

تحدث عن حديث الجاهلية -
 فيستدرك عبيد ويقول: **بئسك في الإسلام**
 ما يفنيك عن ذلك فقد حقق الإسلام ما كان
 قبله كما حقق الشمس ضوء العمر (٢٤) .
 بل إن معاوية ليثور أمام تلك اللهجة من
 عبيد ، وذلك بعد قول عبيد لمعاوية :
 « انك لتكلفني اقول قوم قد ذهبوا ..
 كانوا ملوكا فاذا قالوا سفروا غيرهم لقدرتهم
 وعظمتهم »

فريد معاوية : « ان تكن حمير لنا ذكرت
 فقد أوردنا الله ذلك من ملكهم فهو لنا اليوم
 » فانتزع الله لنبية محمد (ص) وهو منا
 فنحن أسرته وخير الناس بعده ، ولولا لم تكن
 شيئا وجعل حمير لنا ، والحمد لله الذي اكرمنا
 بنبية وأوردنا أرض أعدائه الحابرة العاتة (٢٤)
 وهالك نموذجنا من أحبار عبيد تقسم
 فيه راحة الفض والتجديد ، يتحدث عبيد عن
 ناصر المم بن عمرو بن يعقوب بن عمرو »
 يقول :

اجتمعت عليه اليمن ، وبعث الجيوش الى كل

من نواوه ، ووطى البلاد التى كان اباؤه يطونها
واشد سلطانة قسماه قومه ناشر النعم ، قال
معاوية : ولم سماه قومه بهذا الاسم ؟ قال
عبيد : يا معاوية .. انعم عليهم فيما ارتجم
من ملكهم وجمع الامر لهم . قال ثم ساس
بنفسه غازيا نحو القرب فبوخها ، ووطنها
حتى بلغ وادى الرمل ، لم يبلغ ذلك الوادى ولا
تلك الارض من اهل بيته عسيرة فلما اتى الى
الوادى الذى يسيل زملا ، لم يجد مخرجا
ولا مدخل ، حتى جاءه النسب فلا يجرى
قلم يجده ، وامر وجلسا من اهل بيته يصغر
الوادى ، وكان يقال له عمرو بن زيد باصحابه
فلم يرجع منهم احد فلما رأى ذلك ناشر النعم ،
كف عن العبور ، وامر عند ذلك بصنم من
يدانى - فصب على صخرة ثم كتب على صدر
ذلك الصنم بكتاب المسند وهو كتاب الحمري ،
ايبانا من شعر كتابا ابتغته حمير لان لا يكتبه
... ، فذكر فيه صفتهم وما بلغوا . قال
... ، فما الكتاب الذى كتبوا والشعر ؟ قال
... ، كتب فيه ، صنع هذا الصنم الملك
الحمري ناشر النعم الحمري ، ليس وراء هذا
... ، حد انشر به فصب
... ، ثم انصم بعل منها

الصائم الذي حيا مكانه
 فليشكره المقل والمهول
 نصبت . فلم ازل صمتا مقبلا
 خبير للشباب وللكهول
 فما احدث يجاوزني فيحييا
 الى الجليل المثل على المهول
 ليعلم من اتاني من امامي
 فليس له ورائي من سبيل
 «ال معاوية . انك لتجربنا عجا . قال :
 من امر الله . ان امر خير كان اعجب من
 ذلك في مسيرها السبل واستخدامها
 العباد . . (٢٥)

(ز) ثم ان الحياة في مصر الانوى تعقدت من نواحيها السياسية والاجتماعية ، فالفلسوف قد اسقطوا دولة فارس ، وقضوا على حكمها ، كبر من دولة الروم ، فراقوا حضارات جديدة لم يهدوها من قبل في صحرائهم ، فمن حكمه للهند ، الى فلسفة اليونان ، الى آداب افروس .

حقيقة أن الترجمة لم تشط في هذا العصر ، كما تشط في العصر العباسي الأول ، ولكن هذا لا يمنع أن العالمين على هذه الدولة ، قد راعتهم الأمور الجديدة والطريقة في الممالك فصرعوا يتبعون أخبار هذه الممالك ، ويبحثون عن سير هؤلاء الملوك ، على أن يجدوا فيها حلا لمشكلاتهم الجديدة ، التي نشأت بسبب تعقد الحياة وشابكها . فيحكون أن معاوية كان « يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأبامها ، والعجم وملوكها وسياستها لرعيها وسائر ملوك الأمم وحروبها ومكائدها ، وسياستها لرعيها ، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة » . ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم ، فيقعد ، فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها ، والحروب والمكائيد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكوا بحفظها وقراءتها ، فتسر بسمعه كل ليلة جميل من الأخبار والسير والآثار وأسواق السياسات » (٢٦) .

بعد إيراد جملة من أخبار العرب وديارهم وسيرهم ولربما راعها لرعيها وسائر ملوك الأمم فيحربونها ويهددها . - يعلق على هذا بقوله « نكم مره كان ذلك في تاريخ معاوية ؟ لا ندرى » - ولكننا ندرى من بقية النص كما أورده المسعودي أنه كان يفعل ذلك كل يوم ، ثم يعلق على الخبر بقوله : « والطاهر أن الخبر بعيد عن التصديق ، فقد أورده المسعودي على صورة فيها مبالغة ، فقالوا : أنه يجلس لأصحاب الأخبار كل ليلة بعد العشاء إلى ثلث الليل ، ثم ينسام الثلث الثاني ، ثم يأتي أولئك الغلمان فيقرءون عليه ما في تلك الكتب ، وهذا قد يحدث مرة أو مرات ولكنه لا يمكن أن يكون كل ليلة » (٢٧) ولا اعتقد أن في الخبر مبالغة ، فقد ذكر المسعودي في هذا النص نفسه أن معاوية أوقانا للراحة إذا خلا فيها في منزله لا يطعم فيه طامع ، وأن هذا يكون بعد رفع الغداء مرة ويكون بعد صلاة العصر مرة ثانية . على أن معاوية من الرجال الأفذاذ مؤسس الدول الذين يجوز أن يفعلوا ما لا يفعله الإنسان

العادي . وقد كان هم باخلاقه جماعه بعده مثل عبد الملك بن مروان وغيره فلم يدركوا خلفه ولا اتقاه للسياسة » (٢٨) . وربما كان نتيجة للحضارة وتقدمها از تخصص بعض الناس في حكايات معينة ، والفاضل وأشباه تخصصا في خلق النواذر بالحكايات الغريبة لاصحابك أهل المدينة وسليتهم (٢٩) . ويبدو أن محمد بن بشير الخاوي تخصص في الحكايات التي تتعلق بالصيد . فالجاحظ يذكر أن نسوة أزدن أن يختلن سليمان بن عبد الله الأسلمي وابن أخ له فارسلن اليها « أما خرج أزواجنا للصيد وقد بلغنا أن لكم صاحباً يعرف من طلب الصيد ما لا يعرفه غيره ، فلو طرح لهما شيئاً من ذكره لاسرعوا إليه ونخلفتم وتحدثتم ما شئتم يستن به محمد بن بشير » قال محمد : « فصرت إليهم وذكرت لهم الصيد فخرجوا معي ، فما زلت أحدثهم بالصدق حتى أخلت في الكلب مما ~~يطلع الصليق حتى التفتيه~~ ، فاقمت معهم ثلاثة أيام ، ثم خرجوا من غير أن يذكروا لي ذلك » .

طالت و دوت حسب
أما نرى من رهبر ولا حور
عز لأعجبهم بهم ، كيف أخذتهم
لم كيف آتاك قوما ما بهم رهق
أطل في الأرض الهيمهم وأخبرهم
أخبار قوم وما كانوا ولا خلقوا (٣٠)

(ج) ويسعد أن الخلفاء الأمويين كانوا يميلون إلى السمر والمطامير . وإلى القصص والحكايات فحين ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة ، وانتظمت إليه الأمور ، استحصرت ليلة خواص أصحابه ، وذاكرهم وقائع أيام صفين (٣١) ، وكان من أخلاقه أنه إذا صلب الفجر يجلس للقاص حتى يفرغ من قصصه (٣٢) وكان أفضل لذاته في آخر عمره المسامرة وأحاديث من مضى ، ومن أجل ذلك استدعى عبيد بن شربة الجرهمي ، واتخذ سميره يقص عليه وقائع العرب وأخبارها وأشعارها ، وأمر أهل ديوانه وكتابه أن يوقعوه ويدنوه في الكتب (٣٣) .

وعبد الملك بن مروان قبل أن تقضى إليه

أحدهما الأخيار بما يوافق خبرا مسموعا ،
والثاني الأخيار بما وافق عرضا من أعراس
صاحب المجلس ، واني لم أسمع بحضرة
أمير المؤمنين طريقة فأنهوا نحوها * فقال له
الولييد : ها نحن نقترح عليك ما نقصه .

قد بلغنا أن رجلا من رعيتنا سعى في ضرر
ملكنا ، فتأثر سعيه وشق ذلك علينا ، فهل
سمعت بذلك ؟ » فجعل الرجل يقص عليه
قصة توافق غرض الوليد ، فقص عليه قصة
عبد الملك مع عمرو بن سعيد بن العاص ،
وقصة الثعلب المسمى « مفوضا » مع ثعلب
آخر يسمى « ظالما » (٤٠) . وروان
ابن محمد الجعدي - مع ما كان فيه من ثقل
بين الزارية واليمينية ، ومن تصدع في البيت
الأموي - كان « يديم قراءة سير الملوك ،
وأخبار حروبها ، من الفرس وغيرها من ملوك
الأمم » (٤١) .

وسار القادة والرؤساء على الدرب نفسه ،
فحدثهم عن القسري كان يجب عن
... به فله ، فامر له
... بسم الله (٤٢) .
... سيرا وهو سيرة بن الجعد
... من الحديث الا وجد عنده
... ذات ليلة ، فبست الى
... اني أرتقت ، فحدثني
... على طول ليلي ، وليكن من مكر
النساء وفماهن ، » فقص عليه قصة مشوقة
ذكرها الحافظ ، وعقب عليها الحجاج بقوله :
« لله درها ما أحسن ما احتالت لاستخراج
حقها » (٤٤) .

وهكذا نجد الحضارة ، وطبيعة الترف
والملك ، يدفعان بالقصة والحكايات الى منافسة
الشعر لدى الخلفاء والقواد . وكل هذا وغيره
يدل على مدى أثر الحضارة ، واشتياك الأمور
وتعدد الأشياء في المسامرة ، وأنواعها ، وما
يقصد منها ، وما يتبع المسامرة عادة من
حكايات واقاصيص ، قد يراد منها مرة
تعرف ما عليه الملوك الآخر من عادات
ومياسات ، كما كان حال معاوية مع غلمانا ،
وقد يراد منها ثانية مجرد الاضحاك والتسلية
كما فعل روح مع عبد الملك ، وقد يراد منها
ثالثة العبث والمطعة والافتقار بأحوال الغير

الحلافة كان يجلس في ظل الكعبة أيام الموسم
مع قبيصة بن ذؤيب ، وعروة بن الزبير
ومالك بن عماره اللجعي ، فلما أقضت اليه
الحلافة جعل يحادث مالك بن عماره عشرين
ليلة يسأله مره عن العراق ، وآخرى عن
الحجاز (٣٤) ، « ولا انفي الأمر الى عبد الملك
ناقت نفسه الى محادثة الرجال والأشراف في
أخبار الناس ، فلم يجد من يصلح لمناذته غير
الشعبي » (٣٥) ، وكان جليسه ومضحكه
روح بن زنياع (٣٦) ، وقد رأى منه روح مرة
اعراضا ، فشكى حاله لابنه الوليد ، فقال له :
« احذر » في حدثت مضحكه به ، كما احتال
مروان بنده ساجور بنت مارس ، « وأخبره
أمر مرزبان ، اد ظهرت له من سابور جفوه
فتعلم نباح الكلب ، وعي الذئب ، ونهيق
الحير ، وزقاء الديوك ، وشجيج البغل وصهيل
الحيل ، حتى استطاع أن يضحك الملك ضحكا
شديدا وإن يرض عنه في النهاية » وقد عمل
روح بعد سعة الوليد ، واخترع قصة من
ابن عمر وابن أبي عتيق « وضحك على ذلك
حتى فحس برجله » ،
« ما أطيب حديثك » ، « ... »
حداثة (٣٧) .
وسليمان لا يجد لذة بعد
واكبات ، واستامدة ...

« قد أكلنا الطيب ، وليسما الذين وركبنا
الفاره ، ولم يبق لذة الا صديق ، اطرح مي
فيما يبسى وبينه مؤنة التحفظ » (٣٨) .
« وقيل للوليد بن يزيد : ما بقي من لذاتك ؟
قال : محادثة الإخوان في الليالي القمر ، على
الكتبان العفر » ، وبلغ الوليد عن شراعة بن
الزبدورود ، حسن عشرة ، وحلاوة مجالسة ،
فبست في احضاره (٣٩) . « وحين ضاق
يفعل ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك
الذي نازعه الحلافة ، استدعى رجلا فقال له :
« أحسن المسامرة للخلفاء ، فقال : نعم ،
يا أمير المؤمنين ، فقال له الوليد : ان كنت
تجسسا فخيرها ما هي » فقال : ما أم
المؤمنين ، المسامرة اخبار شخص ، واضات
لخير ، ومفاوضة فيما يحب ويليق ، فقال
له الوليد : ... فقل ، اسمع لقولك ، فقال
الكهل : نعم ... ولكن المسامرة صنفان ...

كذلك القصة التي قصها مسامر الوليد بن يزيد .

(ط) ثم ان الامويين كانوا على جانب كبير من المكر والدهاء السياسي ، فعين وجدوا أن القصص تروح لدى العامة ، ويقبلون عليها ، راوا أن يستغلوا هذه الناحية في تثبيت أركانهم وتديم سلطانهم ، فقد روى أن معاوية حين بلغه أن علياً قُتِل ، فدعا على قوم من أهل حربة أمر رجلاً يقص بعد الصبح ، وبعد المغرب ، يدعو له ولأهل الشام ، قال يزيد وكان ذلك أول القصص (٤٥) ، بل ان معاوية لم يعد نظره جعل ذلك من المناصب الرسمية المهمة التي تضاهي القضاء ، ثم ولي سليم ابن عترة التجبي على القضاء في أيام معاوية ابن أبي سفيان ، وجعل اليه القص والقضاء جميعاً ، وكان يقص على الناس ، وهو قائم . وهو من العباد المجتهدين ، وكان يختم القرآن في الليل مرات ، (٤٦) .

ولعل ابن عمر يعني هذا الجانب الرئيسي في القصص حين قال :
« لم يقص في زمن رسول الله ، ولا عمر ، ولا معاوية ، ولا علي ، ولا في زمن معاوية » (٤٧) ، ابن عمر ، أو رواية يزيد بن حبيب عن أبي جعفر الرافعي يعصم فيقول :

« ولم يكن القصص في زمن النبي (ص) ، ولا في زمن أبي بكر وعمر ، لاجتماع كلمة المسلمين » . وإنما أحدث القصص في زمن معاوية ، حين كانت الفتنة بين الصحابة (٤٨) ولهذا حين ترد مثل تلك العبارة - مثل الاسلام والسلطان مثل العمود والفسطاط ، فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان ، والأوتاد الناس ، ولا يصلح بعضها إلا ببعض (٤٩) .
أعتقد أن مثل هذه العبارة ، لا تصدر عن نية خالصة لإرشاد الناس ، خاصة إذا عرفنا أن قائلها كعب الأحمار ، وهو يهودي (٥٠) لا يهيم إصلاح الاسلام ولا السلطان ولا الناس ، وإنما الذي يهيم الزلفى والتقرب إلى السلطان فحسب .

هذه هي أهم الأسباب التي أدت إلى ازدهار

القصة - بوجه عام - في العصر الأموي .

بقي أن أتحدث الآن عن أنواع القصص في العصر الأموي :

بعض القصص هذا العصر امتداد لقصص العصر الجاهلي مع تحوير يسير يناسب الظروف . وبعضها امتداد فركه قصصية جاهله ، ولكنها في العصر الأموي ليست ثوبا جديدا وتركزت حول موضوع جديد وبعضها كان له أصل في العصر الجاهلي ، ولكن في هذا العصر تشعبت فروعه ، وتنوعت أفاقته .

وسأتحدث بالتفصيل عن كل نوع من هذه الأنواع .

١ - من القصص التي كانت موجودة في العصر الجاهلي ، ثم استمرت في العصر الأموي مع تحوير يسير في بعضها يناسب الظروف .
انقصت التي كانت تروى حول الأساطير .

من مروف في العصر الجاهلي ، أما بعد . . . وفي هذا العصر استغله في خطبه ، وحوروه فمن ذلك القصة كتب أبو ذؤيب وهما لا يفي بالهدف ، كالميداني . أصل هذا المثل على ما حكته العرب في لسان الحية أن أخوين كانا في ابل لهما ، وكان بالقرب منهما واد خصيب ، وفيه حية نحيمه من كل أحد ، فقال أحدهما للآخر : يا فلان ، لو أتيت هذا الوادي المكلى ، فرعيت فيه ابل وأصلحتنا ! فقال له أخوه : أتى أخاف عليك الحية ، ألا إن أحدا لا يهبط ذلك الوادي إلا أهلكته . قال : والله لأفعلن ، فهبط الوادي . ورعى به ابله زمانا ، ثم إن الحية نهشته فقتلته ، فقال أحد قواها ما في الحياة بعد أخي خير . فلابطن الحية ولاقتنها ، أو لا تبعن أخي . فهبط ذلك الوادي . وطلب الحية ليقتلها ، فقاتل الحية له : ألسنت ترى أتى قتلت أخاك ، فهل لك في الصلح ، فادعك بهذا الوادي تكون فيه ، وأعطيك كل يوم دينارا ؟ فكسر ماله حتى صار من أحسن الناس حالا ، ثم أتته

أيام ، كل يوم تخرج إليهما دنيارا ، فقال أحدهما لصاحبه : إلى متى نتنظر هذه الحية ؟ ألا تقتلها ؟ وتنفق هذا الكثر فتأخذ ، فنهأ أخوه وقال : ما تدري ، لعلك تعطب ، ولا ندرك المال ، فأبى عليه . وأخذ فأسا معه ورصد الحية حتى خرجت ، فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها ، فشارت الحية فقتلته ورجعت إلى جحرها فقام أخوه فدفنه ، وأقام حتى إذا كان من الغد خرجت الحية مصحوبا رأسها ليس معها شيء فقال : يا هذه أتني والله ما رضيت ما أصابك ، ولقد بهيت أخى عن ذلك ، فهل لك أن نجعل الله بيننا ألا تضربى ولا اضربك وترجعين إلى ما كنت عليه . فقالت الحية : لا . قال : ولم ذلك ؟ قالت : أرى أعلم أن نفسك لا تطيب لي أبدا وأنت ترى قبر أخيك ، ونفسي لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجيرة ، وأنشدهم شعرا بالآفة :

عند ابن يسرا برأه مقسابل

وضربة فأس فوق رأس فاعسرة
ويك عمر بن الخطيب
فسمعت له
ولمعلم يترنم إليكم عسان فكان سهلا فعدوتم
عليه فمسنوه ، وبنا عليكم مسلما يوم الحرة
فقتلناكم ، فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم
لا تحبوننا أبدا وأنتم تذكرون يوم الحسرة ،
ونحن لا نحبك أبدا ونحن نذكر قتل
عنما ، (٥٤) .

فالميداني يذكر أصل ما حكته العرب في الجاهلية ، ولهذا ترى في حكاياته الجرح الجاهلي ، فالحية كانت في واد خصيب تحمي ، كما هي عادة أهل البطش من الجاهلية ، ثم إن الحية تنهش وتقتله بدون ما جريرة إلا أنه مبسط ذلك الوادى الكلى .

أما عبد الملك فإنه يطوع الحكاية لظروفه وظروف مخاطبيه ، فالحية لم تكن في واد نحيم ثم اقتحمه الرجل ، بل إن الرجلين نزلا في ظل شجرة يستريحان ، هما يتفق مع ما في الحصاراة من ظل وراحة ، والأخ عند الملك - وهو يمثل المجازين - يعتدى على الحية بدون ذنب ترتكبه ، بل إنها كانت

ذكر إحمه فقال : كيف ينقضى العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخى ، فعمد إلى فأس فأخذها ، ثم قعد لها فمرت به ، فثبها ، فضربها ، فأحطاسا ، ودخلت الجحر ، ووقع الفأس بالجبل فوق جحرها ، فاثرت فيه ، فلما رأت ما فعل طمعت عنه الدينار . فخاف الرجل شرها وندم . فقال لها : هل لك أن تتواني ونعود إلى ما كنا عليه ؟ فقالت : كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ؟ يضرب لمن لا يقى بالمهد . وهذا من مشاهير أمثال العرب . قال نابغة ابن ذبيان :

وانى لالى من ذوى النقى منهمو

وما أصبحت بشكو من الشجو ساهرو
كما لقيت ذات الصبا من حليفا
وكانت تربه المال عبا وظاهرو
فلما رأى أن تضر الله ماله
وأثر موجودا وسد عاقره
أكب إلى فأس يحد عرابيا
مدبرة من . ناسرو
معام . من دى .

ليقتلها ، أو يحرقها ، أو
فلما وقاه الله ضربة فأس
وللشر عين لا يبعث ناطره
فقال : تعالى نجعل الله يبيسا
على مالنا ، أو تنجزى لي أحسره
فصالت : يمين الله أفعل ، اتنى
رايتك مشسوما ، يمينك فاجره
أبى لي قبر لا يزال مقسابل
وضربة فأس فوق رأس فاقره (٥٦)
هذا أصل المثل على ما حكته العرب ، وأدخله النابغة في شعره ، ولكن المسعودى يذكر هذا الخبر : « حج عبد الملك في بعض أعوامه ، فأمر للناس بالمطام ، فخرجت بدرة مكتوب عليها من الصدقة فأبى أهل المدينة قبولها ، وقالوا : إنما كان عطاؤنا من الفقه . فقال عبد الملك وهو على المنبر :

مثلنا ومثلكم أن أخوين في الجاهلية ، خرجا مسافرين ، فنزلا في ظل شجرة تحت صمعة ، فلما دنا الأرواح خرجت إليهما من تحت الصمعة حية تحبل دنيارا فآلقته إليهما ، فقالا : إن هذا لمن كثر ، فأقاما عليها ثلاثة

تقدم لهما كل يوم ديناراً ودافعه إلى ذلك الطمع في الكثر ، كما هو داعٍ معشر قريش في ثورهم على الأمويين . والحية عند عبد الملك - وهي تمثل بني أمية - كريمة سخية تلقى إلى الأخوين كل يوم ديناراً وهي حين تشور على الرجل لم يكن دافعا لطمع والتعدي - بل الحرص على حياتها والدفاع عن نفسها . وأسلوب عبد الملك يتناسب مع ظروف التهديد والوعيد ، كقول الأخ لأخيه : ما تدري لملك تعطب ولا تترك المال ؟ »

وكان عبد الملك يوجه هذا القول إلى أهل المدينة ولعلكم مطبوعين ولا تتركون أمالكم . والأخ هنا يمثل تخاذل أهل المدينة ؛ فهو يطلب الصلح مع الحية التي قتلت أخاه . والحية - وكأنها تنطق بلسان الحزم الأموي - تأبى الصلح كأن ما في النفوس لا يذهب ، في حين أننا في الحالة الأولى نجد الحية هي التي ترجو الصلح من الأخ على أن تعطيه إلى يوم ديناراً ، فتم الصلح بينهما .

ويبدو أن الخطباء في العصر الأموي يميلون إلى تصوير الكثرة - الأمان - على أنها من خصم عدو على أنها من خصم العدو . ككتاب الجوهري في الأسماء : أمثلة لهذه الخطبة ، كتلك الخطبة التي خطبها التميميان بن يثرب في أهل الكوفة وشبهه حالتهم وحاله بالتعطب والضبط وقد أتيا الصبي ليحكم بينهما (٥٣) .

٢ - ومن القصص التي كانت موجودة في العصر الجاهلي ثم استمرت في العصر الأموي قصص الحيوان . ففي العصر الجاهلي وجدت حكايات بحاك حول هنزعة الهدهد ، أو حول مشية الغراب ، أو حول فرخ نوح (٥٤) واستمر هذا اللون في العصر الأموي ، وكان الغصاص يلجئون إليه أحياناً للتعبير عن معنى خلفي كهذه الحكاية التي ساقها وهب بن منبه للرياء :

« نصب رجل من بني إسرائيل فخساً فجاءت عصفورة فنزلت عليه ، فقالت : مالي أراك منحنيًا ؟ قال : لكثرة صلاي احتجيت . قالت : فمالي أراك بأدية عظامك ؟ قال : لكثرة صيامي بدت عظامي . »

قالت : فمالي أرى هذا الصوف عليك ؟ قال : برهادي في الدنيا ليست الصوف . قالت : فما لهدم الصفا عندك ؟ قال : أتوكأ عليها وأصي حوائجي . قالت : فما هذه الحية في يدك ؟ قربان إن مر بي مسكين باولته أياها .

قالت : فاني مسكينة . قال : فخذيهما . فذنت فقبضت على الحية ، فبأذا القبح من عبقها ، فجعلت تقول : قبي قبي - تفسيره لا عرتي ناسك مرأه بمدك أبداً (٥٥) .

٣ - ومن القصص التي كانت موجودة في العصر الجاهلي ، ثم ليست ثوباً جديداً في العصر الأموي ، أيام العرب ، فقد دارت في العصر الأموي حول الحروب الإسلامية . واتخذت من مفازي النبي عليه السلام مسرحاً لها ، وانظر سيرة ابن هشام ، أو تاريخ الطبري ، أو غيرها ، فستجد أنهم كانوا يتكبر من بعض الأساطير المبالغ فيها ، وهناك

عناصر من غفار قال : أملك من صعدا في جبل سمر . فقتلهم مع من يتبعهم . فنبها نحن في الحبل أذا دنت منا سمحابة . فسمعنا فيها صيحة الحبل . فسمعت فائلاً يقول : أقدم حيزوم . فأما ابن عبيد المكشف فباع قلبه فمات في مكانه ، وأما أبا نكدت أهلك ، ثم تأسمت (٥٦) .

٤ - ومن تلك القصص الأساطير التي تسبغت حول شخصيات في العصر الأموي ، من منها أو لتمجيدها ، فيزعمون أن الحجاج - يوسف ولد مشوهاً - وأبى أن يقبل ندى أمه وغيرها ، فأعياهم أمره ، فبذل الشيطان تصور لهم صورة الحمرث بن نندة . وكان زوجها لأم الحجاج مطلقها ، ثم تزوجها من بعده أبو الحجاج يوسف بن عقيل الثقفي . فقال : ما خبركم ؟ فقالوا بنى ولد ليوسف من الفارعة ، وكان اسمها ، وقد أبى أن يقبل ندى أمه فقال : اذهبوا جدياً أسود وأولغوه دمه ، فإذا كان في اليوم الثاني ، فافعلوا به كذلك ، فإذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له

ييسا أسود وأولوه دمه ، ثم ادبحوا له أسود
سالحا ودموه دمه واطلوا به وجهه ، فانه
يقبل الندى في اليوم الرابع . قال : فعلوا
به ذلك ، فكان بعد لا يصبر عن سبك الدماء
لما كان منه في يده أمره (٥٧) .

وحين قتل الحجاج سعيد بن جبير لم يرضى
بعده الا خمس عشرة ليلة حتى رحلت في جوفه
بالأكلة ، فمات من ذلك ، ويرى أنه كان يقول
بعد قتل سعيد ! يا قوم ، مالي ولسعيد بن
جبير ، كلما عزمه على النوم أحد يخلق (٥٨)
ويحكون عن يسر بن أرطاة العامري الذي
قتل عبد الرحمن وقتبا . أبى عبدة الله من
العباسي أنه خرف ، حتى دهل عقله ، واشهر
بالسيف ، فكان لا يفارقه ، فجعل له سيف
من خشب ، وجعل في يديه زق متعرج ، كلما
نخرق أبدل ، فلم يزل يضرب ذلك الزق بدلت
السيف ، حتى مات داهل العقل (٥٩) .

وشبيب الخارجي مشهور بالشجاعة . و
دوخ الحجاج ، فلما مات شق الحجاج ريقه
واستخرج قلبه ، فاذا هو كالحجر . فاصرت
به الأرض فبا عنها ، فشق نادا في راحته
قلب صغير كالكرة . فمات .
في داحية (٦٠) .

ولعل السر في انتشار هذه الأساطير ، فيها
كانت « كالحلام البليغة » ، بعكس رغبات الشعب
ومخاوفه ، فقد هي يسرده من الطغاة . وقد
عجز عن أن ينتقم منهم في واقعهم ، فلا ادنى
من أن ينتقم منهم في خياله وأحلامه . ومن
أن يجد استسجمان الدين خرجوا عليهم .
فالحجاج مصاص دماء ، ويسر يتحول الى
صورة شبيهة بصورة « دون ليشوت » في
رواية « سرفانتيس » يلعب طواحين الهواء .
وشبيب بطل عقال قلبه من حجر .

وهناك شخصية حيث حولها الأساطير .
فبعدت كذلك القصص التي تسميها عن
مصارعي روما وعالقتها ، كهرقل وشمشون .
فقد روى أبو الفرج الاصبهاني خواصه عن
هلال بن الاسعر (٦١) من شعراء الدولة الأموية
فيحكى هلال عن نفسه : « جئت مرة ومعى
بعرى متحرته ، وأكلته الا ما حملت منه على
ظهري » . وحدث عنه ابن العلاء أنه
« لم ير أطول منه » . وقد مر به رجلان ،

وكانا أشد تميمين بطشا ، وغو مضطجع ،
فدنا أحدهما منه وأهوى على عجزه بالسوط ،
فناول هلال يده ، فاجتذبه اليه ورماء تحت
فخذيه ، ثم تناول الآخر ورماء تحت فخذيه
الأخرى . ثم أخذ برقابهما فيجصل يصك
برؤوسهما .

وقتل مرة جلانيا كان فد استجار بمعاذ ،
ثم هرب . فقبعة معاذ واخوته التسعة وابن
عمتهم وكانوا أمثال الجبال ، ومعهم عشرة
علمان أوياء ، وجعلوا يرمونه بالحجارة
ويضربونه بالمصي ، فما استطاعوا أن يأخذوه ،
حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع .
ومن الأخرى أصبعين ، ودقوا ضلعيه من
أصلاعه وأكثروا الشجاع في رأسه ، ثم أخذوه
ووصعوا في رجله أدهم . ثم دفعوه الى
الجلاليين ، فاطلوا به الى بلادهم ، ولكنه في
الطريق تبرز هلال كما يصيح وفي رجله
الأدهم كأنه يقضى حاجة ووضع كسائه على
رأسه . ثم طار بحث ليلته على رجله وفر الى
البحرين .

وقد مر في بعض النسخ أن
هلال بن الاسعر كان يسمي نفسه « حمار العروى »
بمعنى « حمار العروى » . وهذا في بعض هذه
الموضوعات كان يسبب الدعوة الإسلامية
الجديدة . فمنها تلك القصص الدينية التي
دارت حول الانبياء والشخصيات المقدسة .

فقد عرفت الجزيرة العربية قصصا أشاعها
أهل الكتاب ، من اليهود والنصارى . ثم نزل
القرآن وفيه اشارات عن موسى وعيسى .
وحين أراد المفسرون أن يربصوا حاجة
المستمعين الى القصص ، وتفصيل الاشارات
الجليلة ، لجأ فريق منهم الى الاسرائيليات ،
والى ما أشاعها أهل الكتاب من قصص
وحكايات . ويذكر ابن خلدون أن العرب
كانوا اذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تشوق
اليه النفوس البشرية ، فانما يسألون عنه أهل
الكتاب قبلهم . وهم أهل الكتاب من اليهود ،
من تبع دينهم من النصارى . وأهل التوراة
الذين بين العرب بادية مثلهم ، ولا يعرفون من
ذلك الا ما يعرفه العامة من أهل الكتاب .

ومعظمهم من حمير الذين أحنوا يدين اليهودية،
فلما أسلموا آبقوا على ما كان عندهم ، مما
لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون
لها (٦٢) .

ولم يكن يراد بهذه القصص الحقائق ، إذ
فيها من المبالغات والحوادث مالا يستطيع
العقل أن يتصور وقوعه ، ولعل هؤلاء الفصاح
كانوا يقصدون جذب قلوب العامة الذين
أصبحوا يتطلعون الى مزيد من تفصيلات
القصص الممرآني . وقد أحسن ابن جرير
بهذا ، فنبأ من المهددة ، وقال في مقعدة
كتابه :

« وما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه
عن بعض الماصين ، مما يستكره قارئه ، أو
يستشعنه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف
وجهها في الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم
أنه لم يؤت ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل
بعض ناقليه اليها ، وأما أدبنا ذلك على نحو
ما أدى اليها (٦٣) . »

ولعل الدكتور أحمد أمين يقصد هذا النوع
من القصص - الذي تأسس في -
بالقرآن - حين يرى أن المصنفين -
صدر الاسلام - روى عن أبي
من قص في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم تميم الداري ، أسبابت عمر أن يذكر
الناس قاضي عليه ، حتى كان آخر ولايته فاذن
له أن يذكر الناس في يوم الجمعة قبيل أن
يخرج عمر ، فاستأذن تميم عثمان بن عفان ،
فاذن له أن يذكر يومين في الجمعة ، فكان
تميم يفعل ذلك . »

وفي رواية أخرى عن الحسن أنه سئل :
مى أحداث القصص ؟ قال : في خلافة عثمان .
فمسئل : ومن أول من قص ؟ قال : تميم
الداري (٦٤) .

وكان أكبر فرسان هذا الميدان : كعب
الاحبار ، وهب بن منبه ، وعبيد بن شربة
الجرهمي . وسأعرض لهؤلاء الفرسان
الثلاثة ، وسأضرب أمثلة من قصصهم ، وأبين
مما بهجهم ، وسنرى من كل ذلك أهم لم يكونوا
يفصدون الحقيقة والتاريخ ، بقدر ما يقصدون
التفنن والتشويق .

أما كعب الاحبار : فهناك نموذجاً صغيراً
لبيان أسلوبه القصص .

قال : « ذكرت الملائكة أعمال بني آدم ،
وما يأتون من الذنوب . فقيل لهم : اختاروا
منكم اثنين . » فاختاروا هاروت وماروت ،
فقيل لهما : اني أرسل الي بني آدم رسلاً ،
وليس بيني وبينكم رسول ، انزلاً ، لا تشركا
بى شيئاً ، ولا تزنيا ، ولا تشربا الخمر ، قال
كعب : فوالله ما استكملا يومهما الذي أنزلا
فيه حتى عملا ما حرم الله عليهما (٦٥) .

ولا تعقيب لي على نموذج كعب القصص ،
الا أن أستعير قول ابن كثير : « فهذا لأنه من
وضع الاسرائيليين ، وإن كان قد أخرج كعب
الاحبار ، وتلقاه عنه طائفة من السلف ،
فدكره عن سبيل الحكاية ، والتحدث عن
بني اسرائيل . » وقال أيضاً : « وإذا أحسننا
الظن قلنا أنه من أخبار بني اسرائيل كما
يصلح من رواية ابن عمر عن كعب الاحبار ،
... من حرافتهم التي لا يعول عليها (٦٦) . »

وأما وهب بن منبه ، فقد كان ذا قدرة
... ذلك البعض من كتب
... فقد روى أنه قرأ اثنين
... الله تعالى وبرهما
... وسبعين كتاباً مما أنزل على
الانبياء (٦٧) . وكانت أكثر قصصه تدور حول
اليهود (٦٨) ، فقد كان من يهود اليمن وكان
مصدره الاول هو التوراة ، أنظر اليه يحكي
قصة آدم والحية التي أغوته :

« لما أسكن الله نعالى آدم وزوجته الجنة ،
ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرة غصونها
متشعب بعضها في بعض ، وكان لها ثمر تأكله
الملائكة فيخدمهم ، وهي التمرة التي نهى عنها
آدم وزوجته ، فلما أراد ابليس أن يتزلفهما
دخل في جوف الحية ، وكان للحية أربعة
قوائم ، كأنها بخيتية من أحسن دابة خلقها الله
فلما دخلت الجنة خرج من جوفها ابليس ،
فاخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم
وزوجته ، وجاء بها الى حواء فقال : انظري ائي
هذه الشجرة ، ما أطيب ريحها ، وأطيب
طعمها ، وأحسن لونها ! فأكل منها آدم ،
فبذت لهما سوءاتها ، فدخل آدم في جوف

الشجرة فناداه ربه : يا آدم ، أين أنت؟ قال :
 أنا هنا يارب . قال : ألا تخرج؟ قال :
 استحي منك يارب . قال : ملعونة الأرض
 التي خلقت منها لينة حتى تتحول ثمارها
 شوكة . ثم قال : يا حواء ! أنت التي غرت
 عيدي ، فإني لا تحلين حملا إلا حملته كرها ،
 فإذا أردت أن تقضي ما في بطنك ، اشرفت
 على الموت مرارا . وقال للحية : أنت التي
 دخلت الملعون في بطنك حتى غر عيدي ، ملعونة
 أنت لعنة حتى تتحول قوائمك في بطنك
 ولا يكن لك رزق إلا التراب . أنت عسوة
 بني آدم ، وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحدا
 منهم أخذت بعقبه ، وحيث لقيك شدد
 أسك (٦٩) .

ولعله من الطريف أن نقارن بين تيجان
وهب ، وأخبار عبيد - وقد جمعهما الناشر
في مجلد واحد - فالكتيبان يمتازان موضوعا
واحدا ، إذ التيجان في ملوك حمير ، والأخبار
في اليمن .

وان في كتاب الله لشفاء من العمى وبيانا من
الجهالة ونحب أن تزداد ، فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول :
ان من الشعر لحكمة .

قال عبيد : يا معاوية ، قال فيه حسان بن
ثابت الأنصاري ٠٠ الخ (٧٠)
وؤلاء هم أشهر المفسرين الذين نزعوا نزعه
قصصية ، وأمثال هؤلاء المفسرين هم الذين
وصف ابن خلدون كتبهم ومتنولاتهم بأنها
تشتغل على العث والسمن ، والمقبول والمرود
لأنهم رجعوا فيها الى أهل الكتاب الذين كانوا
يسكنون البادية ، ولا يعرفون من ذلك الا
ما تعرفه العمامة ، ولم يتخرج المسورون في
أحد غيم . ٠٠ لا معنى له . الخ .
الشعرية التي يبتاعونها لها ، مثل : أخيار
بده الحقيقة ، وما يرجع الى الحدائق والملاحم .
الخ (٧١) . فالأمر لا يعدو ناحية قصصية
يراد بها الوعظ والتذكير .

قال داود بن أبي هدهد للفصيح
الرقاشي
ولا أنت - يا - زينا
لا تبيحك في مجلسك ! قال : فهل يراني أحرم
حلالا ، من حرمة داود ، لا لا
فها ذكر السر واعنه ، من بيت
ذلك (٧٢) .

وهذا القصص الديني الرتبته رتبة
لدرجة أن المؤلفين بعد ذلك كانوا يعنونون
للوعظ والقصص بعنوان واحد، يقول الحمصي:
« فخر من كلام المتصوفة والزهاد
والنصاح » (٧٣) .

ويبدو من كلام بعض المؤلفين أن كلمة « قصة » قد أصبحت مرادف عندهم كلمة « وعظ » . « قص قاص فقال : إذا مات العبد وهو سكران ، دفن وهو سكران ، وحشر وهو سكران » (٧٤) . والفضل هو الذي يقول في قصصه : سل الأرض ، فقل - من شئني أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك فإن لم تحبك حوارا لأجابتك اعتباراً » (٧٥) . فمن هذين الشواهدين نرى أن كلمة « قاص » تعني كلمة « وعظ » وأن كلمة « قصصه » تعني « وعظه » ، ولهذا لم يبعد الدكتور شوقي صيف حين جعل هذا النوع من القصص يدخل في الخطابة الدينية ، فقص

تكلّم عن أنواع الخطابة في العصر الأموي ، وأن نوعاً منها يسمى « الخطابة الدينية » ، ونوعه على القصص والوعظ ، وأخت في الظهور منذ عهد عثمان ، إذ كان تميم الداري يجلس في المسجد الجامع فيحاصر الناس بهذا النوع من القصص والوعظ (٧٦) .

وانتشرت قصص الوعط في العصر الأموي انتشارا واسعا ، فتحت عنوان «ذكر العنصا» يورد الجاحظ أسماء كثيرة ، لاحظ فيها كثرة الأعلام التي وجدت في العصر الأموي مثل :

الأسود بن سريع ، وهو الذي قال :
فان بئج منها سج من دى عطيمة
والا ، فاني لا اخالك ناجية

والحسن ، وسعيد بن أبي الحسن ، وجعفر
ابن الحسن ، وهو أول من اتخذ في مسجد
البصرة حلقه وأقرأ القرآن في مسجد البصرة ،
وابراهيم النخعي وقد جلس إليه عبد الله بن عمر
بن الخطاب ، سكره ، ثم
حدث وكان فاضل مسجد
لأن أمامهم وقارهم ، وفيه
يقول عمر بن عبد العزيز :

• (۷۷) •

ت بهذا النوع من القصص
سبب في القصة
و قد قال عنهم في عهد
و كان أبوهم خطيبا ، وكذلك جداه ،
و كانوا خطباء الأكاسرة ، فلما سبوا وولد لهم
الأولاد في بلاد الاسلام ، نزعهم ذلك
السر (٧٨)

العراق بذلك الجانب ، بأن الناس فيه « ياتسون من حياتهم لكثرة حروبهم ، وصم ياتسون من أهلهم في الملك والخلافة ، وهو يأس أعد لارتفاع هذه النفقة الواغظة الزاهدة » (٧٩) .

على أنا إذا اخذنا اليأس من الحياة ومن الأمل مقياساً ! فإن المدينة أخرى بأن يعانى هذه النفقة الواغظة الزاهدة ، فهي أشد يأساً من العراق - الذى انتشرت فيه الأحزاب السياسية المعارضة - فقد كانت مركز الحكم الاسلامي ثم انتزعت منها الشامقها واستبدات واستعمل معها الامويون اذانين الصذاب والاصطهاد والقتل - والحجاز (مكة والمدينة) مربع أهل البيت ، الذين يرون لانفسهم الحق في قيادة المسلمين ، وقد أخذ منهم هذا الحق وبالفعل عرف الحجاز - بالنسبة لتلك الظروف - اليأس ، وانتشرت فيه النفقة الواغظة الزاهدة .

وقد ذكر هذا أيضاً الدكتور شوقي في نهاية كتاب آخر له هو « الشخصيات في الامصار الاسلامية » (٨٠) - بل آتة اننا كان قد عدد أسماء القصاص والوعاظ في إقليم العراق ، فأننى من جانب آخر في أسماء القصاص والوعاظ في -

مثل : عبيد بن عمير الميموني الذي جلبه اليه ابن عمر ، وأقرته عائشة ، ومسلم بن حبيب وكان يلتقى في مسجد النبي عليه السلام ، وقد أخذ عنه طاووس بن كيسان التابعي ، وهو من الانباء ، وتوفي سنة ١٠٦ هـ وورث الرواية عنه ابنه عبد الله (٨١) .

على أن بعض القصاص احراف بهذا اللون من الوعظ ، استهوا لقلوب العامة ، فقد كانوا يفضلون في القصص التي تثيرهم وتستهوهم قصة داود الذي أحب امرأة اوريا فبعته الى القتال ، حتى قتل وتزوج امراته . وكان القصاصون يذكرونها حين الحديث عن الآية « ان هذا اخي له تسع وتسعون نجعة ، ولي نجعة واحدة » (٨٢) . ويروون عن الأعمش المحدث (توفي سنة ١٤٨ هـ) أنه كان يلجأ الى الغرائب ليجذب قلوب العامة . فكان يقلب الفرد ويلبسه حتى يكون صوفه الى خارج ، ويطرح على عاتقه مندبل الحوان مكان الرداء ، وسأله رجل مرة عن اسناد حديث ، فأخذه

يخلقه وأسندته الى الحائط وقال : هذا اسناده . والأعمش هو الغائل فيمن كانوا يسمعون منه : والله لا يأتون أحدا الا حملوه على الكذب (٨٣) .

وبعض هؤلاء القصاص كان يتخذ هذه النصص وسيلة للكسب ، يشبهون ما كنا نراه من عهد قريب في ريفنا المصري ، فقلند كنا نرى المداحين يطوفون حول البيت ، يستجدون الناس ، ويحدثونهم عن معارك « أبو زينة » أهالي ، وبطولة « الزماتي خليفة » ، الخ . وقد سخر الجاحظ من هؤلاء القصاصين تحت عنوان « باب أن يقول كل انسان على قدر طبعه وخلقه » فقد قال : وقيل لطفيل : « اتين في اثنين ؟ قال : أربعة أرغمة » . وقال الفلاس القصاص : كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدو ثلثمائة وستين درهما .

وقد سابع القصاصون - بعد ذلك - الدين انما يمدون الى الكذب والاختلاق ، معبر بعيد ان « على الاسوارى » كان يلجأ الى كما يقول الجاحظ - كان سماعه من عند أسباب ، وسامع هذا ، كان ذا حيل واسع ، ومضى جعل غلظان بن حبيب البصرة ، وتواري عدد مرحوم عطار « من اصحاب الحديث ، وكان في اواخر القرن الثاني) - « قال له مرحوم : هل لك أن تأتي قاصدا عندنا ، فتتفرج بالخروج والنظر الى الناس والاستماع منه ، فانه على كره كانه ظنته كبعض من يبلغه شأنه . فلما أتاه وسبع متطعة ، وسمع نلاره للقرآن ، وسمعه يقول : حدثنا سميد عن قتاده ، وحدثنا قتادة عن الحسن - رأى بيانا لم يحتسبه ، ومذهبا لم يكن يدانيه ، فأقبل سفيان على مرحوم ، فقال : « هذا ليس قاصدا هذا نذير » (٨٤) .

بعد هذا أستطيع أن أفرق بين نوعين من القصص : قصص العامة ، وقصص الخاصة . ومن الروايات السابقة يمكنني أن أقول : ان قصص العامة هي ذلك النوع الذي كان يراد به استهوا قلوب العامة ، وكان يتخذ وسيلة للكسب ، فكثر فيه الحديث عن الفالس ، والأهوار التي تجذب أفئدة العامة ، وخاصة

ما يتصل بحديث الحب والقلب ، كحب داود لامرأة أوربا ، ولم يكن القاص فيه يتقيد بأسناد أو حقيقة ، بل كان همه ارضاء العامة ، والتأثير عليهم ، والعامة - كما يقول المسعودي - لا تراهم الدهر الا مرفلين الى قائد دب ، وضارب يدف على سياسة قرد ، ومتشوقين الى اللهو واللعب ، أو محتلفين الى مشاهد منمنم خريف ، أو مجتمعين الى قاص كذاب (٨٥) « وقال الفليث بن سعد : هما قصصان ، قصص العامة وقصص الخاصة ، فأما قصص العامة فهو الذي يجتمع اليه النفر من الناس يعظمه ويذكرهم ، فذلك مكره لمن سمعه ولي استنهم . وأما قصص الخاصة فهو الذي جملة معاوية ، ولي رجلا على القصص ، فإذا سلم من صلاة الصبح ، جلس وذكر الله عز وجل ، حمده ومجده ، صلى الله عليه وسلم ، ودعا لحليفة ولاهل ولايته ولشمسه وجنوده ، ودعا على اهل حرمه وعلى المشركين كافة » (٨٦) .

وقد نهر الخاصة من هذا النوع ، يدركون أن عما كرم الله وجهه من مسجد بشرة ، يعرف ماذا يقول القصاص . جاء الى حلقة « حسن البصري » ، فحدث به وروى أن يتحدث ، وأقصى عن الحديث . ثم خلا للنقص على الناس (٨٧) .

ويطلق صاحب الكشاف على قصص العامة وعلى ما يروى من شأن داود مع امرأة أوربا - بقوله : « فهذا ونحوه مما يفتيح أن يحدث به بعض المتسمين بالصالح من افناء المسلمين ، فضلا عن بعض اعلام الانبياء » وعن سعيد بن المسيب والحرث الأعور أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القاص ، جلدته مائة وستين . وهو حد القرية على الانبياء » (٨٨) .

٤ - ومن القصص التي كانت موجودة في العصر الجاهلي ! ولكنها تبوت ودخلت فيها عناصر جديدة - قصص الحب والعشق . فقد عرفت هذه القصص ، في العصر الأموي - ولطروف اجتماعيه واقتصاديه واقتصادية وسياسية - نوعت وملأت الجواز حواصره وبواديه .

وفي هذا العصر اشتهر كثير من القصاص يقصون قصص الحب ، ويرجع اليهم الناس في اخبار العشاق ، وحكايات المحبين .

فهم بن أبي ربيعة كان قصاصا ، كما يبدو في ديوانه . وفي منهبه الشعري الذي اتحده في قصائده ، وكما يتضح من الحلقات التي كان يجلس اليها يقص أخبار المدبرين (٨٩) ، ومن القصص التي كان يرسلها دعاية لقبه وترويجا لشعره (٩٠) . وجبيل يسأله عبد الملك أن يحدثه أحاديث عذرة ، فانهم اصحاب أدب وغزل ، فيقص عليه قصة عذرة (٩١) .

والفرزدق ، ذا نزعة قصصية في أدبه ، « به قصص » ، يبدو ذلك في شعره وفي « أخبار بني النضر » ، كحكاية يوم « بن النضر » على نسوة حديث داره جليل (٩٢) ، وكحكاياته عن بنت الضحاك مع عمرو (٩٣) .

وشهاب بن حرقلة السعدي يقص على الحجاج قصة عاشق يسكن الصحراء بعيدا عن الناس ، فيعفو عنه الحجاج وكان قد أزعج على قتله فحروجه عليه (٩٤) .

وعروة بن الزبير يسأل رجلا من بني عذرة أن يحدثه أحاديث عذرة لأن فيهم رقعة وغزلا (٩٥) .

للمبحث دعه

- (١٠) وفيات الأعيان ٨٨/٥
- (١١) الاعلام بالتوبيخ ص ٤٨
- (١٢) بروكلمان ٢٥٢/١
- (١٣) الاماني ١٦/١٦ اسامى
- (١٤) الاعلام بالتوبيخ ص ٨٨
- (١٥) شذات التنوير التاريخي ص ٤٨
- (١٦) الاعلام بالتوبيخ ص ٨٨
- (١٧) تاريخ الطبري ٢٦٧/١
- (١٨) المريج السابق ٢٧٨/٢

- (١) المجلة (أبريل سنة ١٩٦٧) .
- (٢) الاصابه ١٩١/١
- (٣) النيجان ٢٣٠ - ٢٠٩
- (٤) مصادر العشاق ص ٩٥
- (٥) طبقات الشعراء ص ١٥٧
- (٦) تزيين الاسواق ١١٥/٨
- (٧) الاماني ٢١٥/٢
- (٨) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٥٢/١
- (٩) معجم الأدباء ٧٨/١٢

حَفِيَّةٌ مِنْ كَلَامِ

دكتور نعيم عطية

تفأؤل

مضى الضفدع يقفز عبر الجداول والحقول
والطرق الوعرة والسهول ، غمر آبه بسخرية
الساخرين • ولا يصيح الناسحين ، فاصدا
روما لصحي • رغم أن روما مليئة
بناجين •

قتيل أن أرحل

قبل أن أرحل
أردت أن أخط اسمي
على أرض راسخة
حتى أعود
على الرمال
عند الشط
كتبتك
ورحلت •

الإبناء

ينظر ابني إلى السكة الحمراء
تسبح •
في الاناء الزجاجي ••
ويضحك

عسما
نصبي وجهها
الجدار ••

مع
من
من

من

من

من

من

من

الينا

يدورنا

من خلال

إناننا

هذا الكبير ؟

تري

من

خلف الجدار

يرقبنا ويضحك ؟

وانحنى

واحملى

مع اسي اصغير

في السكة ••

ياالهي ، تلك النظرة

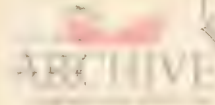
المدعورة

الفبية •• كم هي انسانية !

أشكال متداخلة

عروس مينة
طرحة متربة
بشرة صفراء باهتة
عينان معتمتان بأطراف المعاناة ومذكرات
مع عابرة *

حبيبية حائلة
قلبها لا يحرق
تمشي الهوينى .. على ايقاعات الدروب
الصاخبة .. وتنزل الدرجات الرمادية وحيدة



٢٥
٢٥
٢٥

الصحرا

٢٥
٢٥
٢٥

٢٥
٢٥
٢٥

٢٥
٢٥
٢٥

٢٥
٢٥
٢٥

٢٥
٢٥
٢٥

٢٥
٢٥
٢٥

٢٥
٢٥
٢٥

٢٥
٢٥
٢٥

٢٥
٢٥
٢٥

٢٥
٢٥
٢٥

٢٥
٢٥
٢٥

٢٥
٢٥
٢٥

المنزل القديم

الخواطر بيضاء .. بيضاء

عالية

لا نوافذ

الغرفة فسيحة .. فسيحة

كانها بلا حوائط

جرداء

لا نوافذ

وسطها

وسط الغرفة البيضاء

على الأرض

مصباح أصفر

كأنه معتج

واربع فجوح

من وردة صامتة



الآله والإنسان في هيبوليتوس

بقلم: كمال ممدوح حمدي

ARCHIVE

الأولى من جانيب الحكام الرسديين ، وقد بلغت من الروعة حدا جعلها تدعم مكانتها وترسخ في فمه اعجاب الاجيال التالية ، فالهمت سنكا وراسين أروع عمل لكل منهما(٢) .

وموضوع هذه المسرحية مستلهم من قصة قديمة عرفت في مصر ، وتوردت في اسفار موسى الخمسة . كان نسيوس - ليس في هذه المرة ذلك الديوقراطي الذي يتربع على عرش أثينا ، وانما البطل المفوار الذي اتخذته الشعراء رمزا للشجاعة والاقدام ، كان هذا المظل قد قهر قوما حاربهم وسبي مليسكتهم العذراء ، ثم ماتت الملكة وتركزت ابنا جميلا حمل اسمها « هيبوليتوس » (٣) وتزوج

كان المثل الذي عرضته « ميديا » لإمرأة اعلمت عائلتها - ربما في نزق في البدايه - عقلها فتحوالت الى شيطان يستمد وجوده من الدم المسفوك ، تريد عاطفه الحب وتعريد في اغوارها - عندما يدرك ما وقع عليها من ظلم - ثم تطعو الى السطح يفضاء قاتمة السواد ، أما المسرحية التالية - هيبوليتوس - فتعرض مثلا آخر لإمرأة يجرفها الحب أيضا في قسوة منتهية ولكنها تظل طاهرة نقيه الى النهاية ، امرأة طاهرة نقيه ولكنها أيضا - في تعبيرنا الحديث - متأججة الانوثة (١) .

عرضت مسرحية هيبوليتوس (٤٢٨ ق م) بعد ميديا بثلاث سنوات ، وقازت بالجائزة

* نشر هذا المقال استكمالاً للبحث الذي نشرته أحراره منه بعنوان « يوربديس وعمره » في « المحلة » الإعداد ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ . ويقدم هذا الجزء مثلاً آخر - بعد ميديا - لمرحلة النضج في فكر يوربديس المأساوي . وربما كانت هيبوليتوس هي نقطة التحول في فكر يوربديس وانتقاله من مرحلة التصويع المرحلة أكثر نضجاً يمكن أن نسميها مرحلة الاكتمال أو اكتمال التصير .

تسيوس يعيدرا ابنة مينوس ملك كريت التي انتقلت مع زوجها من أثينا بعد ذلك لتعيش في ترويز حيث يقيم الأمير الشاب هيبوليتوس .

تبدأ المسرحية بمشهد أمام منزل تسيوس - ملك أثينا - في ترويز ، حيث تقف الإلهة أوردنا لتلقى أشعار المقدمة التي تعرض فيها تشكواها من أن هيبوليتوس بن تسيوس يزدريها في حين يعلى الإلهة العذراء أرتيمس ربة الصيد ويحترما ، ولهذا فهي عاقدة عزمها على القصاص لتثبت لهذا المتعذر العاصي أن للحب قوة وجبروتا دونها أي قوة ، وحطها أن تضم في قلب فيدرا نيران حب آثم يجعلها تهيب بهيبوليتوس ، وفي تصورهما أن تسيوس الزوج عندما يعلم بأمر هذا الحب سيذيق الردى في صورة من العضب لهذا الابن الفاسق ، ويدخل الأمير في ر

من صحابه عائدتين من رحلة صيد فيجس في اجلال واكبار أمام تمثال الربة اوسيس ثم يخلع عليها تاجا من اكاليل المار و صلاة ودعا ، حسن ان هذا هو اوردنا - مم نحن نرى في ترويز ، أثني يسألن عن هيبوليتوس وتدخل فيدرا في صحة وصيبتها التي تحاول أن تثلج صدرها وأن تكبح جماح رغبتها في ارتياد مناطق صيد الوحوش ، ومن حديث الوصيعة مع سيدتها تتبين أن فؤادها يكتوى بحب هيبوليتوس - وتهدأ السيدة قليلا ثم تدعها الرغبة في اللقاء بعض أزواء قلبها عن كاهنها إلى التعبير عن صراعها بين الرغبة والكيث ، و عندما تمنع على المرء المتأرب ، ونظوى أطيايف السراب أحلام الظفر ، يقهر أمل الخلاص بالموت كل نداء للرغبة في احسد ، ولهذا أضربت فيدرا عن الطعام - وتسرع بوصيعة إلى اسداء النصع - لماذا تفالس فيدرا نداء غرائزها ، إن الآلهة أنفسهم قد أخطأوا وحملوا الأوزار وهم يخوضون تجارب الحب ، والحب دا ، دواؤه الاستسلام - وتثور نائرة فيدرا فتتهر وصيبتها فتشر الأخيرة بعض القموض حول حديثها السابق منعبة

انها لم تكن تعنى بالضبط ما قالت ، ثم تتغنى الجوقة بسطوة الحب التي لا تقهر - وتسمع الملكة - في وقتها إلى جوار الباب - هيبوليتوس يحاول أن يستطلع من الوصيعة اسرار حب الملكة فينتابها الذعر وتدرك أن لا أمل لها الا الموت ، ويدخل هيبوليتوس مهتدا متوعدا في هياج وجنون أن يطوح بوعده لوصيعة بأن ينكث خبر هذا الحب ، معلنا أنه سيذيع السر ، فلقد أقسم اللسان ، ولم يقسم الجنان

Hé glóssa omómoche hē de phrēn anómotos

(١١٢) ، ويصحب جام عصبه على النساء جميعا ولكنه في النهاية يؤكد أنه سيحبط النوع الذي قطعه على نفسه - اما فيدرا فتعلن انها لن تكون مصدر حري لاسرتها وعاية ما نرجوه من ساء الجوقة أن يحفظن هذا السر بعد أن نقض نحبها ، ثم تخرج بعد أن تنوعد

الربة سيو ، اضمر - ترويز - سم اعزى بالاسم والالام ، - عصره عدة الآلام لئلا ولا شك أنت في هذا - ررب ، دد لحب - هيبوليتوس - سيد عهده - فمهيل لفرقة إلى جبل المشنقة - ويدخل رسول ليمن أن الملكة قد شنتقت نفسها ، ويعود تسيوس فيفجعه نيا موت زوجته ثم يلقى نظرة على يدها فيجد خطايا في قبضتها ، وعندما يفحص يتناه الذعر فيطلق صرخة مخدعة ، يعلن أن هيبوليتوس قد خان أباه ، وانتكح حرمة الرباط المقدس بينه وبين زوجته فيدرا ، ويستصرخ أباه الآلهة بوسيدون - الذي كان قد وعده أن يحقق له ثلاث أماني - أن يهلك الخائن هيبوليتوس ، ثم يعود الأمير من الخارج فنهال عليه اتهامات أبية دون أن يملك لها دفعا بارا بوعده ، فيستدير للخلف ويخسر تشبعا لعنات أبيه بينما تبدي الجوقة عجبها من تصرفات السماء الغريبة - وبعد أن ينتهي تشييد الجوقة يعود أحد رفاق هيبوليتوس لمعلن للملك أن ابنة فم سكرة الموت ، فقد أرسل الآلهة بوسيدون تورا قطعيا خرس من البحر فأقزع جياد هيبوليتوس فألقت به تحت

الطريقة التي صاغ بها يوربديس تصارع فيدرا بين عاطفتها وبين تطلعيها الى الفضيلة والمتالية - أننا ازاء نمط من الابداع شديد الانتماء ، بسميئاته ، الى صاحبه .

عند سوفوكليس المأساة هي مأساة شخصية نبيلة تقع بين برائن الظروف فتسقط (الكترا يدنمها ولاؤها لابيها الى التمازج على أمها ، و سحرها يسوقها الولاء لآخيها الى العصيان والتمرد ، والايامن بقانون السماء يحضها على الاطاعة بالقانون الوضعي) والشخصية شديدة الادراك لحوقها مما يلهب الصراع في نفسها بما يجعل امامنا الموقف الدرامي في وضوح ، وهي لا تلبث أن تحدثنا عن الظروف التي تكتنفها لتزيد الموقف الدرامي وضوحا . عند سوفوكليس نعرف الموقف الدرامي من خلال حقيقة الشخصية نفسها وبالتسالي فالواقف نخضع للشخصيات .

وعند ايسخيلوس المأساة هي مأساة مواقف نخضع بها لشخصيات ويبقى اهتمام الشاعر بالظروف التي تدور حول الموقف . « شاعر سيموني » عنه « لا ينهض من الفراش من اجل رجل واحد » ، « العاطفة ، وانما ياتي من ان انكسار يفتلح التهور والعنف نغوسهم » آتمين يقدمون على مريد من الانم بمسا يجلب عليهم مزيدا من الدمار ، وكل ما يعيننا أن نرى الشخصيات على درجة من التهور والعنف بحيث يتناسجوا مع الموقف ، أما ما يدور بعقلهم وما يجري في وجدانهم ، فهو مسألة جانبية لا تعنينا كثيرا ، ولهذا لا ينبغي مع ايسخيلوس أن نترك أنفسنا تنوع في مسارب شخصية من الشخصيات وانما أن ننظر الى الموقف ككل (٦) .

أما عند يوربديس فالامر يهي على نحو آخر ، فالمأساة عنده ليست مأساة الفرد أو مأساة الموقف كما قد يبدو لأول وهلة ، وانما تتحول عنده الشخصيات والمواقف الى رموز لمعان كلية تنطوي عليها فكرة معينة ، لا يعرضها الشاعر صراحة وانما تلوح من وراء الرموز - كما بين لنا في استعراض مسرحية « مديا » ، وكما سنرى في هذه المأساة « هيبوليتوس » ،

حوارها ، ويتهل وجهه تسبوس وترسم البشاعة التي يرحى بها وصف هذه الحادثة انتماسة بصر رثشف على شعته ، لكن الآلية ارتيميس تظهر فجأة لتبصر مساحة صديقتها وتكشف عن الحقيقة فيكاد الالم يمتصر قلب الأب المبحوح ويطوى روحه بين برائته ، ثم يدخل هيبوليتوس محمولا على الاكتاف ينعي حظه المأزق وقدره القاسي الذي ساقه الى هذا المصير دون اثم أو ذنب ، « كانت روحي عذرية طاهرة سطر (١٠٠٦) »

Parthenon psychèn echôn.
وكانت فيدرا « امرأة عاطفتها آتمة ولكمها ظلت طاهرة الروح » وقد كنت نقيًا فانظر الى اى مصر نساق « (سطر ١٠٣٤ وما بعده) . وتختفي ارتيميس ويتبادل الاب والابن حديثا بانغ التأثير يلفظ بعده الابن آخر انفاس الحياة بين احضان ابيه (٤) -

تختلف هذه المسرحية عن « مديا » ، في نواح سره (٥) ، فهي تتميز ببساطة بنائها المادي المؤلف ، وبالتالي فهي تنحصر في الشخصيات القليلة التي لا يتضخم دورها ، « Deos ex machina » والاحتمال « Deos ex machina » ، « في حيز حرم يوربديس في « مديا » ، وكشور العصرية المسرحية كنوع من « الآله من الآله Deus ex machina » في نهاية المسرحية ، وتتميز هيبوليتوس بالبساطة كذلك في رسم الشخصيات مما اتاح الفرصة لشاعرها أن يقدم في فيدرا مثلا للشخصية المأساوية ربما لم يتحقق له في مسرحية أخرى من مسرحياته الماقية .

فعندما تطل علينا فيدرا في بداية المسرحية نكاد نعتقد - لولا معرفتنا المسبقة - أنها مثل من ابداع سوفوكليس زوج به على تلك الدرجة من التميز لينبئنا الى أننا بصدد عمل سوفوكلي ، ونكاد نرى أن المأساة في هذه المسرحية هي مأساة فرد لما نراه من تصارع يجري في نفس تلك الشخصية بين الرغبة والرهبة ، أو بين الرذيلة والفضيلة ، بين الحب عبر المنوع والرغبة في صون العرص وكرامة الزوج ، غير أننا سرعان ما نتبين - من خلال

ولا يعنى هذا أن أثينا العون الخامس ق.م الحرية ووهبتها لهم بسطاء ثم حرمت عليهم قد صنعت بالحرية على بيها - فقد هيأت الاطلاق مع هذه الحرية الى عايتها ، فحدثت في نفوسهم من شهوة الاندفاع المحموم مع اقراءات تلك الحرية بأن نصبت الى جوار الحرية سيدا على رقاب الجميع هو القانون الذى قدسوه كعنة عالية تميزهم عن سائر الاجانب - والاجانب جميعا فى نظرهم قوم همج (V) ، وBarbaroi كما كانوا يسمونهم ، ومن الولاء للآلهة التى نزهها القانون وزه سائر امور الدين عن المناقشة ورفها فوق كل فهم وادراك ، ونشأ عن هذا التقديس للقانون والدين حساسية فى النفوس مكنت الاعداء والحاقدين وذوى النفوس الضعيفة من الكيد لدعاة التحرر الفكرى الجريء ، فكان من السهل أن يدين آثيني انسانا يكرهه ويسال منهم ، بمجرد أن يدعى أنه يثير الجدل حول حالة أو شخص عليها بعدم الامتثال لاحكامها ، أو أنه يسيئ بغير حق ، ليس بعضها الآخر .

وكان من السهل أن يدعى أن المرء قد دسأ حينما يحاوله مخلصه من هذا النوع ، أو ثمنا لاداء ملحق فى اغلب الاحيان . وأيضاً عدداً غير قليل من المسرحيات التى يقوم الصراع فيها على رغبة الآلهة عندما تتعارض مع مصالح الانسان ، لعل اكثرها وضوحاً مسرحية « انتيجونا » التى طلل خط الصراع فيها مشدوداً ممدداً من أول المسرحية الى آخرها ، قائماً على تعارض قانون السماء مع القانون الوضعي ، وعلى أن الولاء لاحدهما امتهان للآخر . كانت هناك حرية غامرة الى جوارها عصبية متزمتة .

لهذا ينبغي أن تتابع مأسى يوريديس وفى ادهانتنا أن الافكار الاساسية التى يقدمها لنا لشاعر فى مسرحياته ليست هي تلك التى تتحدد أبصارها بحوار المثلين ، وأن ثمة

ولقد سبق الاشارة الى أن المسرحيات من ميديا الى هيراكليس تمثل مرحلة التضيق فى فكر يوريديس غير أنه ينبغي ألا نتوقع نتيجة لهذا التضيق إفصاحاً عن أفكاره بل إخفاء لها ، ويقتدر النجاح الذى يحققه يوريديس فى إخفاء تلك الافكار وراء الرموز الظاهرة يحتسب المدي الذى وصل اليه فى مسيرته على طريق التضيق واكتمال الفكر .

والحقيقة أن يوريديس مدين بهذا الاكتمال لمصره الذى لم يسمح له بالحرية المطلقة فى التعبير عن أفكاره بسبب العصبية العقائدية التى نزهت ميثولوجيا العصر عن التطاول بالبحث أو المناقشة - مما ألها شاعرنا الى المواربة وتقليب الافكار بالرموز ، حين يطرح أفكاره عن الدين والآلهة .



لو أنها ظهرت في نهاية المسرحية لأفادت المبالغة بينها وبين « هيبوليتوس » في تجسيد مأساة كل منهما وتأصيل الأثر الذي تطلعه المسرحية في نفوسنا عندما نشهد مأساة فرد خاصة تطوى معها ضحية بريئة ، وعندما نرى القوتين مجسدين في « فيدرا » و« هيبوليتوس » ، الأولى في محاولتها المستميتة للايقاع بفريستها ، والآخر في محاولته اليائسة للإفلات من الشراك ، وكان مقدور الشاعر آنذاك أن يعيد من المواجهة بين « فيدرا » و« هيبوليتوس » في تجسيد الصلة بين مأسائهما ومأساته ، غير أننا نجد أن « فيدرا » قد اختفت في الجزء الأخير ، واختفت معها المقابلة الدرامية بينهما وبين « هيبوليتوس » ، بل أننا لا نكاد نلمس أثر لتلك الشخصية بشير إليها بعد اختفائها فلا يتردد اسمها عندما كان يتحتم وجودهما ليوحى بحضوريتها وقوة تأثيرها ، ولا يطلمس موتها أثرا في عقل « هيبوليتوس » ، فلا نراه يشك عليها ، ولا يحس أذى موتها بأي نوع من التمسك ، بل أنه لا يعتقد عليها أو يرفضها . لو لم يلمس « هيبوليتوس » كانت « فيدرا » قد اختفت ، ولكن روحها طاهرة ... وكفى .

المسألة بين الشخصيتين تكاد سر الصلة بينهما لولا الحيلة الالية التي لجأ إليها يوريبيديس عندما جعل « فيدرا » تمسك في يدها بخطاب تقول فيه ما كان ينبغي أن تقوله في حضرة « هيبوليتوس » ، وهذا الخطاب هو الذي قام بدور حلقة الوصل بين مأساة « فيدرا » ومأساة « هيبوليتوس » .

رغم انحناء فيدرا في النهاية ، وسلبية « هيبوليتوس » تساؤلنا من جديد : إذا كانت « فيدرا » شخصية زائفة بكل هذه الطساقة المأساوية كما بدت في أول المسرحية فلماذا لم يشد يوريبيديس كل المسرحية على تلك الطاقة ، فيجعلها تدور كلها حول مأساة هذه الشخصية ، ويهتم بتصوير التصارع الذي يجري في نفسها بين الرغبة والكبت ، ثم يصور ما تلقاه - بسبب ذلك الصراع - من دمار وفناء ، دون

مسرحية أخرى تجرى خلف المناظر والمشاهد وتطرح قضايا فكرية غاية في الخطورة فإذا تهيات أذهاننا لقبول هذه الحقيقة فلا ينبغي أن يصرقنا التمثيل والحوار المسموع والمشاهد المرئية وما تتطلبه مقتضيات الدراما من صراع ينمو ويتطور مع تطور الحدث ، ثم عقدة تتحول وتعرف ، أو تعرف وتحول وتظهر رسوما ، لا ينبغي أن تصرقنا هذه المقتضيات التقليدية عن متاعسة الدراما الحقيقية التي تجرى خلف المشاهد المروضة علينا ، وما تنطوى عليه هذه الدراما من أفكار وما تنفجر من قضايا .

ولنحاول تجربة ذلك مع « هيبوليتوس » ، فلا يجعلنا مظهر فيدرا السوفوكلي الذي يشي به ما يتنازعها من صراع عنيف حاد ، ولا تلهيها الروعة التي حققها يوريبيديس بدقته واختلاصه في تصوير هذا الصراع عن استشفاف ما يجري خلف هذه المسرحية .

السؤال الذي يراودنا أولا هو : لماذا عدم لنا يوريبيديس بطله « هيبوليتوس » ، مع القصور حتى أننا نكاد نحس أنه لا يصلح مادة درامية ، وهو « شاعر » درامية لا كرد فعل للأثر المتولد . « فيدرا » ، أو قل أنه ليس شخصية : سفة ، يقدر ما هو موضوع لا يخرج عنه يأتيه من « فيدرا » ؟

الجزء الأول من المسرحية يبدو هكذا الفتر مناسباً ، ويبدو الجو الرومانسي الذي وضعه فيه يوريبيديس عقب عودته من رحلة الصيد ضروريا وبالح الأهمية لتعشيط الحركة الدرامية ولتطوير الحدث فيما بعد ، غير أن هيبوليتوس في الجزء الأخير من المسرحية يبدو سلبية البالغة شخصية مخيبة للآمال ، لا يفعل شيئا إلا أن يدافع عن طهارته الفائرة كثيرا فحسب (سطر ١٠٠٦) .

وتساؤل أيضا : لماذا تختفي « فيدرا » في الجزء الأخير من المسرحية وقد كانت شخصية قوية متفردة متسلطة في بادئ الأمر ؟

أن يضمنت بواعث الاثر الانفعالي بين « فيدرا »
و « هيبوليتوس » ، خاصة وأن سلبية الاحيـ
لاتخدم هذا الاثر ؟

ان هذه التساؤلات لا زعم ان المسرحية قد
انفتحت فيها الوحدة والتواسط ، وإن كانت
لا تتردد في اعلان ملاحظة أشد خطرا ، ترى من
خلالها أن ايقاع المسرحية قد ضل سواء السبيل ،
وتوجه الى طريق خاطيء عندما تحاول عن
« فيدرا » نطاقاتها الدرامية الهائلة ، وانصرف
الى استحلاب نغمة جانبية يمثلها « هيبوليتوس »
الذي لا تقدم حياته الخالية من الصراع - الا في
بعض اللحظات - مادة درامية ذات قيمة ، ومن
العزيز حقا أن يهمل (يوربيديس) الكورس
في جزء الاخير من المسرحية ، فلا ينطقه بكلمة
واحدة عن (فيدرا) ولو فعل لاخفى ما قد
يبدو من انقسام الوحدة الدرامية ، ولجـمـح
شتمت الاثر الانفعالي المعثر ، وسدده نحو
مأساة تلك السيدة .

وسؤال آخر : ما هو دور الالهات ؟

عن يد « يوربيديس » كل هذا العناء لين
في اسبغ لاسس الالهات ؟
لا نستحسن عباده

الواضح أن يوربيديس لم يكن يغفل عن
يقوم مسرحيته على مأساة الفرد ، أو أن يستنهض
العنصر المأساوي في تلك المسرحية من التقابل
بين هيبوليتوس وفيدرا ، ولو كان ذلك قصده
للجأ الى حبكة الموضوع الدقيقة التي تستمد
عناصر مأساوية من منطقة الاحداث وتسلسلها ،
ومن حتمية النتائج ، وللجأ الى مباشرة المعالجة
واستغنى عن الرموز ، وعن الغموض الذي نشره
حول العمل كله ، وعن الالهات التي وقفت خلف
أقنعة الشخصيات ، ولعل تساؤلنا عن سلبية
هيبوليوس قد انطوى على كثير من التصسف ،
وكذلك الحكم على الأبعاد الدرامية لتلك
الشخصية . انها شخصية ناجحة موفقة طالما
أن هذه المسرحية هي دراما ضحايا مأساوية
وليست دراما ممثلين مأساوين - على الأقل -
فيما يتعلق بهيبوليتوس - ومن ثم لم يحاول
يوربيديس أن يفرق نفسه في متاحات مأساة
يظله وإنما هو يستخدم مأساة هذا البطل

كعنصر داخل في نسيج مأساة أشمل (٨) ،
-رحبه من داخل مسرحية ، وفي هذه المرة
لا يترك هذه المأساة الشاملة صعبة الإدراك ،
أو تحتاج الى عربة مسرحية تشير اليها أو تعتمد
كليسة على الاثر الانفعالي في ادراكها وإنما
بعرض يوربيديس هذه المأساة الشاملة في
وصوح حتى لكاننا نرى في وقت واحد
سرحيتين ، الاولى يجري تمثيلها أمام عيوننا ،
والثانية تجري أحداثها وراء المشاهد ويختفي
كل ممثل فيها وراء ممثل من الدراما التي
شهدها ، ولا يعني هذا أن يوربيديس قد
حمل الموقف الدرامي أكثر مما يحتمل وإنما
قدم لنا بجسيدا دراميا - مكتملا في ذاته -
لفكرته المأساوية الحقيقية ، فليس ما يجري
أمامنا على المسرح هو المأساة الحقيقية وإنما
ما وراءه ، وما نشهده ليس الا أقنعة تطل
بها علينا الفكرة المأساوية الحقيقية ، أو هو
« المرمي سب » فكره .

« ميديا » تستطيع أن تستدل على هذه
محبوب المعجزة . حبس
« ميديا » ، حبس لا بعدد اعربة
« ميديا » ، حبس لا بعدد اعربة
« ميديا » ، حبس لا بعدد اعربة

ذلك في تسمية المسرحية لم تكن اهدارا لأماي
« ميديا » ، وإنما تحقيقا لتلك الأماي ، فقد
كانت غاية ما ترجوه « ميديا » هو الافلات من
غضبية أعدائها وأقاربهم ، بعد أن تنفذ انتقامها
منهم ، وكانت العربة هي الوسيلة التي
أعانتها على الفرار . غير أن معنى العربة في
الفكرة ، أو قل وظيفتها في المضمون الذي
يقدمه المسرحية كان شيئا آخر مغالفا لدورها
في نسيج الدراما كما سبق أن تبين لنا من
تحليل تلك المسرحية . فعندما يدخل « ياسون »
ويعلم أن ميديا قد ذبحت ولديه يصبح في
وجهها : « كيف ستواجهن الشمس وتظفرن
الى الارض بعد أن ارتكبت حماقتك وجروئت على
أفطع الآثام » . ولقد دنت جرائها الارض
والشمس ، ثم رأيتا بعد ذلك أن اله الشمس
قد أمد هذه المجرمة القاتلة بعربة مجنحة
تهرب عليها . لقد أراد يوربيديس بهـ
العربة - ودعا من القول بأنها مجرد نوع من

لقد كان يوربيديس يؤمن بنظرية استمالة
السيستاني « أناكساجوراس » عن العقل —
« نوس » الذي يحكم الوجود ، وكان يرى أنه
إلى جانب ذلك العقل ثمة قوى أخرى تتسلط
على طبيعة البشر — والا فلماذا يحاول انسان
ما أن يشبع رغبته في جمع المال عن طريق
حلال ويعاود آخر عن طريق حرام ، ولماذا
نشعر بالرغبة في أن نحب وفي أن نكره ؟
« الخ ، « ميديا » في تلك المسرحية تجسيد
بقوة من تلك القوى المتسلطة هي الرغبة ،
وقد نشرت هذه القوة الدمار بين عدد من
الضححايا ، ومن بين هؤلاء الضحايا « ميديا »
نفسها ، أو قل ، دمرت « ميديا » نفسها
بنفسها ، دمرت « ميديا » — الرمز » ، أو « ميديا
الرغبة دمرت تماثلا « ميديا » الانسانية الطيبة
المطلوب على أمرها ، التي شهدناها في المسرحية
المثقلة أمامنا ، ولهذا قال يوربيديس ان ما وراء
تذب السيدة تتمثل في أن « عواطفها أرواح في
الروح »
عقبها (سطر ١٠٧٩)
ومن بين الضحايا أيضا كان كل الذين قتلهم
في شكل « ميديا » على المسرح ،
الذين كانت ضحية تلك
القوى المتسلطة على العربة دون
الاستعانة تلك القوى
المتسلطة على ضحاياها (٩)

ال « ديويس اكس ماكينة » أو « اله يتزل من الآلة » عندما تتمتع الأحداث ، فان يوربيديس لم يكن أسيرا لتقاليد فنه يستكمل أجزاء اعتباطا - أراد يوربيديس أن يرسم هذه العربية علامة استفهام كبيرة : لماذا تساعد الآلهة المخطئين وسفاهى الدعاء ؟؟ وهذا التساؤل ولا شك يطوى على تشكيك وعده شديدين لثيولوجيا العصر ، ما كان يوربيديس لينجو من تبعتهما لولا أنه - ببراعة دائمة - فصل أفكاره - طاهريا في الدراما المنظورة - عن الدين والآلهة - وألصقها بدارما إنسانيه .

فيدرا إلى هيبوليتوس هو انتقال من ضحية إلى أخرى تقاع مما فريسة لهذه القوة الطاحنة، وعلى ذلك ليس لنا أن نتوقع أن نجد امتدادا لمعطى فيدرا ولونها في عقل هيبوليتوس ، وتبقى بعد ذلك متطقية الحبكة ووحدة الحدث فائتمين في العكرة وليس في أذهان أي من فيدرا وهيبوليتوس كشخص مأساوي، ويكتفى يوربيديس بالتنبية إلى وجود ذلك العالم الخلفي بمشهد هيبوليتوس أمام أفروديتا وارتميس في بداية المسرحية *

وهنا نلمح فرقا جوهريا بين يوربيديس وبين سوفوكليس ، فعلى الرغم من أن فيدرا على المسرح تبدو سوفوكلية في مظهرها ، فاننا نتبين من خلفها شيئا أرشلا هو أفروديتا لا نلمحه خلف الكترا سوفوكليس أو أوديب أو غيرها ، ذلك أن سوفوكليس كان يفوص داخل أبطاله ويكرس كل جهده

في كشف عنها ماضيها وعصر المأساوي في حياتهم ، ومن يتحتم عليه أن يحفظ الأحداث دائمة رئيسية لتحقيق الوحدة المسرحية ، فليس في المسرح تجسيدا دراميا لمأساة يجري أحداثها خلف المشاهد المتطورة، وبالتالي علينا أن نبصت على الوحدة الدرامية في المأساة الخلفية ، وعندئذ نستجد أنها قائمة طالما أن أفروديتا لا تغيب عن أذهاننا ، وتستجد أن اختفاء فيدرا يعادل موت جلوكي ، وموت هيبوليتس يعادل موت ولدي « ياسون » ، لأن كلا من هؤلاء ضحية تزيد من وزن خطايا القوة الفاشسة المتسلطة ، ولا شك أننا واجدون أيضا أن الأثر الانفعالي الأخير الذي يمتصه موت « فيدرا » و « هيبوليتوس » - ضحايا أفروديتا هو نفسه أو يكاد - الذي ينهض من وصف موت « جلوكي » و « كريون » والولدين - ضحايا « ميديا » - ولا يريد إلا بقدر ما تطور فكر يوربيديس خلال هذه الفترة الزمنية الوجيزة ، ويقدر ما استفاد من تمرسه في الكتابة للمسرح *

غير أننا نجد في المسرحية التي بين أيدينا

على طهارة روحه أن ينسى حاجة نفسه الطبيعية إلى الحب ، وإنما عليه أن يعطي هذا الحب في ظل الطهارة والنقاء « و « هيبوليتوس » أن ازدرى « أفروديتا - الحب » فلن نسمع له « أرتميس - الطهارة » أمام ثورة قوة معادلة، فما هي في النهاية لا تملك أن تعد (١٤٢٠ - ١٤٢٢) بشيء إلا بأن تسقط ضحية من عشاق أفروديتا بدورها، وفيدرا امرأة فاضلة، ولولا هذا لما قامت المقابلة بينها وبين هيبوليتوس ولاختفت الفكرة الهادئة إلى اظهار أفروديتا قوة طبيعية عابسة في وجوه البشر ينبغي أن نخطف ودعا ، ولو أن فيدرا كانت من اتباع أفروديتا المخلصين فحسب لتحولت إلى عاشقة عاهرة ، أو إلى ميديا أخرى ، ولأصبح هيبوليتوس آنذاك ضحية لها وليس ضحية لأفروديتا ، أو بمعنى آخر لأصبح حائيا من الرمز ، ولأصبح ضحية لسيطان امرأة لعوب ، وليس ضحية لتلك العوة الطبيعية التي نرمز إليها أفروديتا ، وربما كان -

موضوع « هيبوليتوس » في يوربيديس المقنع ، حيث كانت فيدرا - بطانة في ذاتها ، لا تتورع في نوع لتشبع عاطفتها من أي نوع للشطط الانساني الخبيث . وكان هيبوليتوس ضحيته مثلما كانت جلوكي ضحية ميديا (١٠) وعندما تحولت فيدرا هنا إلى امرأة فاضلة ، لم يكن ذلك لأن يوربيديس أراد أن يعيد صياغة مسرحيته الأولى ليحلي عنها ما فيها من رذائل وفنائس ، وإنما كان هذا التغيير حتميا يعرضه اختلاف نظرة الشاعر عن ذي قبل ، وانتقاله من المرحلة اسكرة في تجربة الكتابة إلى مرحلة النضج في فكره *

وإذا لا ينبغي أن نعد اختفاء فيدرا تشتيتا لنوحدة الدرامية بالانتقال من مأساتها في البداية إلى مأساة « هيبوليتوس » في النهاية، لأن هذه الوحدة لا تتعلق بمصيرها وحدها ومن ثم يتحتم أن تظل المسألة دائرة حول استكشاف المزالق التي تهوي إليها كفرد ، وإنما نعوم هذه الوحدة الدرامية هنا على ما تفعله أفروديتا ومن ثم يصبح الانتقال من

مصرعاً ما تلقى بهم الى العروش والشمس ،
دبهم مخلوقات مجبوه عبيه تقضى الابد كله في
تدبير اقدار الناس وليس هذا الكون وجوداً في
هولهم وانما هو قوسي طاحته .

والحدث يتطور خلال المسرحية كلها في
سباق من علاقات انصاف الانسانيه بعضها
يبعض ومن علاقاتها مع الالهة نفسها ، وتطرح
النهاية التي تؤزل اليها هذه المصائر سؤالاً على
جانب من الاعيه : هل كانت مشاكل أبطال
المسرحية تستوجب تدخل « أشخاص »
الأوليمبوس المؤذية المخصصة ؟ ان الثلاثة الذين
اعتصرهم الألم في هذه المسرحية ملومون قبل
كل شيء ولكل منهم حظه في المشاركة في نسج
الخطيئة « الهاماريا » التي كانت سبباً فيما
فاجأهم به اقدارهم من دمار ، فهيبوليتوس قد
اخطأ في البداية - في نظر اليونانيين
الحاصرين ليوريديس - بتصديه لمأطفة الحب
وبعبرته التي يمدن بها عصياناً لسلطان
الحب وكان حديثه البالس الطول عن هذا
التصديق للحب (٦٦٦-٦٦٨) يجرى في النفس
الحق والقنوط حتى انه يبدو في نهاية هذه
المصنوعة اني يحول الى « ربي » في
الذات ، يبدو والله مستمعاً لقلب

صوت نفسه . ولا شك ان هذه المسرحية هي
التي أثارت فيدرا واراحت اليها بفكرة الانتقام .
اما تسيوس ، قلب الرغص من عميانه التي
يستدر الاشفاق عندما يرجع رؤسه الى خطيئته
قدومه اعترفاً اسلافه فانه هو المصدر الاول
لتلك المصائب ، فهيبوليتوس هو ثمرة لرغبة
آئمة هوجاء استتيدت بتسيوس في شبابه
عندما سمى أمه ، ثم كان زواجه من بناء

شابة في مقتبل العمر تمهيداً ونذيراً لاقامة
عدالة المثل بالمثل فقد آتاج تسيوس بجمعه
زوجة شابة متفجرة الى جوار شاب في مقتبل
العمر ، منها من سنه ، تحت سقف واحد ،
آتاج بذلك فرصة للعدالة تحصل فيها ثمن
ارتكائه في أحضان الفتنة أيام شبابه . أما
فيدرا فلا حاجة بنا الى ارجاع عاطفتها الآئمة
الى الهة الحب ، فالزذيلة تجري في دمها
مصدرها اليها من اسرتها(٣٣٧-٣٤١) فكانت

أما خاطئة آئمة ، بأسماعى التي هامت حيا
بشور زوجها مينوس وانجبت منه المينوروس
وقد طوت الخطيئة احتها أريادني التي وشت
بأبيها وساعدت تسيوس في الخروج من قصر
اللايرث ثم هجرها تسيوس ورجح باحتها
فيدرا ، واعم كريت - بلدها ، « جزيرة الحب
اليشع » - كما سمىها موري - لا تكاد تخلو
منه فقرة من المسرحية - ولا شك ان الكثيرين
من معاصري يوريديس - كالحال معنا اليوم -
قد أدانوا فيدرا على هذا الاستعداد الطبيعي
للندس والخطيئة وحسك العفة ، أما الشاعر
نفسه فلا يلقى عليها لائمة وانما يتعاطف معها ،
ويرى ان خطيئتها في انها كانت تلهو بالحب
منذ البداية عندما أقامت محراباً باسم
هيبوليتوس لآلهة الحب (٢٩ - ٣٣) .
وبلث عن طواعية ان تأتي في صحبة تسيوس
الى ترويزن وفي انها قررت ان تمتشق من
هيبوليتوس على كبرائه وغلطته الجارحة .
كل من صحايا هذه المأساة مخطيء أو وارث
خطيئة ، وكل مسئول عن خطيئته أو عما ورت
الخطيئة . من أرادها ان شرب من
« الخمر » التي « لا تلي » الأولى هو « الدم
الذي » والذي « يصب » ، وهذا يصبح مدخل
الآلهة - أو في المخلص الأوليمبوس - لا يعني
مدخل أشخاص أو قوى خارجة عن ذات
أبطالنا حقيقة ان الآلهة قد استخدمت كرمز
لتدخل قوى معينة لتوجه مصائر هؤلاء
الأبطال ، ولكنها قوى نائمة من أعماقهم توجههم
أو تسوقهم رعباً عنهم الى مصير محتوم تقضى به
ضرورة يفرضا قانون العدالة .

وربما بدا لنا أن توريه اسم الآلهة والاصار
الخطيئة « بالورانه » ليس الا استبدال كلمة
بأخرى للتعبير عن حقيقة واحدة ، غير ان
يوريديس كان يضع نصب عينيه ثيولوجيا
عصره . « انه كان لا يعيب عنه ان يدعو
« الورانه » (فيما يتعلق باللعنة) لا تقل في
صراحتها وحتميتها عن ارادة الآلهة فقد فصل
الخطيئة عن ارادة الآلهة وأصر على انها مسألة
سيكلوجية ، فان أردنا ان نفهم طبيعة الخطيئة
وان نحاربها ينبغي علينا أولاً أن نفهم الطبيعة

(هيبوليتوس) . ويؤمن أن المسرحية كلها بعد ذلك امتدادات وتطوير لهذه الفكرة ، وهو في النهاية يلقى اللوم كله على الانسان ، هيبوليتوس مخطئ وال libris عنده
 في كبرياته ووعجرفته في صده فيدرا ، وربما كان انتحار فيدرا حل مناسب لانقاذ شرفها لكن الخطاب الذي تركته تنهم فيه هيبوليتوس بما هو بؤس منه جريمة سخيفة نستحق عليها الدمار وان تسيوس ليدو كريما عنما يتكفى نفى هيبوليتوس ، لكن سرعان ما يتكشف مجرما عنعما نعلم انه كان يدبر لمقتله في الحفاء وهو لذلك يستحق العنار . وقد يبدو هيبوليتوس شابا بريئا ، لكن برأيه قورنة للجهل ، واختياره كان عن ارادة ، لأن الناس لا يختارون مالا يعرفون ، ومن هنا نقترب الى ارادة بالمعرفة ، وقد كان اختيار هيبوليتوس قائم على الادراك والمعرفة وبالتالي قائم على الارادة وهو لذلك مسئول عن أخطائه ، فان حدث واختار

غير أن هذا التفسير قد قام على غير أساس، لأن فيدرا لم تترك الخطاب إلا بعد أن قررت الانتحار وأصبحت بالعمل - قبل أن تموت بلحظات عندما كانت تكتب الخطاب - أصبحت في عداد الموتى ولهذا لا بد وأن يكون دمارها قد جاء نتيجة لسقطة وقعت في أول حياتها . وكذلك ليس مسقوط نيسوس بسبب تدبيره لموت هيبوليتوس في الحفاء .

إننا حقا نستطيع أن نحس - في غنف - بضعف الإنسان السافر في هذه المسرحية بين أن وآخر ، فحدث الضميمة مثلا يجسد الألم الذي يخالط الجمال ، ويعلم عن ضعف الإنسان السافر :

حياة الإنسان اكدار وأحزان
دون راحة أو خلاص
فإن لاح لنا عالم آخر من بعيد
أرحم بالإنسان من الحياة

تجارب حب عنيف فلماذا يحرم البشر على انفسهم ما أحلته الآلهة . ومن من البشر يستطيع أن يصمد أمام فيضان الحب الجارف ، وهل يستحق من أحب أن يدع حياته لها لهذا الحب ، ثم تسألها أن تخرج عن أطوائها وأن تحي رأسها لأوروديتسا (الحب) لأنه لم يسلم من سلطانها مخلوق أو كائن في الارض أو في البحر أو في السماء ، ألم ينتحب زيوس - كبير الآلهة - مرة من أجل سميلي ، وألم تحي آلهة النور رأسها مرة ونزلت من عائلها المثالي الرائع بسبب الحب لتسرق كفاللوس إلى جوارها في السماء ؟ (١٥)

لكنه من خلال حديث الوصيفة يبدو الضعف الاخلاقي من صميم الدين ، (٤٧٤ وما بعده) « لم أتحدث هكذا بنية الحص على الكفر ، ودما الكفر ليس إلا أن نمي النفس بأن تكون أفضل من الآلهة »

l'éon de hybris ou gar allon plen oubr tade esti kreiso daimonon einas theio.
وقدوب فيدرا أما عندما - إلى جانب اعتقادهم أن الآلهة ليست في جانبها - يتكشف لها أن الحب ليس عاجز عن الفهم والادراك . الحياة في الحب . وأنا أعرف أنك سيئة فاضلة شجرة . كما حاولت أن أقودك إلى طريق الحب . فسجيب فيدرا : « لسوف أقبل ما تراه الآلهة وما يقره البشر حتى أصون كرامتي »

لقد كان يوربيديس يعتقد أن محور الاخلاق في الانسان نفسه ، وليس أمام فيدرا روحا تستند اليها غير روحها ، وبالتالي فإن معركة الصراع المميت لا بد أن تدور في داخلها بين نفسها الرافقة وروحها الكابته ، ويمثل حديثها (٤٧٣ - ٤٣٠) الرائع عن تاريخها الروحي الذي قصه دون تحفظ ودون اطراء ، يمثل لب المأساة ، فلا تلوح من بين سطوره إشارة - هناك معين أو منفذ ، وإنما على الروح الضحية أن تحارب وحدها أمام عالم يند على الادراك والفهم . وقد وجد ايسخيلوس هذا المخلص في زيوس (أجا ميتون ١٦٠ - ١٨٣) اما يوربيديس فكان يرى أن الانسان أشد تمسكا بالفضيلة من الآلهة ، وفي هذا الصدد أيضا نلح فكرة واضحة عن الضمير ، فعدت



لكنه يصحح سفساس انه مظلوم وتكتفه عيرون من فوقه ومن تحته معز علينا الحياة وتعلق في دنيا الارض بذلك الشعاع الواسع

نحن قد تكشفت لنا أسرار الحياة واستغلقت علينا أصرار الآخرة السفلى وتركنا أنفسنا لتجرفنا أوهام الاساطير وسيمدني الوصيفة نصيحها ليفدرا بأن سنسلم للحب ونستمتع بالحياة ، فقد أحب عليها الكثيرون منذ الازل ، وقد خاضت الآلهة

.. نسله نسين .. « شرفيتنا يابنتننا
بارية .. »

« قولو لابوها ان كان جمان يتمشى .. »
بربع القلة الجديدة .. وقيل ان يصل الماء
فمها تهب مستقيمة متصايفة ظمأنه .. وتسمع
الدق على باب دارهم .. وكان ابراهيم
بالباب ..

— خير يا ابراهيم .. خير ..
— مش باين ياسنت ابوها ..
وبها رغبة عميقة أن تقص عليه الرؤيا ..
— ياخويا ولا يهك من زيدان .. ولا من
يتوع الوسية كلهم ..

— مش من زيدان ياسنت ابوها ..
الانجليز مع العساكر الهجانة والفجر ..
محاولين البلد بطلها .. وبيلسوا كل الرجاله
— حن .. اخيك في قاعة القرن ..

— يادى الصيب يا ست ابوها .. استخبي
في قاعة الثرى .. وبمسدين يجرجروني ..
وسنر بضعة في البلد ..
— يادى الصيب يا ست ابوها .. والا اثنين ..
.. يمش ..

— مس .. ست ابوها .. واي
نصلى المعر سمعت اهن حاسبتها من فوق ..
م المصورة بلد .. بلد .. عربة .. عربة ..
يلموا الرجاله ويشحنوهم مع المصورة ..
نول كمان بياخدوا الجمال والحيل والحميز ..
حتى القراخ والدره .. والشعر ..

— يادى الخراب يا اولاد .. ليه ده .. هيه
المصورة اتخريت ..
— مصورة ايه يا هيله .. انا سمعت انهم
بيشحنوا دا كله على مصر .. وبعد كده محدش
عارف ..
— يادى الخيبة .. وعين الى هيشتل في
أرض الوسية ..

.. وشد عساكر الهجانة ابراهيم ..
واتشروا في باقى غرف السدار الواسعة
بارشاد شيخ البلد .. لتفتيش وخرجوا
مجلة المجلة ٦٥

.. تلفت ابراهيم حوله .. صف طويل
من الانفار .. رجال البلد ونسوانها وعيالها
كلهم يرتعدون من حوله الوسية .. ويخافون
زيدان .. يتحدثون عن طول زيدان .. وعرضه
وكف زيدان (يوم م ضرب احمد قلبه على
الارض) .. وعلى بن زينب خرق طبله أدبه
لانه تجرا ومشاخي من قدامه يوم رى القطن ..

.. نفس ابراهيم كندا .. حط على قلبه
حمل تعبل كالرصاص .. سبار في دمه ..
امصه كل حلاي حسده الشاب .. نمرقت
امامه الحيرة التي ركبته يوما .. لاسه رأى
بعينه اياه يقبل يد حضرة العفة .. والعمدة
محموص على الصلطة .. النمسى سرف
سيور الدم في الجهة الغربية .. الصمت
الثقيل .. يحط على الانفار .. الانفار يقسمون
سهم وينقسمهم اهن لى يعملوا لى عسط
الوسية بعد اليوم .. لكن كلا منهم يعلم يقينا
انه لى يومى نفسه ..

صحا صرح فاطمة .. عني .. نعبها من
فطن مجموع ..

— مبروك .. مبروك .. يا مبروك ..
يا حبيبى ..

.. يتكرر الصمت الذي قرضه زيدان ..
فمبروك مولود فاطمة الصغير الذي تنميه
بحوار غود بن كبير .. خرجه ذنب حانع
.. واطلى الاعار .. سهو يوما من حياتهم
.. وبطاردون دثا بن ابيانه صغير مهم ..

(٢)

.. الدق المتواصل على الباب يصل ادنى
ست ابوها .. دفقا تتقدمها هي وابراهيم
الى بيت العدل .. الدق يرتفع وهي تسرع
الخطى مع العريس الى القاعة التي قرشوا فيها
حصرتهم الجديدة وفي ركن القاعة
الصندوق الخشبى المزركش أحمر وأخضر
وأصفر .. بجواره (البورية) .. لحت حلة
الاتفاق .. احست الخجل .. وابراهيم يوارب
باب القاعة ويسلم الرجال والنساء والاطفال
المتهاجة شاش الفلاح الابيض تنفضه بقع الدم

ويقبل يدها .. سمراء .. جافة .. رقيقة
الجلد .. معروقة .. وإلى جوارها يتخذ
مقدمه .. تمسح بكفها على رأسه .. تطبط
على كتفه ..

— أزيك يا إبراهيم .. أزيك يا ولدي ..
قومي يا بنت ولعي الطاجن ..

.. الصغير يستعرض فتوته في كسر
أعواد القصب .. وتستغرق سست أبوها في
اشغال النار .. ويتوسطهم الطاجن .. وبعد
الاصابع تستدفي .. ويملا الدخان قاعة
الفرن من الأرض للسقف .. وترتشف الافواه
الصغيرة المصير المارد .. ومن جيب الجلابية
يخرج إبراهيم لفة العجوة السيوى .. وفيما
يشبه السر يدمسها في يد امه .. أم سست
أبوها .. خالتي امباركة ..

— وخدي كمان يامه .. حنة الهريسة ..
دي .. اصل اني عازف سفاك مش حصل
الغص ..

.. وعلى ضوء اللمة ام قليلة .. المختفة
.. تبدأ الام في .. القص
.. تخرج وابتدأ من إبراهيم ..

.. يا بني .. حكايتنا ..
.. انتوا حكاية من حكايات
الام ..

.. ويعرف إبراهيم أن في يده ورقة
راحه ..

— وحياة سيدنا النبي يامه تحكي حكاية ..
.. وتصهل سست أبوها ضاحكة .. هي
تعرف مشاهد السهرة مشهدا ..
مشهدا أو ذلك لا يمنعا من الضحك .. بل أن
تحقق ما تتوقعه .. على النحو الذي توقعته
تماما .. يدفعا .. أكثر .. إلى الإغراق في
الضحك .. وتبدأ الام من حكاية سست الحسن
والجمال مع ابن السلطان والشاطر حسن ..
والقتاة تنسبه انتي خطيبا القول وعاش ..
جارية في قصر معزول عال ..

.. وتبدأ الام .. دائما ..
— صلوا .. بنا .. على سيدنا النبي ..

وليس يسلمهم سواء .. وثار رئيس العرقه
احمر الوجه .. يتكلم بلكنة الخواجات
.. تجار القطن .. متسائلا عن الرجالة ..
والجمال .. والبقر .. والخيل والحمر ..
والحجوب .. ورد شيخ البلد بلسانه ويده
وجسمه .. ليس بالدار سوى امرأة عجوز
وابنتها .. والبنات تعمل باليومية .. في
أرض الوسية .. كل يوم برزقه .. لكن
احمر الوجه .. طلب ان تتبرع العجوز لمنطة
الصليب الاحمر ..

.. لم تفهم ام سست أبوها .. سوى انهم
حملوا مع إبراهيم .. عريس ابنتها .. اجرة
سست أبوها جيمة بجلها .. وأربس فرحان
.. صه .. وبطه سوده ..

.. في العصر .. ارتفع كالعادة .. دخان
الكواكين .. يحمل رائحة الروث الجاف المحترق
ورائحة الملوخية واليامية والرجلة والحميمش ..
وترامى للرجال المشحونين في العربات اللورى
.. دحان المطيخ .. حبي .. تقوم
بمساعد لاعي .. مثلما .. لا
كن لصير .. لا يدريه ..

- ٣ -

.. في غط القطن ..
.. تترنم الانفاذ .. بلدى يا بلدى .. السلطة
خدت ولدى .. بلدى .. يا بلدى .. أنا بدى
أرجع بلدى ..

وينتهى جمع القطن .. وقطع الحطب ..
وحرق الأرض .. ويدر الحنطة .. ويدخل
على قريتنا فصل شتاء جديد ..

(٤)

.. هذه السنة .. واجهت سست أبوها
.. شمسنا .. قريتنا .. مع حلول الليل ..
والنوام لله وحده .. يول إبراهيم على كتفه
لبشة القصب .. وفي جيبه القول السوداني،
وخزقة العجوة السيوى ..

— سالتني يامه امباركة .. أزيك ..
وينحنى على ام سست أبوها .. يضافحها

فى بشر عميقة .. وتعود تتقلب على الجنبين
وتحك تحت ابطها .. وتتسمع صوت الشيخ
حلموشى يؤذن الفجر فلا تسمعه .. وتهز
اما ..

— احنا امته يامه ..

— يا ست ابوها نامى .. لسه كثير عن
الفجر ..

وتنام ست ابوها .. ويتعارك ابراهيم
مع زيدان الخولى .. ويتشق الدم من جبهة
ابراهيم وتأخذه على صدرها تجفف السليم
وتربط جبهته بالنديل ابو ريحة .. وتفرغ
وتقنعه ان يبقى المندبل حتى لا يصفى الجرح
دمه .. ويضى فار كبير الاصبع الوسطى من
يدها اليسرى وتستيقظ .. وتتقلب على الجنب
الثانى .. وتعود مشاهد الحلم الكبير .. مرة
تركب هودجا ويتهادى بها الجمل حول البلد
.. ومرة النسوة والفتيات يسبقنها وهى
تسير .. حول البلد فى طريقها
الى باب العدل .. القاعة .. المحسنة
الجدد .. نقوشة مرة .. وساده مرة .. وحلة
.. مرة .. والط فوق البسورية ..
.. مرة .. فى السلان البصة ..
.. مرة .. فى المدولة من خيوط الصوف
تتدلى من فخذيه .. مرة تجلس القرفصاء على
— مرة بجوار المخذة .. ومرات هاربة منه
فى ركن القاعة .. ودائما يوارب ابراهيم
الباب ويدفع بالشاش الابيض المنقط بالدم
الى الناس المنتظرة على الباب .. وتصحو قبل
ان يبلغ ماء القلة شفتيها .. وتتقلب على
الجنب الثانى .. تتذكر النسوان اللاتى
حدثتها عن ليلة الدخلة ..
زى قرصة الدبور ..

— يا بت يا ست ابوها .. اخذ الوش
زى قرصة الدبور ..

— يا شسيخة حرام عيسكى .. ه ..
تخوفى البت .. والنبي ياست ابوها .. ده
.. زى قرصة البرغوث ..
— يا بت ماتخافيش لا برغوث ولادبور
.. ولا ه .. تبقى حاسسه بحاجة .. ومن
داق غسل الخلايا يصبر لقرص النحل ..

وتلتقى عيوان ابراهيم وست ابوها ..
ونصرج الشفاء .. ويتأخر الجواب عن الام ..
تتفاهش وتقسم بحياة سيدى ذا النون
انها لن تحبسكى هذه الليلة .. ويسرع
الصغيران ..

— اللهم صلى على سيدنا النبي
وتماود الام

— كمان زيدوا .. النبي .. صبله ..
وحياة سيدى ذا النون ان م زدتوا .. النبي
صله .. مانى فتحه حنكى .. اصل جيسل
الايام دى كده ..

وتصمت الام قليلا .. ثم تسدا بتؤده
واحترام ..

— كان .. ياما كان .. ما يحلى الحديث
الا بذكر النبي عليه السلام .. كان .. فيه ..

.. ويعدت كسيرا ان يقلب الام
الناس .. فتفرض عينها نصف اغماض ..
وينخفض صوتها مع قليل من البجة ..

— كمان زيدو النبي صله .. كان فيه ..
.. ولاد .. كان النوم ..

.. وتصحو الام عن صله بصفة
نشوانه ..

— الله يجازيكو .. يا اولاد ويجارى
شيطانكم .. سمعنا ياواد يا ابراهيم موال ..
بس يكون مدح فى سيدك النبي .. مش من
مواويل الايام دى ..

.. وكله خجل حقيقى .. يتمنع ابراهيم
.. وتلح ست ابوها هذه المرة .. ويتنحنح
ابراهيم .. ويجرع كوز ميه .. ويفض
عنه قليلا ..

عندى من الورد
بستان ورد ..

لكن فى هذه السنة .. واجهت ست ابوها
.. شتاء فريدا .. يدخل الليل .. وهى من
المقرب ممدده الى جانب خالتي امباركه ..
تتقلب على الجنب اليمين مرة .. وعلى الجنب
الشمال مرة .. وتهب قرعة من حلم القاهها

•• بعيدا عن سوق الثلاثاء في المنصورة
•• وعن سوق الخميس في السنبلاوين ••

حتى عن سوق الاربعاء في طنطا ..
آخر ما يصل اليه المأهون والرحاله الكبار
من رجال قرية تلانة ..

٥٥ بعيداً عن أرض مصر ٥٥ كانت
 بحسب بهتان ببطه في الجهة الشرقية ٥٥
 وتباشر ضوء كاليبـ تنبعث من بعيد ٥٥ وانطلق
 دوى صفارة كشيـ ٥٥ أفرغ الرجال النيام
 أو المهدودـ تحسـ كل منهم فاسـ ومقطعه ٥٥
 انتزعوا أنفسهم من رقـدة أبدية ٥ طواوير
 ينحلـ كل خمسين حول ريش - يوزع عليهم
 زاد يوم ٥٥ وتفرق السياط في الهود ٥٥
 وينطلق الرجال الى الجبل ٥٥ جبل عال ، أهل
 من المحلة مره ٥٥ مرتين ٥٥ قل ثلاثة ٥٥
 - - - - -
 عوطه - - - - -
 ماظف الصغيرة تصنع تلالا فوق الجبل وتخل
 من وان القوامس سكة مشـوقة في بطن

• في عذبة • وفي أعلى الجبل •
 ومع وجه أجود آخر • كالذي خطف إبراهيم
 من فوق قبة العرن يرسم ببسال رائق عرض
 السكة المشقوقة • ويتقدم « ريسه » كبار
 • يفسرون ويشرحون الى « ريسه » اصغر •
 كلمات تنتقل من لسان الى لسان حتي تصل
 الى القلعة فؤوسا تقرب • ومقاطف تحمل
 • وبلا صليبية تنسج • وتحمسو •
 • وتكبر على جانب السكة المشقوقة •
 الرجال القلعة • الشفيلة • موجات زاخرة
 • كالعاصفة في بحر بلا نهاية أو أن آخره
 من الجهة الاخرى التي وقف عندها المهندس
 الانجليزي يرسم عرض السكة المطلوبة لتمتد
 فوقها خشبات ترمي عليها قضبان حديدية •
 يقسمها انجليزي آخر • ويشير لمن يربطون
 المسامير القلاووظ الكبيرة • وتمتد سكة
 حديدية تربط جنوب الشام بشماله • وينقل
 الانجليز جيشهم مارا وسط جبل لاتبلغ اعينهم
 • اياه •

– اقول لكم .. ان كانت سم ابوها
يتحب ابراهيم يبقى زى قرصة البرغوت ..
وان كانت بتكرهه يبقى زى قرصة الدبور ..
– ان كان كده .. سم ابوها مش .. هـ
بحسب بحاجة ..

— يادى الكسوف ۰۰ دا ائتو نسوان ۰۰
 صححة صحبحم وحياته سيميدى ذا النون ۰۰

— آل یعنی آل .. یختی الی یخاف من العرسه ما یریمش فراخ ..

•• و شجاعت ابراهيم •• و نعمی الحسوة
•• شرفها بانتما بازله ••

•• وحدث ان كاتب رفق الى ابراهيم
وهمت لنفسها وهي نائمة •• يايت ده حلم
•• يايت ابوها •• انت بتحلمى •• وتصحو
فارغة تماما •• شئ قاسى يسبك بصدرا من
الداخل •• لا يسمح لها حتى بان تحزن او
سكى •• صحو محوقة
من شموار طويل •• تود لوبكى •• لو نطق
لو بيا يعرف الدنيا بيا

— امامه .. نسمه از ایه عنی لهج
— خلاص یابنتی .. اسمحک : ی
.. یسبح کمان شویه ..
— ممکن خدته نومه *

– استغفر الله العظيم .. يا سي ..
الملائكة ينصحه عشان بدن الفجر ..

— الليلة دي عالهاش آخر •

— استغفر الله العظيم .. يا بنتي ما ديم
الا وجهه ..

– لكن يامه .. هو الواحدة تحلم انها
بحلم ..

— اللهم اخزيك يا شيطان .. ه .. افتي
يا بنتي في الى ما ليس فيسه .. صباح
وباح نسال الشينخ حلموشى ..

— أورو ۶۶

— ما تنفخيشي يا ست أبوها .. رزقك ع
إلى خلقك ..

● ● ● ● ●

الذى يشق الجبل .. لا يعرف ماذا يدور ..
 الفاس يرتفع وتهوى .. والمقطب يلتقي
 قازغا ويحمل طافحا .. ورافع الفاس وحامل
 المقطب .. وربما ريسهم الصغير نفسه ..
 لا يرون أكثر مما تحت اقدامهم .. الجيسل
 ممتد .. قريبا يراه .. بلا نهاية .. السموط
 في يد الرئيس يبدو اقل من الجبل .. وهو
 قد قطع كل ما بينه وبين الدنيا من صلات ..
 يد الفاس .. وحمل المقطب .. هما ضمان
 الحياة في هذه البقعة العربية من الدنيا ..
 الواسعة التي لا امان لها .. يوقظونه في العجر
 .. لا يقضي حاجته .. لا يفرغ امعاه .. كوز
 ماء يستلمه ربا ليوم طوله الف عام ..
 كبشة عيش زادا ليوم ليس له آخر ..
 حتى السموط الذى يشق جسده غدا لازمة من
 لوازم العيشة .. شيء واحد يرهبه رافع
 الفاس وحامل المقطب .. ان يضعف .. ان يهن
 .. ان يرفع الفاس فلا تكسر الجبل الفاسي ان
 ينح كفته وينوء فلا يحمل المقطب ويصبح
 التلال التي تعلو وتفصل بين عالمين .. هنا
 حقيقة واحدة .. يعرفها بقية .. يعرفها
 بجسده .. بعروقه .. بالليل دون صبح
 تحت الحمامات الموشومة .. في ليلة يفرق
 جسده ويتكره بعقله .. هو لا يصدقها وان
 كان يعيشها .. انه يعرف بكيانه كله .. مصيره
 .. اذا تداخل فلم تنشق الفاس ولم يحمل
 المقطب .. سيحملونه .. سيحملوه هؤلاء
 الانهار الذين يعادتهم ويشكو لهم .. سيحملونه
 ويقدمون به حيا وراء التلال التي تصنعها
 المقاطب فوق الجبل .. ليوم مفزوعا .. على
 مهل .. ببطء .. بانتقام .. ومن العالم الثاني
 .. عالم ما وراء التلال .. سمعت منه اصحاح
 .. وصعد الاله .. الابن .. احيانا صراحت
 مكتومة واستغاثات ضائعة .. وهجمات خافتة
 ونداء للام تمتصه الريح الباردة .. واشارة
 الالهة الى شربة ماء .. وينقلب نصف الحى
 على ميت .. هو الآخر وجهه مفزوع القسما
 .. عيناه تحمقان في فراغ موحش .. فمه
 مفتوح .. الشفاه بيضاء مشقوقة .. وتصفر
 الريح ويسيل المطر .. يصنع الثلج طبقة
 هشة .. تتلوى تحتها الاجساد .. وتكسو
 ما وراء التلال .. راحة حياة تموت وموت



باعتبه .. ما كان يغير بحوشي مفكش ابيه
 .. لكن معلش .. يا ابو خليل .. فين كلام
 الشيخ حلوش في خطب الجمعة .. ايها
 الناس ما بسكت الا الكوب بكم في الموح
 المحفوظ .. واللى يتبلى ببلية .. تكفر عن
 ذنوبه ... والله وحشتنى ياشيخ حلوش ..
 سامحنى .. ياما نعمت وانت ماسك الورق
 فى ايديك ويتخطب خطبة الجمعة .. وده ذنب
 كبير يا ابو خليل .. والواحد عليه ذنوب ..
 متمدش وادى احنا بتكفر عنها ..

مع اختفاء الخطوط الحمراء بعد غروب
 الشمس .. احسن ابراهيم بفراغ داخل
 ركبته لم يلق له بالا .. واصل طعن الجبل
 بفأسه .. يرفعها أعلى من رأسه بحدبته
 فوق المشط التى فى حجب دماغ طفل .. ويملا
 المعطف ليحملة من يصعد به الى أعلى
 اتل .. ويرفعها ليملا المعطف التالى ..
 وانبات .. مقاطع بعدد شعر الراس ..
 .. الام الى صينية شهره .. والمعطف يلقى
 فارغا فرج مليتا .. والفاس ترتفع وتقول ..
 وحشتر الام .. ذراعى الفتى .. والفاس
 يرتفع .. والى رداصق ترمى فارغة وتشمال
 طلاء .. وتعلم يصعد ببطء وتقاد الفوانيس
 والكواكب .. واللاترافص خيالات الرجال
 الفانف فى عيني ابراهيم .. وتلقى
 عروق دماغه تحت الحمامتين الواقفتين أعلى
 صدغيه .. ويرفع الفاس وتبدو رأسها

حيا يستقبل ربا كريما فى هذه الجبانة ...
 وابراهيم يكاد ان يزيح بيده الفكرة عن دماغه
 والواد سليمان بن عم جرجس النحال وطاقيته
 الدلال البيضاء .. فيك يا سليمان ..

فات شتاء منذ شحنتنا القربا فى عربات
 لا تستجيب لتضرعات راكبيها وتعود الى تراب
 تليانه .. اما ان يقدفوا ابراهيم حيار وراء التل
 .. ففكرة لا يكاد ان يصدقها .. فكرة يماومها
 العاس ممر .. بطر الحل .. وهو كله سعى
 يا ابو خليل .. فى فيضان الوسيه .. فى جبل
 الانجليز .. فى ارض العمدة الحرامى ابن
 ستين .. كله شغل .. كل شغل .. وبني
 آدم .. علا .. او نزل .. نصيبه كله لقعة
 عيش .. حذمه تستر جسده .. والاخر
 حنين قطن على فيه ووراء ضميره .. لسكن
 الناس الانجليز .. الميه بالقطاره .. عيش
 واقله يكفى لسكن الشرب .. والنسوم ..
 حرام .. حرام الشمل من الجملة لص
 الليل .. ياما لعنت الشيخ حلوش ..
 خذل .. صبة الحشمت المبحوح يوقظك الصلاة

الفخر .. احرموا ولاد
 الملعونة .. والريس صمبلو ..
 فيه موى او اسلم .. حرم ..
 صمده .. بسسل ..
 سمعى .. لكن ..
 اس فى القبط .. مفضش ديمس مكمها ..
 على الحرام الحولى وندان نفسه .. الله عافيه



الحديدية أكبر من قبة سيدى ذا النون

— واد ياهمام ..

— أبوه يابراهيم ..

— انا حاسى اننى تعبان شويه ..

— اجمد بابو خليل ..

— امته .. ه .. يخلص الهارده ياواد

ياهمام ..

— لسه بدري بابو خليل ..

— ياواد ياهمام انا دايع ..

— اموذ بالله .. اصبر شويه ..

— مش قادر اشيل القاس ..

— اقول لك على شوره ...

انت شايف سجرتين اليتسبون .. الى

هناك دول ...

وبين سجرتى الينسون الكبيرتين .. القى

ابراهيم بجسده .. لم ينفس .. اسلم

جسده لامه الارض .. ينفس فوقها كما

ينفس ورق الينسون .. وكما تنفس دودة

القرضه .. والسحليه التى تحمل مفتاح

الجنة وترقد تحت جنبه ... وكما تنفس

حفنات التراب الرطبة التى تظللها غصون

الينسون ..

— الخولى زيدان يشد على ... والـ

حمدالله ع السلامه ياواد يابراهيم ..

— واه .. حالى ام ابراهيم ..

وتبكي غير مصدقه .. مش مصدقه يابراهيم

يا ضنايا سيدى ذا النون له دستتين شمع ..

وليله لاهل الله .. يقرأ فيها الشيخ حلموش

مشان رجعتك ليه بالسلامة ..

مست ابوها قادمه .. من بعيد .. تغلى

وجها .. و .. صوت غريب من مجتمع

شجرتى الينسون ودودة القرضه ..

والسحليه .. وزيدان .. وخالتى ام ابراهيم

.. ومست ابوها صوت ياتى من اغوار مجهولة

.. ويتقلب ابراهيم ويزعج عن نفسه اكوام

التمب والنحاس .. ويتقلب على جنبه الثانى

والصوت يتضح اكثر .. فاكتر .. ويفزع

ابراهيم .. وفتح ابراهيم عينيه .. ووقعتا

على حافرى حصال .. وشال بصره الى اعلى

.. وتجلت امامه الرؤية المخيفه .. اتجليزى

على ظهر جواده .. نزل الراكب .. رطن ..

شد كف ابراهيم اليمنى وقرأ رقما مثبتا على

قطعة حديد تلفت حول معصمه كساعة اليد ..

انطلق الحصان بالراكب .. حمل ابراهيم

فأسه وجرجر هواجسه ومخاوفه التى

مرقنته الى فرقة الرئيس مسميدة .. وكله

ينتفض بالفرع .. حكى لعاود ..

— .. انا خايف يا عواد ..

— .. الخوف من الله ...

— ه .. يموتونى باعواد ..

— يا شيخ قال الله ولا فالك ..

— نفسى اشسوف امى .. يا عواد ..

نفسى يا عواد .. اشوف بلدنا قبل مموت

.. سسجرة الجميز الكبيرة .. ابو قردان ..

وابويه ...

انا كنت بخاف من ترب بلدنا .. لكن

الوقتى .. ياريت ادقن فيها ..

— ياواد يابراهيم سلامتك م الموت ..

وحياة دى الليلة يابراهيم انت هندى اعز من

— ..

— عارف يا عواد .. وعازى اقول لك

حاجة ..

— انا تحت امرك .. قول ...

— ..

— ..

— ..

— ..

اجوز ست ابوها باعواد لما ترجع البلد ...

عواد يرتج جسده كالمحوم .. ويضع

كفه على فم ابراهيم بمنع شر الحلم ان

بتجسد فى كلمة وكلمة عرسه تفتال صفار

الغراخ كالعرسة ذاتها ..

— اجوزها يا عواد .. دى طيبة .. قلبها

ابيض زى اللبن الحليب .. ياماكان فى نفسى

.. انى مش كت بحبها زى م واحد يجوز

واحد .. كت بعزها زى امى .. اختى ..

واحد صاحبى .. دى .. غلبانه .. ياما شامت

كان فى نفسى اربحها شويه من قيطان الوسيه

.. غلبانه .. ملهاشى حد غير امها ...

— كفاية يابراهيم ..

— انا بقول لك اجوزها .. عشان عارف

انك تحبها ...

— ..

— .. نهرب فين يا عواد .. احنا عارفين

احنا فني .. ويمسكونا بدل م يبقى واحد يبغي
اتنين ..

بات العرخ في قصص الثعبان ..
في الفجر .. لم تسق فرقة الرئيس صميده
للعمل ...

.. الشمس المعجوز كسا شروقها
سحابات كثيفة سوداء .. فرقة الرئيس
صميده تقف حلقة .. في وسط انجليزى
ببدلته الصوفية الصفراء داخل معطف ثمين
تصطف أزواره من تحت الرقبة الى ما بين
الساقين .. تزين اكتفاهه وصدره نياشين
مجهولة الهوية .. قدماء غاطسة في شرايين
من الصوف .. الحذاء لامع كالصقعة ..
النحة حلقة ناعمة .. الشنب مثلث قاعدته
شبه رديفه .. يمر بساه عليها يمسح ..
آخر كوب من رجاحه ويسكى كبيره .. ينتهى
السب تحت انف طويل كاليلحمة الواومة
في لكنة منكسرة .. كالخواجاب بجار التظن
.. اعلن ان ابراهيم مسالم .. من فرقة
الرئيس صميده والذي يحمل رقم ١٩١٧ ..
تفر كسلان .. وثبت انه هرب من الخدمة ..
وسحر في حانه حرب كبيره ..
مررب جلده مانه جلده .. قد ..
وتحديرا لغيره .. والقيادة ..
استعملت الرافة ..

.. وسحبوا فتاتا ابراهيم مسالم الذي
يجعل رقبا لا يعرفه .. ادخلوا راسه في حلقة
.. شدوا يديه الى الامام .. قوسوا ظهره
.. ووقعت الطائفة الصوف الحمراء المشفولة
بالفرزة ومرت هبة هواء بارده هزتها ..
ولم ترقعها يد .. وظهرت البقعة السوداء
على جنبه الأيسر .. وجهه أم ابراهيم في
حفنة غسل اسود .. ومرت هبة هواء ثانية
باردة .. فحركت شعره الاصة العايق ..
ورفع صميده يمانه بالسوط مزحوما بالزيت
ثقيلا .. وصرخ ابراهيم .. وصرخ .. وارتفعت
الاناث .. لم يسمعها سيدى ذا اللون صاحب
الشمع الذى لا ينطفئ .. وارتفعت الاناث
.. والاوراق المقدسة في يد الشيخ حلموشى
على منبر الجمعه .. وخعت الاناث .. تدلت
رأس ابراهيم .. العمد مستعر .. سنين ..
واحد وستين .. اثنين وستين .. وانتفض

الرجال الواجمون .. الساكتون .. وحمله
الرجال حملة عواد .. واستقبل ابراهيم ما
وراء التل ...

(٦)

.. حمسور سه ...
.. بعض سه .. سبس .. بعض عشر
سواب ..
.. قل تنقص خمسون سنه .. نحن لانعد
بالارقام ..
.. نحن في حوارى تلبانه .. قريتنا ..
غيطابا .. وسككها واشجار الجميز .. وأبو
قردان الوفى وحيرها التى تدب باقدها متمدنه
متباطئة .. تحسرك الرقبة وتهتز الأذان
الطويلتان المتدلتيان اهتزازة وقورة .. تصنع
مع ديب الحوافر المقصبة قطعه باليه شجيرة
.. يقول ان المصريين لم يتموا بعد رغم
.. انب فصول الفيضان .. بناء الهرم الأكبر

(٧)

.. الشمس علي مهول صنع يوما جديدا ..
نورها يكاد يمس اعالي شجر الجازولين
الكافور .. سطح التربة تتصاعد منه بوخة
كالتي تتصاعد من حلة بامية تقف رفع غطاها
(خالتي الست) تشق طريقها .. تتبين
بوضوح آثار قدميها فوق التراب الذى ختمه
ما امتصه من ندى .. قشرة التراب الرطابية
تملا بحنو الشقوق المفتوحة في كعبى خالتي
الست .. الشمس تملو من وراء غيظ اللدة
.. فطرة ندى تلمع خضراء حمراء صغراء على
ورقة حلعه مدبية .. أوراق البشيتي المقرودة
كزعيف سنر عبي سطح اسرعه .. وتغمر
قوقها ضفدعة .. اعواد النمسيل الحظراء
تمتد على الحافة .. شجرة السنط المعجوز
تميل بجذعها على قلب التربة وتوصل الى
قرب البر الثاني وتتخذها الفلاحون الخيشنة
قطرة .. حنيئة العمدة القديمة تقذف خالتي
الست براحة الجوافة .. قوية نقاذة .. نور
الشمس يسقط على ورقة الجوافة الخضراء

الدائنة وتبرز حيات الجوافه .. بقع صفراء
الغلاب يزحف الى قم خالتي الست ويفسرق
لسانها ..

.. سبحانه الدائم .. عادت جيبه الاصلاح
.. اشوح واحدة ياعم جبرين ..
.. بس يابت ه يعطى من ملك قيره ..
.. ملكه والا ملك غيره .. قنعت والمحمد
لله ..

.. بتحدثى مين ياست ابوها ..
.. انت فين داهيه ياواد ياعواد .. دايم
ورابا .. ورابا ..
.. انا فت ع الدار .. نهضت .. محدش
رد ..

.. مين ه يرد .. يا حشرة .. انا صاحبه
من اذان الفجر .. غسلت وشى ولبيت لقمة
.. وقلت يابت ادحدهى .. اسبقهم ع
الفيط ..

.. تركبى الحمار ياست ابوها ..
.. ممدشى بمرى .. السكه خلصت ..
الفيط قرب ..

.. والله انا ياست انا بيعز على هدايتك ..
العبطان ..
.. مش هيب ياعواد ..
محتاج .. الله يرحم الجميع ..

.. اختار عواد لست ابوها خسيط قلب
القنايه .. قطنه خفيف .. سمعد حشوب
العنايه وتعمل الشجرة .. وترع العلى من
اللوزات .. وتنى الشجرة .. وتصعد
بيدها على حوب العنايه وتنعن للشجرة
الثانية .. اولاد عواد .. ونسوان اولاده وأولاد
اولاده بعدد خطوط الفيط من الحد للحد
.. وقف خفير الاصلاح الزراعى يال ..

.. ه ايل كام كيس ياعم عواد ..
.. ه هات كيسين يابى ..
.. قولى موال يا خالة الست ..
.. هم عواد لحفيده ..
.. اجمع ياواد وانت ساكت ..
.. ابن عم عواد البكرى ..

.. يا راجل .. صيب العيال يتفكو .. احنا
فى مدرسة ..
.. ياتك الغم .. لسانك طويل زى ابتك ..

.. قولى موال ياخاله الست .. وأنا ه
اجمع لك الخط بتاك ..
.. عم عواد قذف حفيده بطويه .. تلقاها
الصغير باسما عايشا .. ونظر الى ابيه يرى
وقع ماحدث على قسما وجهه ..

.. ابن عم عواد البكرى ..
.. ياراجل نطقنا بسكانك .. سبب العيال
يجمعوا .. والا اقول لك .. قوم روح .. فوت
على النقطة دول كانوا عابزينك ..

.. اخرس لسانك ياوله .. ذك خييه ..
.. انت وابك فى يوم واحد ..
.. ولكن حفيدا اخر مال على الصغير طالب
الموال ..

.. يا حبيب الموال ما جيش كده .. سبه
يجى لوحده دى خاشك الست متعرشى
تشتعل الام تقول مواويل ..
.. مين اكبر ياوله .. جدنا والا حالتك
الست ..

.. انا سمعته مره يقول انهم من سن
بعض ..

.. ن داير عليها قبل ما يجوز جدتنا
.. قيل ماسوب سمعنا
.. سرور لا اله الا الله يا ابراهيم مالوش امان ..
.. ياما جوى وراحت ابوها .. كان فى نفسه
يجوزها ..

.. عم عواد لم القطن من حزم الجميمة والقاهما
فى الكيس .. ادار يده فى الكيس يسوي القطن
وبكسه .. واستند ظهره الى الكيس وفى ظله
اخرج علبة الدخان .. وانتزع ورقة بفره من
الدفترا اخذ من العلبة مسكة اصبعين دخان
فوط .. انام الورقة على السبابتين ..
وبالابهامين ، برم الورقة الرقيقة .. ويظرف
لسانه ليل حرفها ويرمها .. فاستوت فى يده
سيجارة تملقت بين شفتيه .. سحب من
جيبه كيس قماش صغير .. اخرج منه قطعة
قطعة حديد مستديرة مع قطعة سن مشطوفة
قرب يده من فمه وضرب الحديد على
الصخرة فتطارت بضع شرارات وشد نفسا
عميقا فاشتعلت السيجارة .. وزم شفتيه
ناركا تقبا ضيقا .. طرد منه الدخان فانبتق
خط افقى .. ومن طاتى انفه نفت عمودين
من الدخان تقاطعا مع الدخان المنطلق من بين

شفتيه...ومرح بصرة قسميع الاولاد ونسوانهم
احفاده .. وبسبب مصاقيه .. ووقف
عند ست ابوها .. ونبض مرق داخل
صدره ..

— فین یا اولاد .. عمر .. عمر طويل ..
من ایام م رجعت من السلطنة .. رحت لامها
.. كانه امبارح .. دارهم الی مقبرهائی
الزمان .. یاما سمعت من المرحوم ابویه ..
الفتاحه لروحه .. وروح امواتنا .. واموات
المسلمین .. یاما سمعت منه ان الدار دی
كان فیها بدل الراجل خمسہ .. ابوست
ابوها .. واخوانه .. مسبحان الدائم ..
فضلت الولیة وبنتها .. مش هانسی ابدا ..
یوم م قنت نولیه علی الی حصل للمرحوم
ابراهيم الله یرحمہ .. النویه حزنت علیه ..
یمکن انتر من امه .. الا ست ابوها .. م میس
وحده بالوصفه دی .. تقع من طولها ساعة م
تعرف ان ابراهيم مات .. یعی یا ولداه لو
عرفت الی حصل له .. الله اعلم .. کل عیلة
ایه فی روحها قاست کثیر م .. صدقش ان
ابراهيم قال لی یاعواد اجوز ست ابی
انه یرحمک یا ابراهيم .. عی امود لرح
الحلو .. یاما التراب بیاکل ..

— اجوز ست ابوها یا هؤلاء ..
كانت بتحبہ .. وشهادة له .. انا م کت
یمتد فی حکایة الحب دی .. وللو قتی کمان
.. لکن ست ابوها .. فیه واحدہ تعمل کده
.. تب لو مش بتحنی .. کان اجوزت حد
غیری .. امها قالت لها ..

— یا ست ابوها .. یابنتی .. الامهار بید
الله .. وربنا حلل الجواز .. عواد مش
غریب ..
— یا امه راسی والف سیف .. انا خلاص
عرفت بختی ..

— یابنتی انت لسه صغیره .. لا رحت
ولا جیتی والبحت عند الله مداری ..
— یا امه انی مش ها اجوز .. لا عواد
ولا بیره ..

— سبیبها یا خاله امبارکه .. هیه ..
رامیه عینیها علی حد تانی ..
— یاعواد یابنتی .. دی بنتی وانی عارفها

.. وحیة دی اللیلة ومساها یابنتی .. م حال
فی دماغ ست ابوها .. سبیبها شویه ..
الفرقة صعبه .. ودول یابنتی كانوا .. زی
الاخوات ..

— یاعواد یابنتی .. شوف عدلك .. بنتی
حصل فی دماغها حاجة .. دی یاحیة قلبی
طول اللیل تعیط .. وساعات تصرخ وهیه
نایمه ..

— یاخاله امبارکه .. المرحوم ابراهيم قال
لی .. انه م کانتی بیحب ست ابوها .. زی
م واحد هيجوز واحدہ .. زی م یكون اخوها
ابوها .. وانی مطرجه .. لا الجواز نصیب لکن
انی خدام .. زی ابنک تمام .. وست ابوها
علی کل حال اختی ..

— البقیة فی حیاتک یاست ابوها .. الدوام
له .. ماتحملش هم .. احنا محطاشی غرب
عن بعض ..

— کتر خیرک یاعواد .. عملت الی علیک
وانتر .. لا .. ولا ادس .. ولا عارفه
یمینی من شمالی .. کتر خیرک ..

— کان عندها حق .. مین کان ینحمل الی
.. لدر .. سعتهم اکثر من الجرس ..
.. یأی ارباه لوحدها .. والحاجة
الغریبه ایها یرد کل الی راحوا لها ..
.. حق .. مین کان یحمل

اللی حصل لها .. ائی نفسی لما قالو لی یاعواد
ست ابوها سدت الدار علیها ومبتلمشی ادی
جمعه بحالها .. خفت اخش الدار علیها
وكانت لیلة زی الطین .. دقیت ع البسباب
م حدش رد .. مره .. واتنی وتلاته ..

ادورت من ع السلطوح .. وتزلت ع السلم
اخشب .. جزع تخله منجور .. لقیث نفسی
جوه الدار .. ضلمه خرس .. یاست ابوها
.. یاست ابوها .. خفت .. قلبی ضرب ..
والفار لمب فی هیه ..

یواد یمکن ماتت .. یمکن هجت .. زی
م ینهج فی ميعاد جمع القطن کل سنة یمکن ..
یمکن .. والداری زی الهو ..

— یاست ابوها .. ائی عواد .. اظمی
.. یاشیخه حرام علیک .. حلفتک بسیدی
ذا التون وحیة ابراهيم .. وفین .. وفین
وفین .. لما سمعت عیاطها .. یاناس دارحرام

الرجاله .. والاكاده .. أن الناس خلاص ..
 قالت ست ابوها .. عادت راجل .. راجل
 ياخسارة .. ياخسارة يا اولاد .. الله يلين
 الايام فين .. فين ست ابوها .. اللي كانت
 تجمع القطر طول النهار في يؤنه الحجر ..
 الشمس م تشوفني ايدها ولا وشها .. اخر
 النهار وهيه مروحه .. ولا بنت ناظر الوسيه
 كمها يبقى احمر زى الجزره ووشها زى
 الطمطمه .. الله يرحمك يا ابراهيم مش ه اتسى
 الموال بتاتك .. عندى من الورد .. كانت
 بستان ورد صحيح .. مين يصدق .. الناس
 معذوره .. محدش شافها من اولاد الايام دى
 .. ورحت لها تاني بعد م اجوزت وبعد م جبت
 بسلامته ابراهيم .. على الحرام كان قصصه
 حر ..

— باست ابوها .. ربنا حل الجواز من
 واحد واتنين ..
 باست ابوها سيدنا النبى . اجوز بعد
 سبت حديجة ..
 — باست ابوها انا خدامك .. خليكى في
 دار ابوك زى ما انت ذاتى ومراتى والعيال

— حرك يا عواد .. عملت اللي عليك
 واكبر .. والاكاده الناس معلونى ولى امرها
 الواد السعيد بن فرحة يقول يا عواد اتنى
 عايز اجوز ست ابوها وجاى لك . تقول لها

.. دا الوليه دى تعذبت عذاب .. الله يلين
 الحب .. على اللي بيحبوه ..
 — يا عواد .. كتر خيرك .. انا كنده
 مسوطه .. سببى ..

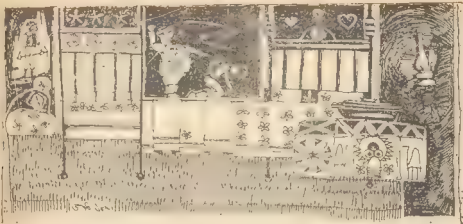
— اتنى فين الاول .. اتنى مش شايك ..
 — آمى فى القاعه الى ماتت فيها أمى ..
 — اطلعى يا ست ابوها ..
 — سببى يا عواد .. اطلع اعمل ايه ..
 خير ربنا كتر .. العيش فى المشنه .. والوزير
 مليون ميه .

— على الطلاق من حليمه بنت البرمى يخلها
 شيخ ويحرمها شيخ ما اسيبك تمنى لوحدك
 فى الضلمه ..

الضلمه موتت قلبها ... الضلمه وحشه
 باناس .. اتنى استغفر الله العظيم يارب ..
 م اخفش من الملايكة الملى فى القبر زى م اخاف
 من الضلمه .. الضلمه عملتها راجل .. فيه
 واحدة زبها كانت تشغل الشغل دى كله .

اراضى الوسيه .. ارضى ارضى .. حوص
 حوص .. فين .. والا فين .. والا دير
 .. اتنى يللى اسمى راجل .. م اشغلتنى
 زبها .. من ساعة م الوسية حطت يدك فى
 ايد ست ابوها ما تتعشى ع الخ ..
 .. تخل تنقى الفلت .. الخند اوه ..
 الكيماوى .. الحاجه وحشه باناس .. دى
 كانت بتسقى تحت مكه الميه بالليل مع





- انا بدى اكمل الجنيه .. علشان اموت
وانا مرتاحة انى سايه تكاليف الكفن ..

كانا قد اقترنا من القرية .. اعترضهما
عواد شحانه التقير الميرى .. اعلن الى عم عواد
ان نقطة البوليس تطلبه فاصفر اولاده غاب
عن المنظر بالانصراف وحسروا له محضرا
و .. كفتير فى النقطة ..

بد صبح شحانه عم عواد الى نقطة الشرطة

قاد خالتي الست قديمها الى داخل
القرية .. كنست صحن الدار الواسعة ملأت
البلاص من حنيفة المجموعة ..

اوقدت الكانون تسخن صحن الملوخية ..
خيمت المتعة .. داخل الدار الكبيرة ...
رفعت رأسها الى السماء من صحن الدار
المكتشف بصعوبة تبيئت شقا ابيض فى السماء
حسرت القرطلة عن رأسها - عرت مقدمة
شعراتها البيضاء ..

سحب صدرها .. رفعت كفيها مفتوحتين
فى مزاجيه وحيتها .. وفى نسل عميق ..
من .. علاك ...

- اجمعه شهر مارك ..

.. آمين ..

.. آمين ..

.. آمين ..

- يا شيخه اركبى ملمسون ابو التماس
كلها ..

وهاجم عم عواد عناد ست ابوها بمناصبة
رفضها ركوب الحمار .. وفى تلايف جماعه
احلام الظهيرة فى ظل كيس القطن ..

- عموك دماغك ناشف ..

- طلاق من مين يا خبيث .. اجوت القطن
ووديتهم .. يا عجوز .. يا باروش ..

صحك عم عواد .. ولم يكن لديه اى نبض
ان يصف ست ابوها بالكبر او بالشيخوخة
.. لا سمح الله ..

استوى عم عواد .. على ظهر حملاه
الاسود المجوز وفى محاذاته سارت ست
ابوها .. الحمار يحرك رقبتة فى تؤدة ...
اذناه الكبيرتان تهزان على وقع الحوافر البطيء
.. تنغم صوتى وحركى يصاحب الكلمات بين
عم عواد وست ابوها ... عم عواد يعاتب
صديقة العمر .. فى الم واضح .. فى لاتاكل
قدر ما يتبقى من طفل .. وخير ربنا كثير ..
وقسمنا بين رفع السماء بلا عمد عم عواد
يشيل اللقمة من فمه الى فم ست ابوها ...
رجاؤه ان ترتاح .. لكن ست ابوها تفاجئه ..

- فاضل أد .. ايه .. على ما يكمل الجنيه

- دماغك ناشف يا ست ابوها ..

رسالة بيروت

حسين مروءة

دفاع عن الإنسان العربي

.. لم أن المطلوب - في رأي هذا الجريح - إنما « نطلبه من الياسين الغافلين المشغولين الهادين التائهين المصلوبين»

في هذا الكلام وامتاله ما يدفع - أولاً - ذوى النفوس الضعيفة المتزلزة إلى اليأس أو الهروب من المعركة ، وما يدفع - ثانياً - قضية العرب عن مكانها العليقي ومنجرها الواقعي والواقعي ..

حين إذاً بحثنا إلى أصل القضية العربية في وضعها التاريخي ، خلال هذا الوضع ، لا يستحق أن يوصف بأنه مختلف حضارياً ، بل الأمر على العكس .. فما هو وضع القضية بأساسه وجوهره ؟

نقول لهؤلاء المشككين بالإنسان العربي : إنه منذ أن حاول هذا الإنسان - والمقصود هنا الشعب العربي - أن يخرج من عهود الإمبراطوريات الاستعمارية إلى عهود الثورة التحررية ، كانت طبيعته ، ولا تزال ، قضية صراع بين قوى استعمارية تثبّت بوجودها في أرضنا وبمصلحتها واميازاتها وسيطرتها في بلادنا ، وبين قوى شعبنا الناشئة بأسباب الكفاح الثوابع ، بمختلف أشكاله ووسائله ، لتحرر الكامل من قيود تلك المصالح والامتيازات والسيطرات .. وبالرغبة الطامحة في إنشاء علاقاتها الدولية ، سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، على أساس من مبادئ : حق تقرير المصير بحرية ، وحق كل شعب بسيادته التامة على أرضه وثرواته ومقدراته ، وحق بناء هذه السيادة في إطار الدولة المستقلة استقلالاً كاملاً بلغي كل امتياز لاية دولة أخرى ، ويتفق كل تدخل من أية دولة في شؤون السيادة الوطنية ، ويحصل هدفه الأول والأخير تطور قوى الشعب وتنشيطها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي لمصلحة أوسع الجماهير الشعبية ، أي تحرير طاقاتها الإبداعية في سبيل رغبتها الحثي وتنشيطها الروحي ورفع مستواها الحضاري .

لم ينقطع ، بعد ، حديث التجربة العربية في الماضي من حزيران (يونيو) .. فما يزال الوسط الثقافي والفكري في لبنان يدبر هذا الحديث في الجالس والوقوف والصفادة لا يشغله عنه شأني ..

ذلك أمر متعلق ما دام لهن بلعونه هذه هذه جز الإنسان العربي من أعماقه حرم بمثل حركته حتى ما لهم الأشياء التي كان يشق بها من فبريقه بل كان لها حركتها جديدا وراء حوافر جديدة .. ولكن الأمر يسيلور حدوده المتفق حين تبلغ الهزة مكان الثقة بالإنسان ذاته ..

لقد حدث هذا فعلا لدى بعض الكتاب اللبنانيين إلى جانب ما يكتبه الآخرون من معالجات تصد عن مواقع الثقة بالإنسان وبفكرته العظيمة على الاستفادة من التجربة العميقة .. وقد يكون من الحق أن أحسن هذه المعالجات الإيجابية نفسها بالذكر في هذه الرسالة ، ولكن أرى أن أهمها يجري على طبيعة الأشياء ، فلا حاجة بها ، إذن - إلى إعادة التأكيد وإنما الأحق بالذكر هنا هو ما يصدر ، عندما ، هذه الأيام من معالجات سلبية للتجربة تغلخ إلى استنتاجات غريبة تطرح بقضية الإنسان العربي عن موضعها الاصيل من الواقع ومن التاريخ .. وعلينا أن نتصدى لهذا النوع من المعالجة في هذه الظروف بعينها ناقش أصحابها في هدوء وموضوعية وافتتاح ..

لقد كتب بعضهم ، هنا ، عن أسباب « التكمسة » العربية في حوادث الصفوان الاسرائيلي الاستعماري في ٥ يونيو ، صادوا برأيهم في شدة الأسباب عن نزعة مثالية ذاتية انتهت به إلى القول بأن ما حدث للعرب من نتائج العدوان ليس هزيمة عسكرية ، بل هو هزيمة « حضارية » .. وإن المطلوب إذن ، تعير الإنسان العربي « من الأساس

— كيف نقضي أكثر من مائة عام ولا يعمل هذا الكفاح الى غايته ، بل يعاقب بمشعل النكسة الاخيرة .
فأما ؟ — ليست هذه إحدى ظاهرات التخلف والعجز الحضاري ؟

نقول : لا .. ليس يكفي هذا المدى الزمني للخلاص من الار خمسة قرون وتزيد تصافرت فيها قوى تاريخية عدة رهبة على خلق النشيط الحضاري في روح الانسان العربي وجسده معاً ، فكيف اذا اصبحت الى هذه القوى القديرة قوى جديدة هي اشد فعلاً وافعى سلاحاً وأقوى شراً في صراع قوى التدهور الناشئة عند هذا الانسان العربي الذي ما انكس طوال مائة عام حاملاً على إحدى كتفيه خشبة صليب ، وعلى كتفه الأخرى سلاح المركة ..

إن القوى الجديدة التي دخلت حليات الصراع ضد هذا الانسان العربي حطاً على امتيازاتها الاحتكارية الاستعمارية في أرضه ، ودافعا عن قواعدها الإستراتيجية والاقتصادية والثقافية في جغرافيته البشرية والطبيعية ، قد زحفت اليه بوسائل حضارية مادية وهو خارج من دهايل الزمن الوجودي الظلامي فأفاد هذا الوسائل كلها ، ولكنه صعد لها ولم يتزحزح عن قصده ، ولم يهرب من المركة ، ولم يفلت الطلائع الرجعية التي تعود به الى قلب المركة دائماً كلما دلمه عنها هذه القوى الشرسة دلمها عليها ببلع اجالاً كنحمة منزلة المساء التي تزيد عن مسالمة الإبلغة ، ويبلغ أحياناً أخرى منزلة اللاجسفة التي يتساووز ألها ما فعلته ناصحه الحاضر ..

فأما في هذا الانسان العربي قوى الاستعداد والاستيعاب والاندماج ، فهذه الحقيقة حتى اليوم ١٩٢٤ ولندري معاركه في القرن العشرين هذا وحده : منذ مشائق السلاح الصهاى في ساحى دمشق وبيروت ، ولودة ١٩١٩ في مصر ، وبوره ١٩٢٠ في العراق ، ولودة ١٩٢٥ في سورية ، ولودة ١٩٣٧ في فلسطين ، الى الصلوات المتنوعة الاستكشاف والوسائل والاساليب التي خاضتها جماهير الانسان العربي على مدى السنوات المتضخمة بين الحزبين العاليتين ، بعداً عن اصروها على رفض العبوديات والتسلب والقمع الخارجى والداخل ، وعلى رفضها الاستمرار في حالات التخلف الحضاري والركود التاريخي ؟

هل الثورات والانكشافات الشعبية المتلاحقة في : بلدان المغرب العربي ، ليبيا وتونس والجزائر والمغرب طوال عهود الاحتلال الايطالي والفرنسي حتى الثورات الاستقلالية ، وفي مصر بوجه حملة نابليون ، ثم بوجه الاحتلال البريطاني من بودة عرابى حتى ثورة ٢٣ يولييه ١٩٥٢ .. وفي السودان ضد الاستعمار البريطاني .. وفي اليمن بوجه الحاصلات التركية العثمانية والاباطلية دون أن يتنازل شعبها قد عن مناعة استقلاله حتى ثورته الأخيرة بوجه النظام الملكي الاقطاعي الرجعي .. وفي العراق وسورية ولبنان والجزائر وفلسطين بوجهة لاستيلاء الاقطاعي الداخل حثاً ، وللسلطات العثمانية حثاً ، وللسيقرات الاجنبية الاستعمارية حثاً ، وللتفسير الاجتماعي والسياسي حثاً .. هل هذه الثورات والانكشافات،

هذا هو جوهر القضية العربية في الاساس .. وليست المسألة الفلسطينية بأصولها وفروعها سوى جزء من هذه القضية ، أو جدر من جنوبها .. أى أن مساله فلسطين لا تفرج عى كونها جزءاً من مسألة الصراع بين قوى الرأسمالية الاحتكارية الاستعمارية العالمية التي تدخل الصهيونية اسرائيل في تركيبها الضوى ، وبين قوى الكفاح التحرري العربي لتعظيم سيادة الشعب في بلاده وتقرير مصيره بنفسه وفق أهداف تقدمه وسعادته وكرامته .

إن وضع القضية على قدمها يقتضى أن تكون مفهومه على هذه الصورة المثبتة من وعيها الواقعي التاريخي ، فويها وانسانيا .. فإذا تصدى بعض الاثلام في لبنان أو عسر لبنان ، بعد حوادث ٥ حزيران الماضي ، لاستخلاص وضبح آخر للقضية بخلاف هذا الوضع ، فأما يخرف بها عن حقيقتها الحرفاء يقف بها على رأسها لا على قدمها ..

إن تشبث الانسان العربي منذ نحو مائة عام ، في حلقة ذلك الصراع ، بنشأته الحرية ، ويكفاه التصل من أجل هذه الحرية الى حد التضحية بالذات ، في كثير من الممار ، يتكشف عن ادراكه — أولاً — قيمته من حيث هو انسان ، وادراكه — ثانياً — قيمة الحرية في تحقيق انسانيته ... كما يكشف ذلك عن ايمانه العميق بالقيم الانسانية الرقعة التي لقي ، في طبيعتها قيمة التحرر من العبوديات الخارجة والدخلة ..

إن انساناً يتكشف تاريخه عن هذه الحقائق ، ليس يصح أن يوصم بأنه متخلف حضارياً .. (انظر كتاب المختار) كما يقول البعض ، هي « الحضوري الانساني » مساهمة في الكون والمستقبل والناس ، فإن طلب الحرية كحمة اساسية عليا ، والكفاح من أجلها ، هما الجسمة الفعل الانجابي لهذا المفهوم الحضاري ..

فأى حضور انساني في الكون والمستقبل والناس ، وأى إشباع لهذا الحضور ، القوى واعمق وأظهر من أن ينهض الانسان العربي ، منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وهو وازح بانقلا قرون عدة من العبوديات متعلقا الى تاريخه الحضاري وازح تلك القرون من جهة ، وإلى تاريخ الانسانية الجديد وراء عائله المثلث بالظلم من جهة ثانية ، وفي قدميه أنواع من القيود تخلف بها استبداد الفزاد والطغاة الزاحفين اليه من اعماق الشرق واعمال الغرب منذ حملة التتار الى حملة الصليبيين فالى حملات الفزاة المحدثين المستعمرين .. ينهض الانسان العربي وهو وازح بكل هذه الاقلا ليضعها عن منكيه ، وليتخلص عن نفسه وعقله ووجدانه ما تراكم من آثارها ورواسبها ، وليحسرد وجسوده القردى والاجتماعي وكونونه القومية من التبعيات الدولية ومن أنواع التسلب الخارجى ، ثم الداخل ..

منذ منتصف القرن التاسع عشر الى يومنا هذا والانسان العربي دأب في كفاحه دون انقطاع لشيء وجوده الحضاري .. وقد يسأل بعض هؤلاء التشككين :

الإنسان العربي حصاريا . كم يأخذ به على العكس ، دليلا على حضارته العريقة الأصيلة ؟

هل هذا كله سوى حجة فاطمة دائمة على عكس ماتريدون اذاعتها في الناس ودسه الي نفوسهم وغفلولهم ، متعززين حالة الفلن والالهم الرائجة بها اعصابهم في هذه الظروف الدفينة ؟

هل هذا كله سوى برهان ساطع على ان الانسان العربي مستمسك ، بامرار وعناد الى النهاية ، بالفصل القديم الانسانية الحضارية : قيم الحرية ؟

هل نصح ، في منطق الفكر الحضاري ، ان نحسب حساب القتل العسكري وحده في احدى جولات المعركة العرة الكيرة الطويلة الامد المستمرة حتى النصر ، وان نهمل كليا حساب تلك الدخائر الروحية ذات الدلالات الحضارية التي احتفظ بها الانسان العربي اكثر من عائلته عام تكافح بداب لمز متقطع ، في ثورة متصلة الجبهات لافراق وحوده الحضاري ، دون ان نطدله خيبة وهزيمة .. او بلهيه انتصار ، وما اكثر ما حقق من انتصارات ؟



ايها السادة المشككون بالانسان العربي وهو في اوج بزوه النضوي .

انتم لا ترون ، سادس العربي هذا ، لانكم تجهلون تاريخه . جاهدكم لروحي الفصل سرائره الحضاري .

انتم لا تعرفون قصة الانسان العربي الا مطبوعة على ورق دماء . انتم لا تعرفون كيف كان العرب في الحياة - عن قديم الزمان - كيف كانت قلوبهم على قديمها في تاريخ الانسان العربي .

اسم لا تستطيعون ، ايها السادة ، ان تدركوا ان قصصه الزنده العربيه ، ان قصة الكفاح العربي من اجل الحرية ، وهي القية الحضارية المثل - هي قضية الانسان في كل مكان من الارض ، وهي لذلك تحسسه الى جانب انساننا العربي صفوف البشرية التحررية والتضدية باسرها ، وان هذه القضية مستترة ، وان العسافوف التي نسج معها في قافلة واحدة ستبلغ غايتها من الظفر لا معالة . مهما امتدت اوزى القظام واشر والصفوان بكيدها ..

ستستمر قافلة الحرية والتقدم وتنتصر معها كفاح الشعب العربي العظيم ..

وهل انواع الاتصال الجماهيري المتواصله التي واكبت هذه الثورات والانتفاضات او مهدت لها او انسجت لها .. هل اصار الانسان العربي على مناعة الثورة العربية بحركتها الكلية المتكاملة ، رغم الازهجمات والخيبتات التي اصابتها ، ورغم الانتصارات التي حققتها هنا وهناك ..

.. هل ثورة عدن وجنوب اليمن المحتل ، وثورة عمال في اقصى الجنوب العربي ، والتفجعات وحرارة العمود والاستمرار بهما دون توان ولا تكوصي ولا انقطاع .

هل تصباعد حركة الفكر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والاندولوجي في البلاد العربية لبناء مجتمع الانسان العربي على اساسين متلازمين : اساس مواجهة الصهيونية واسرائيل والامبريالية الانجيلو امريكية الى تسندهما ، واساس تحرير هذا المجتمع من الاستغلال والاستبداد وتحرير ثرواته وعواضده الطبيعية من ايدى المظلمون غير الشرعيين عليها ، وتحرير طلالته الكثيرة من الموت الكاسحة لتطوعها وتقدمها الحضاري ..

هل لثورات الانسان العربي ونفالاته المتصلة التي استنقلت لمسارها معطم الظلمه وبنى على انتصاراتها دولات وطينه ودولت تقديمه هي التي تشر الآن لحظ الاستعمار

والصهيونية وتكبد لها وباسمها كبرياء .

عائله برعاعه اكر دونه المعاصر .

دلب لان هذه الدول العربيه .

الجمهورية العربية المتحدة ، تحمل الخطر .

هذا المسكر وقواعده وميقاته واجتهاد .

العالم ..

هل مشاعر الوحدة والتضامن الميادين في سبيل

البلدان العربية كافة لمواجهة كل مؤامرة على كل حركة تحريرية او تقديمه في أي بلد عربي قريب او بعيد ..

هل تلك الولاية التي وليها الانسان العربي في كل بقعة عربية يومي ٩ و ١٠ يونيو الماضي للإبقاء على فساد الرئيس جمال عبد الناصر للثورة التحررية التقدمية بالرمح من ان الظرف الصعب الذي انبثقت منه هذه الوثبة الشعبية العربية العظيمة كان ظرفا يقضي على العمود بقاها

عاصرية قاسية ..

هل هذا كله ، ايها السادة المشككون بالانسان العربي ، يمكن ان يأخذ به منطق الفكر الحضاري دليلا على تخلف

البيئة .. وأما الذي يرجعه هو أن المؤثرات في حياته
ثلاثة :

أحدها : البيئة الطبيعية

الثاني : المحيط الاجتماعي

الثالث : مدى تقبل الشاعر لمؤثرات بيئته ومجتمعهم
واعتماد هذه المؤثرات في نفسه .. فشمسور الشاعر تجاه
مؤثرات البيئة ومدى تقبله أو رفضه لها .. أثر فعال في
سيرته ومنحاه في الحياة .. ولذا قد يكون في الكيبيسة
الواحدة مطمئن ومتروك .. راضٍ وساجد .. فكل هؤلاء
قد تأثر بأساليب بيئة متشابهة لكنهم لم يتقبلوها جميعا
بصورة واحدة ولم تترج في نلوسهم امتزاجا متشابها .
فكل منهم قد اتخذ المؤلف الذي يتلائم وطبيعة مكوناته
النفسية والثقافة في الحياة .. فعيد الصمد بن المثل
كان شاعرا متعبدا .. وأخوه أحمد كان فقيها ناسكا ..
وكلاهما نشأ في البصرة ولـ بيت واحد .. لكن مذهبهما
في الحياة قد اختلفا .. كما هو موضح في الفصل الثالث
الذي ذكره **أسرة شاعر** بالاقصالة الى ذلك .

أما الفصل الرابع فقد خصص لحياة ابن المصنل
وهو تبرز حموية طائفا عابدا من ترجع للشعر، القضاء ..
في الترجمة لأي شاعر قديم مصروف كثير من المسفرة
والصرا لا يواجه الكاتب من هذه الإخبار المختلفة المفسرة
حيا والثقافة المتباينة أحيانا .. فأخبار الشاعر السكون
ينصل أكثرها بإيام شهرته ، أما أطوار حياته الأولى فهي
غامضة لاتجد لها سوى كعاب شاحبة لائفت بحثا ولايتكامل
بها رأى .. هذا الشاعر المعروف .. فكيف بالشاعر الذي
لحق عليه موج الزمن فزونا ٢٢ وقد واجه ألباهت هذه
بالصورة باللجوء الى شعر ابن المثل .. يلتصق أطوار
حياته فيه ، ويتعرف على مذهب في التميز والتفكير .. ثم
يرسم لذلك صورة تكون القصصية والقفوة الواهبا
وسماها وتكون الأخبار بعد غريلتها والتوثق فيها خطوطها
الطامة .. فقد اعتمد على شعره في تحديد تاريخ مولده
وقد ذكره أبو البقاء الهندي (سحر الميوس ص ٢٨٨) على
أنه سنة ١٩٩ هـ ، لكنه رأى أن مولده قبل هذا التاريخ.
فهو قد ولد في أواخر سنن الرشيد التولى سنة ١٩٣ هـ
على أقل تقدير ، وعزز رأيه بشواهد من شعره .. ثم اخل
في توضيح علاج حياته منذ تولى الإخش الأوسق تاديبه
حتى تطورت الى حياة متمردة ساخرة مع بيان اغسلاته
وحالات نفسه .. ويبدأ فهنا للشعر وللشعر الذاتي المتمرد
ينفض في هذا الفصل والفصل الخامس بعده .. فالشعر

لم درس الباحث الحياة الاجتماعية لهذا العصر
ومظاهر التلق في واجملها فيما يأتي :

(١) الخلافة والمتحلف : وقد ظهر هذا التنافس
تمتلا في مختلف الطبقات ، في الطلبة ، والأمراء ، وأواسط
الناس وغيرهم ، ورأينا كثرة الجوارى والظلمان سببا من
اسباب النزاع بين الناس اللهو والطرب ومن ثم شيوخ الجون
والتماجن .. وهذا مظهران لتلق العصر ..

(ب) الحرص والطموح : فقد سيطر العامل المادي
على النفوس ، فشاع الانحياز ، وتلقن الناس في جميع
المال .. ونلمس هذا في كتابات الجاحق وفي أساليب
لنكر المتمزقة .. ونفكرهم كان طابع العصر ..
(ج) التمرد والفرقة : فلم تكن لهمسة الزندقة
نستعمل للعقلية ، وأما كانت وسيلة من وسائل محاربة
الخصوم السياسيين للدولة ، واستخدمت أحيانا لمحاربة
حرية الفكر من قبل رجال الدين المتزمتين .

ودرس الباحث في هذا الفصل الحياة الأدبية ،
والصراع بين القيم الحضارية التي سيطرت في الحضارة بين
القديم والجديد من التقاليد والمبادئ (المثل الاحسانية)
والادوس .. فكان انصار القديم من الرواة والشعر لا يرون
في خروج بشار وأبي نواس وأبي تمام على المألوف القديم
حسنا ، ولا في فتون المعرفة للترجمة أو المستجدلة خيرا ..
وكان انصار بشار وأبي نواس وغيرهما ممن مال الى التجديد
في شعره .. يتنازرون لتجديد وفنونه .

هكذا احتدم الصراع في مضامير الحياة المختلفة ...
وهذه الألوان من الصراعات دفعت بالكثير من الشعراء الى
طرق التمرد .. فالشاعر يتدفق في هذه السبيل حين
يبأس من جد الحياة ويحال بينه وبين ما يصبو اليه من آمال
وأمان .. يتدفق متمردا على الجبناء بجموته واستهتاره
أو يزهده فيها واحتقاره لها .. ومتمردا على المجتمع
بمجانته له وسخره من قيده .. هذا الاتجاه السعري
يسميه الباحث : الاتجاه الخلاقي ، ويرى أنه اصنف
ألوان الشعر في التميز عن أحاسيس الشاعر ومشاعره
وهو مذهب شاعرنا .. وقد ميزه عن الاتجاهين الآخرين
في شعر هذا العصر :

وأحدهما : اتجاه التكسب : وهو ما اتصل بقصر
المدوح من خليفة أو أمير .
الثاني : اتجاه الشعر السياسي الديني المعارض
ومعتملة دجيل الخوازي ..
ويؤكد الدارس أنه لا يريد أن يجعل الشاعر عبد

الذاتي المنعرج أصبغ فنون الشعر في التعبير عن أحاسيس الشاعر ونظراته .. فالشاعر هنا صريح لأنه يقره المواجه والبداع .. فتراه يصف ما يعمل ويصيح عما يحس حتى يتراى مستهترا سخيفا في أعين الحرافيق المتزمتين .. والحق أنه التمرد والصدى والاسناد عن لحظة الحياة بالقوموس والفتاق ..

وقد تضمن هذا الفصل ثلاث مؤلفات بين شاعرا وثلاثة شعراء كلهم متمرد قلق في حياته وشعره ..

اولهم قديم : وهو طرفة بن العبد الشاعر الذي يلقي نسب ابن المثل ينسبه كما يلقي واماء في حياة التمرد والدعوة الى مبادرة الأيام وعدم الالتفات الى قيم المجتمع الذي سخر منه .. فقد كان كلا الشاعرين باصطلاح نعاذ الآداب الغريبين رومانسيين عني الخيال المبكر والغروج على القواعد المألوفة المرسومة وكان كلاهما جريئا عزيز النفس اطلق نسجته العنان في كل مراءه صائبا أو خيل اليه انه صائب ..

الثاني : هو أبو نواس وكان شاعرا قد أدركه وضعتها مجاليس البصرة الأدبية وهو أتلف صبي يشمو فنون الأدب .. واكثر القلق أن أبا نواس الشاعر المجان الشهير قد كان موضع إعجاب عبد الصمد العصبى .. وهو لم يصف إعجابه بشعر أبي نواس وإنما كان يظهر له لسانه كما ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ..

الثالث : هو محمد بن يسير الرضائي الشاعر الذي عاصره عبد الصمد بن المثل وكان معاصره الأدبي .. في البصرة .. لكنه كان أهدأ من أبي المثل نفسا .. منه في بدمه متعا ..

والرغم من هذه المؤامرات .. في أسلوب طريف في البحث في حياة ابن المثل وهو أسلوب طريف في البحث في الحوث الأكاديمية ..

اما الفصل الخامس فهو دراسة تحليلية لشعر أبي المثل .. ولا كان شعره يمثل حياته تمثيلا صادقا فقد كان هذا الفصل والفصل السابق متداخلين متكاملين .. فقد أوضح الباحث في هذا الفصل مظاهر التمرد وأجملها فيما يلي :

- (١) ظهور الذات .
- (ب) حب الطبيعة .
- (ج) الحب والجنون .
- (د) الهجاء والسخرية .
- (هـ) الفكاهة والخرق .

وبين نظراته في كل مظهر من هذه المظاهر ذكر التواضع التكافى من شعر الشاعر وبذلك اتضح لدينا بصورة الشاعر العايب التمرد .. وهذه الصورة يمكن أن تكون نموذجا لدراسة شعراء الاتجاه الذاتي .. ثم درس الصور البلاغية في شعر ابن المثل .. ورأى ان جعلها في ثلاثة مواضيع هي :

التشبيه والاستعارة والكناية .

وحاول الباحث أن يبرز آثار البيئية في كل ذلك .. لأننا نعلم من أفق شعره على بيئة البصرة الطبيعية .. ومن خلاله نشرف على المحيط الاجتماعي فنترأى لنا تقاليد

وقيه .. فراءه في تشبيهاته واستعاراته وتناياته بوسم صورة بيئته بطن مديح وباحساس صادق .. ثم درس الأوزان والقوالب في شعره الذي بين أيدينا وبين نسبتها فيه فوجد أنه استخدم الأوزان الصافية والمجزوءة لأنها سلاسة والتالية الواضحة في شعره وتتوافق والزفة في احساسه وشعره ..

لقد تكامل منهج الرسالة في الفصل الأخير على الأخص وهذا الفصل والفصل الرابع هما أفق الرسالة الذي حاول الباحث أن يتطلع منه الى دراسة الشعر الذاتي المنعرج الذي لا زال بحاجة الى الدراسات العميقة والنظريات الواجبة ..

وذكر الباحث ان ديوان الشاعر لم يثر له على أثير وقال : « فابن التديم ذكر في (الفرست ص ٢٤) ان شعره مئة وخمسون ورقة لكنني لم أجد له جامعا من المتضمنين ولا وجدت من ذكر له الزا أو مكانا .. » لذا عمل الباحث جهده في جمع شعره من المصادر والمطالعات المخطوطة والنقوية التي وصل اليها سمعاه فاستطاع أن يجمع له ست وخمسين وستمالة بيت .. بكل وسعي في تحقيقها تم الفهنا في هذه الرسالة لتقوم مقام ديوانه حتى نثر عليه ان شاء الله ..

خلاصة المناقشات :

تناول الدكتور حميد سعيد في مناقشة الرسالة رسالة الإمامة العلمية في استعمال الراجع وأحكام الكتاب «تحت إشراف البحث وتحليل الموضوع ..

فقد .. بحس اسمعنا الراجع في .. صغاب الرسالة حيث اقتبس أدب من كتاب المؤلف .. مع انه نقل الهوامش التي نقل عنه .. له وراجع بعض الكتب في علم ..

والحق أن هذا الذكر غيرا لعبد الصمد مع شيوخه ففهم منه ان عبد الصمد صفيح من فئاته بينما كان النص يدل على ان الشاعر نصب عليه لأنه لم يقن له .. وذكر الدكتور خير هجاء عبد الصمد لاني تمام الوارد في الأغاني فقد فهمه الطالب على انه رأى الاصلهاني في حين يدل النص على ان الاصلهاني يرفضه ويدافع عن أبي تمام وبراه من الإخار المختلفة ..

وقد نقد الدكتور أحكام الطالب في رسالته منها : حكمه على ابن الفضل انه لم يتكسب بالشعر ، وأورد له شعرا في مديح الولا ، وحكمه على انه يحفل المرء لأن الاكتفاء يمثل وحده لا يعتبر حجة عليه ، وحكمه على أن عبد الصمد شاعر البصرة ، فقد كان من الشعراء الثانويين وكان مثالا ، من هو اعلم منه كابي نواس الذي عاصره ، وحكمه في حادث موت ابن المثل وقوله ان القاضي الميمى قتله بسبب هجائه له فذكر الدكتور ان الهجاء كان شئت القاضي بأنه صائم وأورد الابيات فهل يجوز لقاضي وحصل صبح ان يتنصر على شاعر يصفه بالصيام ؟

وناقش الدكتور جميل بعض قضايا منهج البحث فانكر عليه تكرار مقطوعات شعرية داخل الاطروحة عشرات المرات ورأى ان نقد مؤلفات بين أبي المثل وطرفة فيها تكلف والافتعال لا بين الرجلين من بعد في الزمن والبيئة والمشارب

كما حكم على فصل تناول فيه الطالب الاستمارة والتشبيه والثنائية في شعر ابن المفضل لأنه فصل لا يفيد البحث في كتابه السير وتسايل ما الذي جعل الطالب يختار الاستمارة في شعره ولا يختار الوصل والعصل والابجياز والاطناب وحروف الجر وحروف النصب .. الخ .
وتسايل الدكتور كذلك من جدوى رسم شجرة لنسب ابن المفضل تربطه بمدنان ولفظان .. وعلق بعض العاصريين بأنها (شجرة ملعونة) .

وقد أجاب الطالب زهير :

أن المرجع الذي اغفل ذكره كان كتابا من تأليف الدكتور جميل نفسه ومخالفاته ، وهذا الأطفال غدير مقصود لأنه استلذه فرميا يكون عن طريق لا شعوري وضع في رسالته شيئا من محطوفاته التي تلقاها منه طيلة عام دراسي كامل .

وأما تحليل النصوص فقال أن الحكم على أن العاصي تأمر على الشاعر مجرد ظن . وأن القول بأنه حفظ القرآن عالة إلى نظام التربية والتعليم السائد وقتذاك فقد كانت أول مادة تعليمية تعهيف القرآن . وأما الفصل البلاغي فأريد منه ملاحظة التي البيئية في شعره من ناحية ومعرفته البيئية في شعره من ناحية أخرى . وهذا لا يسير بالمعنى والنوس وغيره من الأبواب المسموعة ..
وأما هو ميسور في الاستمارة والتشبيه والكتابة . وترى الموارنة من طرفه وأن المفضل ..
ولأنهما إنما هما بالمرء .

وتناول الدكتور محمود غازي في كتابه الرسالة التراثية التراث وعصرهما ..
من المراجع الجغرافية والتاريخية . لما كان مختصا من الحكامة النقدية ، ولفقته ومسالمة تحقيق النصوص الشعرية .

فقد لاحظ الدكتور أن وضع الطبع في باب دراسة الحالة السياسية ليس له ما يبرره وكان الواجب إدراجها في باب دراسة الحالة الاجتماعية ..

وقال أن التهج ليس ذا طابع واضح ، فلاحظوا بعض ولاهو تاريخي ولاهو لغوي ولاهو أي منتج مما عرفناه في كتاب (مناهج الدراسة الأدبية) الذي ألفه الدكتور شكر فيصل .. وذكر الدكتور أن الطالب بوسع في أمور جغرافية لاتخص البحث ولا يراها ضرورية كمسألة الماء ، فقد نعيناها الطالب إلى القرن الرابع الهجري مع أن الشاعر عاش في القرن الثاني الهجري وكان الحق بالبحث لو توسع الطالب في نواحي الجمال الطبيعي كثر مغفل والبائسين المحيطه وكيف تأثر بها الشاعر ابن المفضل .

ومن الناحية التاريخية ذكر الدكتور الزهري أن الطالب يقول بمصطلح نوثر وتأنيب للقتال بين الآزد وائل وسكر اعتمادا على مقال في مجلة (سومر) ولو أنه رجع إلى المصادر التاريخية المعروفة الوثوقة لادرك أن ما حسيه نوثر إنما كان قتالا استمر تسعة أشهر قتل فيه شيخ الآزد ونفر كثير . ومن الإحكام التي أوردتها الطالب في رسالته وتقدها

الدكتور الزهري أن نقلات القنص في البصرة بين العصر والبرد حول نفسية البصريين إلى نفسية ممردين فقتال الدكتور مستالا : يبدو أنك تجهل طبيعة البصريين فهم أهدأ قوم وأكثرهم مسالمة ، ولم يقوموا بثورة طيلة تاريخهم والثورات التي تسبب للبصرة كانت طارئة ومن قوم غير بصريين .. وأن نقلات القنص لا تدعو للتمرد على الطبيعة بقدر ماتدعو للتلازم معها والتكيف وأياها .

وأما حكم الطالب على عصر ابن المفضل بأنه عصر خلاعة وفردية امتنا على ما يصرف من قصص عن الظفان وبعض الشعراء فحكم خاطيء لا يصح تعميمه على تلك العصور المحافظة العربية العهد من الإسلام .

وتقسيم الطالب الاتجاهات الشعرية في العصر الثاني والثالث إلى اتجاهات تنسب بالشعر ، والاتجاه ديني سياسي ، واتجاه ذاتي ، ليس له ما يبرره .. لأن كل شعر يمكن أن يوصف بالذاتية .. وقد اعتدنا في تاريخنا أن نقسم الشعر في هذه القسمة .

ووصف ابن المفضل بأنه شاعر متعبد لا يصح .. بل الأصح أن يقال أنه شاعر ماجن . وليس بجائر وصف الماجنين بالمتعبد والثورية .

وبعد الدكتور مع الطالب في نواح ثوبية حول معنى الاندلس : عصر الصور والسماء .. واسند الطالب على تاجر ابن المفضل بالبيئة الصحفية باستعماله : الحقيقة والحق في شعره ، فقال الدكتور أن هذه الألفاظ مستعملة في الشعر .

وأختم الدكتور حكم الطالب في تطبيق بعض الإيحاء السحرية .. فقد حق الطالب بيتا من شعر ابن المفضل كما يلي :

فإن بسطت يدا لم تيسط خصرا وإن نفل
ففل في فيه تليج ..

فسال الدكتور عن معنى البيت في عجز فاجاب الطالب :
أن البيت عن البرد في البصرة .

يعني أن اليد لا تيسط أصابعها لشدة البرد ومن يقبل على فراته يجده متلجا فاتر الدكتور عبد السبع وقال لأفراس في البيت وأما الصورة عن اليد فغل في حالة انبساطها وفي حالة عدم الانبساط أو الانكماش .. والأصح تحقيق البيت على النحو التالي على أساس وجود مصحف .

فإن بسطت يدا لم تيسط خصرا وإن نفل ففل فيه تليج .

وقد أجاب الطالب زهير على بعض هذه النقائذ وما قاله :

أن منهجه جديد يتناول طولا من كل المناهج المعروفة ويصبح تسميته بالمنهج التكامل ، وأما عن الخلاعة والفردية في عصر ابن المفضل فلم اعتمد على حياة الظفان بل استشهدت بشيء من حياة سرة القوم وأواسطهم ، ومحافظة العصر

يكتبها حياة وسلوك أبراهيم بن المهدي وعليه يشت الهدي .
وأما عن تقسيم الشعر الى ماقسمه فهو اجتهاد
شخصي جديد ارجو ان يكون اجتهادا موفقا وان كان خافيا
فارجو تصويبه .

وأما التمرّد فاعني به تسبينا عن التورية والتمرد
السياسي ، وأما أعني به أسلوب حياة يجابه به الشاعر
مجتمعه وعصره .. وقد اتفق مع الدكتور في تعريفه بأنه
استفروج عن المألوف الى حد ما .

ولو اني لم أوسع في دراسة البيت لكأن أول اعتراض
يأتي على رسائي من هذه الناحية .. أما المثلث الذي
اعتمد عليه فكان يضم الدكتور صالح أحمد العلي وهو
مؤرخ لائق .

ونناول الدكتور على الزبيري مسائل جمع الديوان ،
وسبب التشاعر ، وعلاقته بعصره ومفاته ، ومسائل أخرى
عن أسلوب الكاتب .. والشواهد التي استشهد بها وانجول
الإحصائي العرفي الذي اليه المؤلف في نهاية بحثه ومساهلة
الإنشراح .

فرد الدكتور الزبيدي ادعاء الطالب بأن شعره لم
يجمع ، وقال لو تأمل بصوي الإغاني لأدركه ان البيرو محمد
ابن يزيد جمع شعره ، وصاحب الأغاني يروي عنه كما ان
اس النديم ، كما ذكر الطالب نفسه ، يقول أنه وجد ديوان
ابن المثلث ب ١٥٠ صفة أي ان ما فيها من الأبيات الشعرية
يساوي (١٥٠٠) بيت من الشعر وكل مجامع الطالب من
الشعر (١٥٦) بيتا فقط .

واستغرب الدكتور الزبيدي ان يعتمد الطالب على
سبب الشاعر الى عبد القيس سببا على معرفة رويته
باعتبار ان عبد القيس طوية وابن المثلث من قبيلة الحنظلي
فهو علوي وكل علوي منعد لروي .. ان هذا الاتجاه في
الدراسات العلمية في امين لم يولد الحشوات وتثير
الفتنات ، والواقع ان عبد القيس هي القبيلة الوحيدة
البحرية التي لم يعرف امتدادها وطبعتها كما يشهد ذلك
الدكتور صالح أحمد العلي .

ان عبد الصمد بن المثلث شاعر ماجن لاقيم له ، ولعلاقته
له بالتمرد والتورية على الاطلاق .. وهل تصد على هذا
القياس (الخلفاء) ثورين صمريين ؟

والقول بان عبد الصمد ذاتي الشعر اقول فيه مقاله
الاساتذة المتقنون واضيف ان أول من ذكر القائمية في
الشعر وأشار اليها الدكتور الجوّاري في كتابه عن الشعر
في بغداد ، لم توسع في هذا المصطلح محمد عطلي هذارة ،
ولم ينتبه الى التحفظات التي أوردتها الجوّاري في بحثه ..
وقد أخذ على هذارة هذا التوسع حين نوقشت رسالته .

وذكر الدكتور الزبيدي ان القائمي التبعي كان أحد
ثلاثة زهاد قابلوا الخليفة وعرض عليهم قضاء البصرة ،
فرفض اثنان أحدهما أحمد بن المثلث أخو الشاعر ، وقبيلها
التيمنى مكرها ، فهل يصح الظن بأنه تابع على ابن المصلح
وقلته ؟ .. والمتن الوحيد الذي يذكر أنه مات مقتولا
أوردته الكتبي في « فوات الوفيات » .. وأرجح أنه مات
(مقتلا) وقد صحت الكلمة فقلها الكتبي مات مقتولا .
وأشار الدكتور الزبيدي الى أن بعض صفحات الرسالة

كتبت بأسلوب انشائي غير علمي ، وأن بعض الشواهد
الشعرية أدخلها الطالب من عصر غير عصر ابن المصلح ،
كأبيات النوح حول البصرة ، فقد عاش في عصر متأخر
عن عصر ابن المثلث . وكان الأولى لو انتهي شواهد من
العصر نفسه .

ولاحظ الدكتور الزبيدي أن تدوين جدول إحصائي
للأوزان والنواف التي وردت في شعر ابن المثلث لا داعي
له لأن الشعر الذي أحصى لا يتجاوز ربع شعر الشاعر .
ومن الجائز اكتشاف الديوان بعد شهر أو شهرين ، فعند
ذلك بعد النظر في الإحصائية ، ولعل الإحصائية تصبح
قائمة للتغير كما اكتشف بيت أو قصيدة جديدة لأن
المثلث .

ولاحظ الدكتور الزبيدي ان الكاتب في تحقيق شعر
الشاعر لم يكن بمسألة الإنشراح التي كان لها عسداها
ولا حكم انشراح التسويب الى ابن المثلث ، ولم يستف
الشعر نصيفا أبجديا ، ولم يدرج فهرسا للأعلام .. كما
عرج عن قصة الراجع وإغفاله بعض الراجع التي استغفل
منها ، كما أنه من ناحية أخرى تجاهل مراجع كتاب الإيجاز
به ، لاطلاع نيبا وساعة في سوانسة بيتة البدر في ذلك
المهد .

ثم جاء دور الشرف على أعداد الرسالة الدكتور صلاه
خلوص ، فعند حديث بيان أنه يشغل شيئا من مسؤوليه
الكتاب الى وجه الرسالة وذكر أنه اعطى للطالب
حريته ، فالتجهر هو الذي أشار به على الطالب منهج النقد
الكوازنة والإسراع والتحليل ، ولكن الطالب لم يأخذ بها
في الآيات . فبعد كتب رد هذه الأمور مبتذلة داخل
« سب » لا ار بوا أدركه فضلا خاصا ، والارادة بين
طرفه وابن المثلث فضلا خاصا ، وأنا هدو للفتنات ومع
ذلك فذلك كتاب الطالب مفعمة طويلة لم أودعها أوقته في
الماخذ التي ذكرها الأستاذ الفضلاء وكنت امرته بحدس
الشجرة المقنونة فلم يعدلها . وتناول في مناقشته المسائل
الدروية ومسائل القافية وهو جانب لم يتطرق له الأستاذة

التقنونه .
ولي نهاية المناقشة قدر جهد الطالب ، وأثنى عليه ،
وقال ان جهده مشكور رغم الماخذ والتجريح .
وقد اتفق جميع المناقشين على ان الطالب اعطى لابن
المثلث صورة اكبر من الواقع وعرضه فورا لا يتسجم مع
حيثه شخصه والشعر الذي وصلنا عنه . وأولاه جهدا
لا يستغنى .

وقد دامت المناقشة اكثر من سبع ساعات تخللها بعض
النكات من الشعر الحر والطناسي وغيرها .. وكانت
شخصية المتعن شخصية قوية لم تتخلل امام العربات
التي وجهت للرسالة .. وهو شاعر من شعراء الشباب في
العراق وله ديوان مطبوع وقد كشف الدكتور خلوصي سرا
هو ان الدكتور طه الحاجري كان معتمدا خارجيا ، وقد
قدر جهد الطالب وشكر له حسن بحثه ودراسته والعرف
أنه في بعض الجامعات يكون راي الأستاذ الخارجي هو
المفضل ، أما في جامعة بغداد فرأي الأستاذة المناقشين
هو المفضل .

دائها انارة الاعتراف في وثيقة هذه العادة بحيث تصبح احكامه غائبة - وحيتها يصل الفرد الى درجة الانهيار سيح الاستجواب فان غله لا بد من ان يحدث له احسد أمرين : اما ان يظهر استمدا في زياده القابلية للابحاث التي قد يسمعها السجوب فورا في عملية القاء الفرد بأمراته . واما ان تحدث حالة متخاضة تماما . فيصبح ذهن الانسان في حالة من الارتباك والهلوس ، وفي هذه الحالة ينشئ الانسان تماما كل معتقداته وانماه السلوكية السابقة بشكل يحمله يحيى الرغبة في الادلاء باعتراقات تناقض مع طبيعه واحكامه العادة .

ويسمى الكتاب بعد ذلك في دراسة العوام الفسولوجية والسلوكية الى سر عليها نظرات رسائل كسف الكتاب ، وتوفسح الاستجابات وردود الفعل الى تحدث نتيجة استخدام هذه الوسائل في عمليات الاستجواب . والحصول على الاعتراف .

الصراع الايديولوجي

يستعرض المؤلف بعض مظاهر الصراع الايديولوجي من الناحية التاريخية . مثال ذلك الموقف الذي وقده اليهود عندما ذهب اهل قريش يسألونهم عن الاسلام . وهل في كتبهم ما يشير الى الدعوة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ؟

ومع ان اليهود - اهل كتاب - ومن اهل الوحيد ، فقد اكنوا لتفريش ان عبادتهم خير من هذا الذي جاء به الرسول الكريم ، فكان يهمل ان يامرؤا عباد الاوثان على الدعوة الى وحدانية الله .

وفي الحرب الاهلية الاسبانية مثل رافع لثائر الايديولوجيات المخلفة على عقائد الشعب - بدرجة اوصلتهم في النهاية الى فهد الثقة في بعضهم البعض حتى اصبح من الضروري قيام حرب اهلية استمرت سنوات عديدة قبل ان يشمر احد الجانبين بالامن والسلمة ، واذا ما انتقلنا الى تاريخ أوروبا المعاصر نجده في النازية مثلا قيما

الامور في ضوء جديد ، وبعد تفريخ اطاع شيف بدرجة معينة فان المريض يتحول تماما عن اراده في الدين او السياسة او في وجهات نظره تجاه العائلة او الاصدقاء . وقد تتحول وجهات النظر هذه بسرعة ، كما انه يمكن زيادة القابلية للايهاء ولو مؤقتا عن طريق التفريخ الاعطالي المتكرر ، فقد يصبح المريض اكثر قابلية للتاكيدات العادية من الطبيب النفسي المعالج ، وهذه التاكيدات قد يستعمل ان يغلبها من محتاميه ، او من الواضع او طبيب العائلة وهو في حالة عقلية اكثر هدوءا .

وسائل الاستجواب

وبعرض لنا المؤلف في هذا الباب اساليب استنطاق الاعترافات ، مشرا الى عملية تحصيل الخ وكيف انها فديعه غير مستعدة .

في هذا العصر الذي يعد بحق في تلك الفترة الممتدة الى س بالديمقراط ونعبر صلاحه اسحق وع كرم . يا و س و د الى لاهاء . بعد استنطاق س . و اوان حاشه ربح اساق النفسية التي استغفمت في الامتجواب مثال ذلك : اعترافات يميوي ايطانز . بعته لزوجته وخلفه ، حيث كانت اعترافات ايطانية ، اذ اكتشف القاتل العصبي بعد ان اعم ايطانز . وكان البوليس قد استطاع ان يميز منحه اعترافات غير صحيحة .

وبعد ان يستعرض المؤلف وسائل الصينيين لمقصود على الاعترافات يقول : اما بعد ان رسا الاسجوب واستنطاق الاعترافات لا يخلف بعضها عن بعض من ناحية الجوهر في كل المجتمعات المختلفة ، وان كان انشيويون قد اسطغوها كوسيلة من وسائل التعذيب الايديولوجي . ويتطلب استنطاق الاعترافات ذاتها من المستجوب ان يحاول خلو مشاعر من القلق والاثم عند الفرد ، ووضعه دائما في حالات من الصراع النفسي ، وحتى لو كان لهم مدنيا يثق فان المستجوب يحاول

وابداها بالهاك جديدة . قلب سعي وراء موضوع ما ، والكراهية ، والعصب والقلق ، والياس والاجهاد الناتج عن الصراع العقل او الاجهاد البدني - كل هذه الحالات تعد العقل - في ظروف بيئية مناسبة للتحول الديني .

والتحول الديني - من وجهة نظر العالم النفسي - قد ينشأ صورة هي مراء الفراغ الذي تخلق عن التلمز او عدم الرضا عن الشخصية القائمة ، وفي تلك الحالة يقدم التحول الجزء الناقص من التلمز ، او قد ينشأ التحول صورة اخرى هي استبدال جزء من السلوك بأخر ربما قل في ثبات بدة سنوات سابقة ، ومن الواضح ، ان التحول يشتر معتقدات الفرد واعماله ، ولكن ما كان هذا يحدث لو ان المفكرات الجديدة لم تكن في حالة اتفاق تام مع شخصية الفرد الاساسية .

بين العلاج النفسي وعقب الامراض العقلية

وتوفسح بعض اساليب العلاج النفسي ، ان اساليب التحول الديني والسياسي لها ما يقابلها في مجالات الطب النفسي ، اذ يمكن ان تكون التحولات الفسيولوجية في وظائف الخ باستخدام مشرات سيكولوجية متكررة دون الانتباه الى الطابع ، او حداد انهاا خاص للفرد ، او اي مسنط صناعي يعين المريض على عملية التفريخ الانفعالي ، على الرغم من ان هذه الوسائل تساعد في الاسراع على احداث التفريخ الانفعال المطلوب . وبين المؤلف في هذا الباب بعض الاساليب التي تستخدم في علاج مرضي الطب النفسي ، والملاحة بينها وبين تلك التي تستخدم في عمليات التحول الاخرى . ومن هذه الاساليب التتويج المقائلي والتعليل النفسي ، واستخدام التقاير لا لها من تشابه كبير باساليب التحول الديني والسياسي من ناحية الآثار الفسيولوجية التي تحدثها في وظائف الخ .

ويتمتع التعليل النفسي اساسا على مشرات سيكولوجية متكررة ، وكلما كانت شخصية المريض اكثر ميلا الى المزاج الطبيعي ازدادت فقتها عند رؤية

وهذا لا ينطبق على الحزب والقنوات المسلحة فحسب ، بل ينطبق على : السزادج ، والمصانع ، والجامعات والكليات والمدارس . فلا يخلو الآن أن يكون للسرا مطلقا وعفاسانديا وخيرا . ولكن من واجب المر أن يكون عفاسانديا أكثر منه خيرا .

وفد التيبت الأعضاء على تلك المنطقة باللات عندما شنت الحملة التي هدفت إلى أن تؤكد : أولوية السياسة ، ورعاية الحزب في القوات المسلحة . وعن السياسة والظهور . اجبريت مناقشة في السلاح الجوي ليس التحرير وانتهت المناقشة إلى سيجة مانه هي : أن ما يحدد الآن في الحملة العاليه ليس العمل مهما كان متسما بالخبره الفائقة ، ولكن ما يحدد هو روح التمسك لأن هذه الروح تدفع الشخص إلى تجاوز عمله العادي وبذل الطبيعة الفردية والاجتماعية . وهذا توضح المفهوم ماوتسي عن : الشخصية الروحية ، للصين - أي طاقه السلاطين الملهمه ايدولوجيا والنظمه سياسيا ، تلك الطغافه التي تواجب التحديت التي تطالب الأمة . والتي تحقق انتاجات علمي في وجه المصائب والاضطراب . ويعد دراسة استراتيجيه لمراكز القوى داخل الصين ، ومن سيدهم ومن سيقم من الزعماء المروطين . . يصل المؤلف إلى القول : « والملاحظة التي يستطيع للمر أن يبدئها فوراً هي أن الهدف كله من الثورة الثقافية هو المحافظة على الثورة ، ولذلك فإنه لا يمكن أن تكون التطورات أو التغييرات تمهيدا لتخليف سياسة الشدء إلى سيمها الصين ، فارأوييه الصينيه - أيضا - عامل لمساند استمرار سياسة الشدء .

ولقد أصبح تفكير ماوتسي تونج بمثابة حماية تحافظ على تماسك الدولة الصينيه الهائلة وعلى عظمة الصين ومجده كعظم ، وكقوة عالىة .

ويستنتج المؤلف أن السياسة الصينيه بعد الثورة الثقافية مستقل متمسكة بالشدء مع الولايات المتحدة .

أما الاتحاد السوفيتي فإنه من الواضح ألا تحسن علاقاته مع الصين .

ويستعرض الكاتب بعد ذلك أسطورة العصر ، وزيفها ، وجنودها التاريخيه والأساطير الخاصة بالتفوق العنصري . وآثار الاستعمار على الشعوب الملثوة . والقيم الروحية عند الشعوب الملثوة . أو ما يسمى اليوم بالكلوب النامية .

ويستعرض بعد ذلك السحر وسقوطه على الطفل . والطابع الإجماعي للسحر . والسحر من الناحية التاريخية ، في عصر القديمة ، والبيئة السحرية في المسيحية . وطروسة الكابلا اليهودية الثامن والأخير من الكتاب . . الذي يشرح فيه المؤلف كثيرا من الألوان الزائلة من المعتقدات التي ما زالت سيطر على عقول البسطاء من أبناء شعبنا . مثل الولاية والاعتقاد في الأوليساء الشومين . وفرب الزار ، وأزليبات الزار بفصيل المذبح . والآثار السحرية لظهور نار ، كيف ، نور ، غير وسيلة من وسائل التفرغ الانعالي . وسنكر الوقت استبداد العنصر واستأصاها لأنها تضرر الشعوب ، وجد من عقولها على الحركة الطليقة .

أن جعل مع الشخص العادي ينهار تحت وطأة التوترات التي تلحق حد التحصيل ، وهو الأفكار القديمة ، والاتعاط السلوكية ، وذرع أفكار جديدة في مع الإنسان يعتبر أمرا واحدا ، ولكن الأمر المختلف عليه هو جعل هذه الآراء الجديدة تبلط لها جلورا ثابتة واسعة .

ويحتم المؤلف بحته القيم بقوله : نود أن تؤكد أن الهدف الأساسي من هذا الكتاب ليس نقد أي نظام أخلاقي أو سياسي . بل هدفه هو أن يبين كيف أن المعتقدات سواء كانت خيرا أم شرا ، حقيقة أم مفترفة ، فإنه يمكن بلورها في العقل الانساني ، كما أنه من الممكن تحويل الناس إلى اعتنات معتقدات تسيطر عليهم وتتغلب تماما

مع ما كانوا يعتقدونه فيما مضى ولو إلى حين .

وبانتها . هذا العرض السريع لكتاب الحرب النفسية بجزيته . تكون قد وصلنا إلى تسالول عام وحيوي . لا مئاص من طرحه هنا .

وهو إلى أي مدى استطاع هذا السفر النفسي بجزيته أن يؤثر في عقولنا ، وفلاسفنا .

صحيح أن الحكم على مثل هذه الامور سوف يكون متروكا ، لأولئك الذين سيؤرخون للفكر العربي المعاصر . ولكننا هنا نغير عما استطعنا أن نعرفه ونعني . فلهذا انتهى الجزء الأول ، على أمل في إذهابنا . أودناه أن يتطعم في الجزء الثاني ، لاستفادنا ، - وهو اعتقاد مشروعا إذا ما أخذنا في اعتبارنا التسلسل الفكري والتمهي للصول البحث . وبطاعة السياب الأخر من الجزء الأول - أقول - لأعضادنا أن الجزء الثاني سوف يضع النقاط على الحروف ، أمام العارفين وفصحائنا بعصمات التضاربية التي انشرت في بيوتنا المصري ، لنفسايها هي في الأسس لقضايا ، معتقدات ، ميثاقه بقضايا للصين ، مع شركاء المصنع الواحد .

ولقد جاء الجزء الثاني دراسة أكاديمية قيمة للتحولات الدينية والمذهبية ، وخاصة في الوسائل والأساليب ، وهو يعتبر تسكلا وموسوعا ، عملا رائعا وفليدا ، وأثر من قيم ، ولكن من حقا على المؤلف أن نطالبه بجزء ، ثالث لكتاب الحرب النفسية ، يلي لنا فيه احتياجاننا المذهبية والنفسية أيضا . في وقت نحن بحاجة فيه للمعرفة الكثير . ولقد قوبل الكتاب بجزيته ، بترحيب واسع في أوساط المثقفين العرب ، وبين الجماهير العريضة ، التي توجه الحروب النفسية إلى عقولها وحياتها ووجودها القومي وسبيل كتاب الحرب النفسية بجزيته نقطة مقببة على طريق فكرنا العربي المعاصر .

إسرائيليا

تأليف: أحمد بهاء الدين

عرضت: مصطفى فودة مصطفى

به أو يشترن ، أو يجعلونه أداة توجيه غير مباشر عند الضرورة . وما ساعدتهم أيضا أن بعض الدول الكبرى لها مصلحة في أن يظل العرب مشغولين عن استغلالهم لتروات بلادهم بمسوا مباشر يهدمهم في وجودهم .

ويرى « بن جوريون » أيضا أن الصهيوني هو من يربط في العودة إلى جبل صهيون ، أما اليهود الذين يعتبرون أنفسهم جزءا من الشعب الأمريكي أو الإنجليزي أو الفرنسي .. الخ .. فليسوا بصهيونيين ، حتى ولو قدموا كل المساعدات الممكنة لإسرائيل . فما يربط بين اليهود . ليس هو الدين اليهودي ، ولا العنصر الواحد ولا اللغة الواحدة ، فهذه كلها صفات قابلة لأن تجمع اليهود من جديد بعد رؤيا العودة أولا ، لأن كل الشعوب شاب ملحقة بالأرض الخاصة بها . أما اليهود فلهذا عشتا عشرات القرون مطرودين مما يعتبرونه أرضهم . مشكلة إسرائيل هي الأمن . وأمن إسرائيل لا يحفظه أي جيش مهما بلغ سلطته ، وإنما يحفظه أن يعود لإسرائيل صهيونيين من اليهود كل عام على الأقل إلى أن تتم عودة جميع العالم .

اليهود أو يشترن . من أجل إسرائيل ، لأن هذا لا يكتفى لعدم التنب وجيل الجيليل ، ويكون ذلك فلا أمن لإسرائيل .

ولكن هناك كثيرا من المكسرين اليهود لا يقبلون القول بأن إسرائيل هي المكان الطبيعي لكل اليهود ، بل كانوا يمارضون قيام إسرائيل . ولكن هذه الاسسوات ضاعت أو خففت تحت تأثير انتصار فكرة قيام الدولة عام ١٩٤٨ . ومن هؤلاء ، المؤرخ اليهودي الإنجليزي « سيسل روث » فقيام إسرائيل في نظره يتم رسالة هتلر في القضاء على اليهودي الأوروبي وامكانياته الواسعة . ومنهم أيضا « سالوبارون » أستاذ التاريخ اليهودي في جامعة كولومبيا بالبروكا ، الذي يرى أن نزعة معاداة السامية تختفي وتلاشي بالكل ، وأن الشباب اليهودي في شتى دول العالم ضاع ذروعا بهذا الكلام ، لأنهم يرونه متناقضا مع الحياة التي يتمتعون بها في كل المجالات . ومنهم كذلك « أوسكار هاندوليت » وهو أستاذ يهودي للتاريخ الأمريكي في جامعة هارفارد ، وهو يقول : أنا واحد من اليهود الذين تأيروا في المجتمع الأمريكي ولم أكن صهيونيا قط . وكنت أعارض قيام دولة إسرائيل لكرا . وإن كنت الآن أتمنى لها النجاح .

ومثل هؤلاء وغيرهم يرون أن حل مشكلة اليهود

كتاب فيم أعيد طبعه أخرا ، وجاء ذلك أبان الحركة ونحن أحوج ما تكون إلى مثله .

هو كتاب « إسرائيليات » ثلاثا « واحد بهاء الدين « الذي يزيدنا ترفيفا بمفوننا الرابض على حدودنا التليط للسيطرة علينا والتمسك بالذنا بعد أن اغتصب جزءا عزيزا منها هو فلسطين .

وهو لا يربنا لربنا يمدونا فلف ، وإنما يمن وراه يشد أزره وبغيره كلها القفص مصلحته ذلك . كما يضع الكتاب أيدينا أيضا على ناط صفت كثيرة فينا . جعلت القلبية حتى الآن لهذا الصو ومن مه .

فمن هو هذا الصو ؟

.. ليس هو اليهودي يصومه . .. أنها هو الصهيوني

مهم ..

فليس بين العرب والمسلمين بمسألة وبين اليهود كراهية قديمة كذلك التي بين اليهود والمسيحيين .

ويصرف النظر عن الأسباب التاريخية أو الاجتماعية . فمن المؤكد أن اليهود على مر الزمن أصبحوا مجتمعا متمعا على نفسه بصف موقف من « واحدة » مع سواد بالتقوى ازاء سائر اجناس الأرض وسببها « واحدة »

الخصمية تبلورت في شكل عنصري سافر يظهر الحركة الصهيونية التي تؤمن بأن هناك صفات خاصة تجمع بين اليهود كعنصر واحد من دم واحد وعرق واحد وأصل واحد ، وإن الرابطة بين اليهود اسمي من رابطة موطن الاقامة ، أو أية رابطة أخرى . ومعنى هذا أن اليهودي في أية دولة يجب أن يشعر بأن ولاده الاول لدولة إسرائيل . وليس للدولة التي يعيش فيها « الفصل الثامن » .

وهذا ما يقول به بن جوريون في محاضرات له . وهذا كان يحاول إخفاء مسألة الخصمية :

« أن اليهود شعب يعيش في العالم بفرقه ، وأنه ليس له حليف إلا نفسه » ، ويعلق المؤلف على هذا بالقوله : أن هذا صحيح . لأن القوة التي جاهدت وضعت وسامت وتطالقت في اليهودية العالية ، التي كانت الحركة الصهيونية بالذات هي الإداة المثالية للنفقة فيها . ولست مع المؤلف في هذا فأي شعب في العالم حليف نفسه ، بمعنى أنه يسمى لمصلحة نفسه بتفريق ما يملك من قوة ذاتية يؤثر بها على الآخرين ، وعن طريق هذه القوة الذاتية يستطيع أن يواجه الآخرين لمصلحته . فاليهود شأنهم « هنا » شأن أي شعب من الشعوب ، وإن كان الذي يميزهم عن العرب في هذه النقطة ، هو تغلقهم في شعوب العالم ، وسيطرتهم على المال يصفون

يُكوّن بلّورياتهم في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها . ومع ذلك فهناك آخرون يرون ما وراء بن جودرون . رسم المؤرخ الصهيوني « رفايل ماهر » القائل بأن المجتمع اليهودي أخذ في التكوين منذ أكثر من مائة سنة . فاليهود ينتشرون بين مختلف وظائف اتحاد الإمبراطورية والاقتصادية . وبالتالي يدرسون ، فضغلي لكتهم وتقاليدهم . . . ويعبرون أسماءهم لكي لا تتم عن يهوديتهم . ولا يرفيه هذا ، فحي أن العمل الوحيد لابن اليهودية . ومع نموها من شعب واحد حيثما كان ، إلى مجسد ديانة يدين بها ناس مختلفون ينتمون إلى شعوب مختلفة هو جمعهم في إسرائيل (الفصل الثاني) . ولكن لماذا كل هذا ؟ وما الذي أدى باليهود إلى أن يصبحوا مصطفيين وسط الشعوب التي يعيشون فيها . دون خلق الله من الأقليات الدينية الأخرى التي يعيش وسط أغلبية تقاتلها في الدين ؟ أم مسألة الدين ؟ أم أن هناك غيرها ؟

اليهود أنفسهم يدّعون في هذا الاستطهاد الذي حاق بهم لاستطهاد أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أفضل من غيرهم من البشر ، وذلك هي الصعيرة بينها . ومن الطبيعي أن تطهروا حركة عنصرية لا بد أن يؤدى إلى استبدالها بفكرات عنصرية أخرى . فإذا كان هناك شعب يزعم أنه أولى الشعوب وأغلاها ، فمن الطبيعي أن يصطدم مع أي شعب آخر يقول أنه أولى الشعوب وأغلاها . ومن هناك استطهاد الصهيونية بالحركة التناسلية مثلا . يقول « أولئك لوطنيين ، نحن أبناء الله » يزعمون أنهم شعب مختار هو اليهود . لذلك عنصرية . والتأذية ، سواء في إعدام هملر لطفلة القنصلية الصليبية ، أو الحركة الصهيونية . قد جمعت بين جميعها أسوأ ما في الحضارة الغربية : القومية العنصرية والاستعمار . لأن استيلاء الصهيونية على يثوت وأراضي وأعمالا تسمالة الب عري في فلسطين ، هي الآن لايجون . . . ليس أدركي من الناحية الأخلاقية من أشجع الجرائم التي ارتكبت خلال القرون الخمسة الأخيرة بواسطة الزعماء والمستعمرين . وهذا حكمي الأخير على تاريخ الصهيونية في فلسطين . أن اليهود من بين كل شعوب العالم ، لهم أطول تاريخ في التعرض للاستطهاد ، وإقام اليهود بتحويل طرف ثالث مسؤولية الاستطهاد الذي لاقوه على يد الغرب يشكك المر في الطبيعة الإنسانية كلها) الفصل الثامن .

أما سارتر فله رأي آخر في كتابه الذي وضعه دفاعا عن اليهود وامسدة تناقضاته في الإنسان ، تلك النظرية التي تنبئ على أن الإنسان ابن موقفه ، بمعنى أنه لا تتحدد صفاته ونزعاته وأخلاقه بمجرد مولده ، بل بالمواقف التي يوجد فيه .

والنتيجة التي يربتها . سارتر . هي هذا ، هي التي تجمع بين اليهود ، وكذلك ليست وحيدة التراث أو التاريخ ، لأن تاريخ وطن إسرائيل القديم قد اندثر منذ ألفي عام . ولا هي أيضا وحدة الدين ، فاتباع أديان كثيرة يعيشون متفرقين في أنحاء الأرض دون أن تكون

بينهم هذه الرابطة التي نراها بين يهود العالم وينقل سارتر من هذا ، إلى أن الرابطة العنصرية التي تربط بين يهود العالم هي موقفهم . . . موقف كل الجماعات منهم (الفصل الخامس) .

ولا شك أن فكره سارتر هذه تحسب لليهود وعليهم في من هنا . فكما أنه لا الأصل الواحد ولا الدين الواحد ولا التاريخ الواحد يجمع بين اليهود . فبالتالي لا يكون لهم حق في الوطن الذي اختصوه في فلسطين .

ولد بالغ « سارتر » في العالم مسؤولية هذا التنبؤ على المجتمعات التي ينشأ فيها اليهود في حين لم يفكر لحظة واحدة في أن يكون اليهود أنفسهم مسؤولين عن هذا التنبؤ . ونحن هنا نصنع أمام مفكر يهودي آخر هو « رفايل ماهر » المؤرخ الصهيوني الذي قام بدراسة عميقة عن وضع اليهود الاقتصادي في البلاد المحتلة . وفي ظل النظام الاجتماعي المستبد من راساليه إلى سويسرية . فلقد لاحظ « ماهر » أن اليهود ليس بينهم للاحون قط . وأن هذا كان سببهم في كل الهلاك الذي عاينوا فيها . باستثناء يولنا . وبعض أعضا معزولة في روسيا القيصرية . بل أن وجودهم في الصناعة يدل في العادة بشئنا بزيادة تركيزهم دائما وبسرعة في أعمالهم .

والطبيعي وأنهم الخبز كالمطبخ والصناعات والعمارة والتجارة . من أن بعضهم في أماكن اقتصادية محددة في مراكز المال والتجارة . بعد مصدرا خفرا من مصادر التزعم العنصرية لتسامية ، وسببا من جمع . . . يهود وغيرهم من أبا البلاد . . . لا بد من بين اليهود أي عامل صناعي مثلا ؟ لأن في إرقام في هذه الأعمال المجهدة ؟ ويردف ماهر : أنه لا يوجد عامل مناجم يهودي واحد في أمريكا أو روسيا . فما رأي سارتر بعد هذا ؟ اليس لليهود دخل في عزلتهم وتبذهم ؟

وينتقل سارتر إلى تحليل حب اليهود للمال . فحي أن الذي يجلب اليهودي للفلسف ليس هو حب الذهب والنفس في حد ذاته ، ولكن لوها التثراية . فاليهودي لا يؤمن بأن أي شيء له قيمة ، ولكنه يؤمن بأن أي شيء له لمن . أن القيمة لها معايير كثيرة غير الفلسف ، ترجع إلى التراث أو الانتاج . إلى أصل معين أو حضارة معينة أو أخرى . فاليهودي يجد نفسه محروما من فكرة القيمة هذه ، فيحل محلها فكرة الثمن . وعلى هذا النحو مضى سارتر في سرد كتبه من الصفات التي أصبحت لأصفاة بتخصبة اليهود في الزمن العام . فاليهودية العنصرية ، تمنى الاستيلاء والانتصاب . واليهودي في فرنسا أنه يصل إلى أعلى الدراجات ، ولكنه يظل اليهودي . . . وهكذا .

ثم يعرف سارتر عذو السامية بأنه ذلك الذي يتعين بعدا ، خاص لليهود . وهو ليس في العادة من الأديان أو المتكلمين بأية صورة من الصور . ولكنه من العاديين أو الأقل من ذلك . وأغلب العنصرية ضد السامية

التي تمارس داخل ألمانيا النازية (الفصلان الثامن والتاسع)

والآن ما الذي اتبعه اليهود في القارة اسرايل ؟
لقد أحسوا استغلال ما جيلوا عليه : القتل من خلال الآخرين وبهم .

يعتقد الاستاذ بهاء الدين في هذا الموضوع على كتاب « الن تيلور » « مدخل الى اسرايل - الطوبى في الولايات المتحدة ويتركز على الفصل الدبلوماسي الصهيوني الذي مارس شغوفه على الحليقة العثمانى ثم القيصر الاكمانى ثم رئاسة الوزارة الانجليزية وفي النهاية البيت الابيض ومجلس الشيوخ الأمريكى »

ويتساءل المؤلف عن السبب الذى وراء تلك الموجة من تأييد الصهيونية . ويرد يقول تويشى : « ان الصدر لهذه الموجة هو شعور بالذنب لدى بعض غير اليهود ، الذين هم في قراءة تلويسهم مدانون لسماعهم رغم عدم رضاهم العقل عن هذا الشعور » فهم يكفرون عنه بتأييد اليهود علنا . والصدر الثانى هو ان هذا نموذج من قدرة الانجليو سكسون على مزج اهدافهم السياسية والمصلحية بشعارات تبغوا انسانية » . ويأخذ الكاتب بيد هذا في استعراض الجهود التي بذلت في سبيل انشاء اسرايل من بدنها حتى قامت بالفعل عام ١٩٤٨ ، وهي جهود بائت مرفو لنا جميعا . وان ذلك على شئ لاننا نعلم على انه لولا انجلترا وامريكا ما قامت اسرايل وما استمرت ، وكل الدلائل التي تلت قيامها بما فيها عنوان

١٩٤٨ : « نزع هذا »
ويذكر بن جوريون توضيح بعض النقاط التي لم يتطرق اليها مدخل الى اسرايل ومنها : ان اليهود كونوا بعض الفصائل التي انضمت الى جانب انجلترا في الحرب العالمية الاولى . وان « وايزمان » بعد ان حصل على وعد بلفور حصل على الاتفاق مع فيصل بن الحسين يتعرف فيه بوعد بلفور . وقد عزز فيصل موقفه بطلب اكد فيه هذا المعنى وارسله الى القاضى الصهيونى الأمريكى « فيلكنس فرانكفورت » وفي هذه الذكرة يكشف بن جوريون منذ البداية عن نواياه تجاه قرار التقسيم الذي يتفاخر باعتباره لاله يرى ان هذه الخطوة التي اعترفت بها السلطة الدولية لليهود لا تكفى لانها مجردة تربط بينهما مرات تقع تحت رحمة الاطراف التي تركها القرار لغيره .

وبعاول بن جوريون ان يصور الامر على ان انجلترا والعرب كانوا يظنون في جهة ، وان الحركة العمركة الصهيونية وحدها كانت تنقلب في جهة . وخليفة عيسى ذلك تماما .

كما بعاول بن جوريون ان يزيغ ويفسح القوى الاستعمارية في المنطقة ، فهو بعاول ان يظهر القوى الكبرى وفي مقدمتها امريكا وكأنها قامت بدور ثانوى بينما قام هو والمستعملة الق يهودى معه في فلسطين بالبحر ، كله . وتلك مقالة تدل عليها حوادث الماضي والحاضر .

ويستبد بن جوريون الى اقصى حد من لغة الهجرة العربية في فلسطين وتلك ظاهرة يصورها - ولنعترف - تخلف الامة العربية حضاريا . وبصرها القيادة الخائفة

نشأت وترعرعت بين أبناء الطبقة الصغرى التي لا يملك اراضيها شيئا ، فيمجرد تصعبهم يشعرون فجأة بانهم اصبحوا يملكون شيئا . واليهودى انما هذا الوقت يقترن احد امرين ، اما ان يتصل من يهوديته ويتستر عليها فهو في حالة حرب دائم من نفسه ومن وعظه ، واما ان يبيل اتهام العالم كله ، فيعامل العالم كله على هذا الاساس .

ويرى ان الامة دولة يهودية قد يحل مشكلة اليهود الذين يسكنون تلك الدولة . ولكنه لا يحل مشكلة اليهود الذين يفلئون البقاء في اوطانهم . لان قيام هذه الدولة دليل آخر على ما يقول به خصومهم من انهم لا يحبون الانتماء الى الاوطان التي يعيشون فيها .

واللاحد ان سادتر صاغ كتابه بلهجة العامى ، الذى يبرر كل شئ ، وينفى كل مسئولية ، فلقد بالغ في نفي اية مسئولية عن اليهود الى درجة كاد معها ان يكون عنصريا بمعنى آخر . فكما ان كراهية عنصر معين ، اتجاه عنصري . كذلك نسبة فضيلة الصواب المطلق الى عنصر معين لزعة عنصرية .

ان سادتر حين يؤكد ان اليهود بعاولون دائما الاندماج والذوبان في كل مجتمع يعيشون فيه . ولكن المجتمعات العالية هي التي ترفض ذلك . يتجاهل محاولات كثيرة جرت لامتصاصهم ولكنهم رفضوها . (الفصل الخامس)

ولقد استغل اليهود مسألة الاستعداد العنصرى هذه لصالحهم احسن استغلال . فبعد ان اصبحت تلك القضية يفسغون بها في شرب المائيا ويهزجون احواله . ومسألة التعضيات الاثنية لاسرايل مرفولة لنا جميعا . ولكن كل هناك عقدة اخرى يملكون بها الفاتكان حتى بعاول ان يبرهن هذه الايام من دم المسيح وقد شهدوا على انفسهم بان دمه عليهم وعلى آبنائهم من بعدهم ؟

ازيح الستار لأول مرة عن جزء خاص بالعلقة بين المائيا النازية والبابا الاسبق بيوس الثانى عشر . وكان هذا البابا قد قفى سبعة عشر عاما يعمل في الكنيسة ومقر عمله المائيا قبل ان ينتخب كبابوية . وشهد هناك الفترة التي كادت الشيعية تستولى فيها على الحكم في المائيا . ثم لم يقهره الا لجوء الراسمالية الى دكتاتورية هتلر ، ومنذ ذلك الوقت تكون لديه التنازع بالكنيسة الشيعية بوصفها دعوة العادية هي الضم الاقلم للكنيسة ، وان النازية هي الاسلوب الوحيه الذى نجح في وقف الشيعية . وبالتالي فعل الكنيسة ان تلج من النازية موقفا مؤيدا ، وتبدى هذا في تصرفات البابا خلال الحرب العالمية الثانية . ومنها :

ان اطول خطاب ارسله لرئيس دولة بمناسبة انتخابه بابا جديدا هو خطابه الى هتلر . واقترحه على رئيس وزراء بولندا اعطاء الاقليات الاثنية مزايا جديدة . واعتراه يوما للقاء بماعال سفارة المائيا في الفاتيكان بان تقوم من النظم الدكتاتورية غير صحيح بديل علاقته الطيبة مع النظام الفاشستى .

وهذا كله وغيره ، غير خاف على اسرايل وتستطيع منه ان تمارس داخل الفاتيكان ضغطا من نوع اللصق

في السنة . مما يجعل العملية غير التصادية بالرة .
والطريق امام اسرائيل مسدود تماما ، الا اذا وجدت
طريقة رخيصة لتحويل مياه البحر الى مياه عذبة (الفصل
الثالث) .

اما كيف ينظر اليثا الاسرايليون ، فذلك ما يتعرض
له ابا اييلان وزير خارجيتهم ويوضح فيه نقطة الارتكاز
التي يقف عليها التفكير الاسرائيلي والدعوة الاسرائيلية
فيما يتعلق بالعرب .

يقول « ابا اييلان » في كتابه « موجة القومية » ان
اشتر الحركات القومية سطوة كان ولا شك تحدد الامنة
العربية وتضعها . وانه لم يحدث في تاريخ العرب ان
كانت لديهم الارص الهائلة ، سياسيا واقتصاديا التي
تتوافر امامهم الآن . ويأخذ بعد هذا في بث سمومه ،
عندما يصل الى « ان القومية العربية برغم كل نتائجها
البهرة لا تواجه العالم بوجه سديد بالنصر ، بل تواجهه
بمرارة عنيفة . واول اسباب هذه المرارة - كما يراها -
توتر علاقات العرب ببعضهم البعض . ويرجع ذلك الى
وجود تباين اعمدها يعاول جلب البلاد العربية لنحو
الوحدة . والاخر يدافع عن تنوع الاقطار وتضدها .
وينقسم « ابا اييلان » الى التيار الثاني وهذا طبيعي .

ولاني الاسباب براه في توتر علاقات العرب بالعرب
« . محاولا يكل ما اوتي من جهد ان ينقل الفكرة الشائعة
في دوائر الغرب التي ترى ان اسرائيل هي السبب الوحيد
لسوء العلاقات بين العرب والغرب » .

اما ثالث الاسباب ، فراه في العلاقة بين القومية
العربية واسرائيل « فمرة اخرى يعاول ان ينقل مايقال
من ان اسرائيل هي المستولاة في سبب المرارة التي
يعلمها العرب نحو البلاد المستولاة في نظريهم عن وجود
اسرائيل » (الفصل العاشر) .

ويبدو ما رأينا من تضطيق اليهود خلال قرون طويلة
لأولتهم وتضيقهم لكل من استطاعة من ذوي النفوذ في
العالم .

الم يكن للعرب جريمة فيما حاق بهم ؟ الحق ان
عليهم يقع عبء ، أي عبء فيما حاق بهم من لكية . لأن
تأخيرهم الطاري وما استتبع ذلك من سفك دماء ، أدى
الى استهانة أعدائهم بهم . حقيقة ان التأخر فرض عليهم
عبر قرون طويلة ، ولكن سكوتهم على ما فرض عليهم
من تأخر هو الذي جعلهم في مواجهة المستولية .

ومهما يكن من أمر فلقد افاد العرب عن هذا التحدي ،
اذ لا يمكن ان يتحول الانسان الا اذا جوبه بالتحدي ولعل
هذا مصداقا لقول الله سبحانه « ولولا دفع الله الناس
بعضهم بعضي لفشت الارض » .

تبه العرب والافوا من الصدمة واخلاوا يعملون على
ازالة آثارها « وما يحسم الفكرة ليس آلاف الجنود
والسلاح فقط ، برغم أهمية ذلك ، لكن أي جيش لا يمكن
ان يؤدي مهمته ان لم يكن مستندا الى مجتمع قوى وسلمي
« . ولكن الذي يحسم الفكرة مزيد من الثورة الاجتماعية
والثورة الثقافية والثورة الصناعية . والامة مجتمع
سليم معمرى متحضر » .

التي رزى بها العرب . ولم تتمكن من ان تعطي شك
السلوك والتصرف لجماعهم - وهمل تبقى او ترحل .
ويفسرها ان الصهيونيين جعلوا المدين عدلا اساسيا
لهم فارتكبوا ضدهم المذابح التي لا اثن احدا من العرب
ينساعا (الفصل السادس) .

ولا اعتقد اننا في حاجة لأن نقف كثيرا عند الفصل
السابع من الكتاب الذي يصفه على كتابي « السويس
سرى جدا » « ميشيل زحار » الاسرائيلي « دلاس
والسويس » « لهرمان فينر » الامريكي وكلا الكتابين
بروى قصة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وما سبقه من
تأمر بين لندن وباريس وتل ابيب . اذ افصحت هذه
القصة معروفة تماما حتى للبيضا . من الناس بعد اعترافات
« انطوني ناتج » الوزير البريطاني المتقبل ايام اسدول
احتجاجا عليه . وبعد ان قال « موشي ديان » الفئانه
الاسرائيلي في كتاب الله عن ذلك العدوان ، ان دور
اسرائيل فيه لم يزد عن دور ركام المراجعة يضع يده
على سيارة ليمسد التل .. او بمعنى آخر : القتال من
خلال الآخرين .

اما وقد وجدت اسرائيل ، فما هو حال ناسها ؟
يقدم لنا المؤلف لحة عن ذلك في خلاصة لرواية
« طوبى للظالمين » التي ألفها اية « موشي ديان » وقد
خرج المؤلف من عرضها بان اسرائيل دولة افانها ناس
لا علاقة لهم بالدين ولا يعترفون به بل انهم هاربون من
دينهم قيل ان شيء اخي « . ولم ان اسرائيل الامتداعيتها
وحجتها في احتلال فلسطين على أساس الدين
وانها ان كانت قد افصحت حجة يهود حول فكريه
انها تفتقر نوعا جديدا من الناس املتت اسم
نبات الصبار ليكون جنسا ممتازا اقل سائر النباتات
ان المؤلف تعزفها تعزيفا شديدا وتتمتها بالفصل
الدرج .

ان فكرة القوة والفرز والتوسع والعدوان عميقة
راسخة في الجذور في بناء مجتمع اسرائيل - والجبل الجديد
ينقد كل هذا ولكنه مصاب الى حد كبير بنفس الامراض .
لذا هو حائر (الفصل الرابع) .

ثم ماذا من الفلاح فيها ؟ الفلاح بالذات لانه عماد اية
امة والمتمسك بترابها ؟

لقد اخذ اليهود بنظام المستعمرة الزراعية العسكرية
في انحاءها . ولم تصظم اسرائيل يشكلة الارض بقدر
ما اصطلحت بتشكلة الماء . اذ تؤكد الابحاث ان اسرائيل
لديها حاليا ٥٠٠ ألف هكتار صالحة للزراعة لو اسكن
توفير الماء لها ، ولكن الماء لا يصل حاليا الا الى ١٣٠
الف هكتار . وكل المياه المتوافرة في اسرائيل الآن لاتزيد
على ١٣٠٠ مليون متر مكعب في السنة ومن هذه الكمية
يذهب ٦٠ مليون متر الى الصناعة و١٧٥ مليون متر
للاستهلاك العادي « . و ١٠٤٠ مليون متر للزراعة . فلذا
اضيف الى ذلك وجود الماء في أماكن وانصافه في أخرى
مما يكلف نقله ، اصبح سعر الماء مرتفعا في اسرائيل
حتى لتصل تكاليف ري الهكتار احيانا الى ١٧٥ جنيها

الورقة الأخيرة

مجلس الفكر

الكتاب هام وقيمته العلمية كبيرة ، ولكنى مع ذلك توقفت وأطلت الوقوف عند عبارة واحدة

فيه :

« .. الأدب المصرى ليس على غرار الأدب الغربى له خصائص أدبية أو مادية أو معنوية بل كان شيئاً مشاعاً ومباحاً ، فالتراث الثقافى مثله مثل الطبيعة بأنهارها وأشجارها ، لكل أن يرد المياء ويجنى الثمار .. »

وما أظن إلا أن مترجم الكتاب الدكتور ثروت عكاشة قد توقف مثل ، وأطال الوقوف ، عند هذه العبارة الهامة ، ذلك أن خيال كل مثقف وكل مثقف بالثقافة ، مهما غالى ، لا يمكن أن يتجاوز هذا الحلم الجميل السعيد ، يوم يصبح التراث الثقافى كالتبيعة بأنهارها وأشجارها ، لكل أن يرد المياء ويجنى الثمار ..

ترى هل تحقق هذا الحلم الجميل فى مصر القديمة حقاً كما يؤكد الأب دريوتون فى كتابه « المسرح المصرى القديم »

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ليست لدينا بالطبع أدلة كافية على صدق هذه الحقيقة ، بل ليست لدينا كذلك نصوص تكفى لتكوين فكرة صحيحة عن أدب مصر القديمة .. غير أن الآثار الفنية الجلييلة التى خلفها المصريون القدماء تقطع بأنها نتاج بيئة ثقافية راقية ، اذ لا يعقل أن يتفوق الفنان التشكيل والمعمارى وحدهما إلى هذا المستوى الرفيع دون أن تتفوق بقية الفنون وترقى ، ولا يعقل كذلك أن هذه الأعمال الفنية الممتازة كانت تقدم لقوم لا يحسنون تذوقها ولا يقدرونها حق قدرها ..

وسواء تحقق هذا الحلم الجميل فى مصر القديمة أم لم يتحقق ، فالذى لاشك فيه أنه أصبح ممكن التحقيق فى مصر الحديثة ، وعلى نطاق أوسع بكثير من أى عصر مضى .. فوسائل الاتصال بال جماهير والتأثير فيها ، من إذاعة وصحافة وتلفزيون ومسرح وكتاب وسميinema ومعارض وندوات ، أصبحت منتشرة فى كل مكان ، وهى تمارس نفوذها الجبار على الجماهير بالفعل وعلى أوسع نطاق .. فإذا أردنا مثلاً على مدى قوتها ونفوذها ، فما علينا إلا أن نتذكر الدعاية الضخمة والفضجة الهائلة التى ظلت هذه الأجهزة ، أو معظمها ، تحيط بها لعبة كرة القدم إلى أشهر قليلة مضت ، حتى أحدثت لدى غالبية الجماهير هوساً مرضياً بهذه اللعبة ، كان من العسير شفاؤه لولا النكسة الاليمية التى مرت بنافى يونيو الماضى ..

غير أن الهوس الكروى نفسه لا يخلو من دلالة طيبة ، فهو يؤكد شدة حاجة جماهيرنا العريضة إلى موضوع تتحمس له وتهتم به بعد اهتمامها بإحاجاتها المادية من مأكلاً وملبس .. ومن واجب

القائمين على أجهزة الثقافة أن يحسنوا استغلال هذه الحاجة ، ويشبعوها بما ينفع الأمة والفرد ، ولن يكون ذلك الا في صورة فن راق وثقافة جادة أصيلة ، تعيد خلق المواطن المصري خلقاً جديداً .

ولقد قلنا من قبل ، وسأظل أقولها دائماً ، ان من حسن حظنا أن جميع أجهزة الثقافة الجماهيرية قد أصبحت مملوكة لنا ، ولم تعد ، الا في القليل النادر ، في أيدي تجار يهيمهم الربح بأي وسيلة وأي ثمن ، ولو كان هذا الثمن انحراف مواطنيهم وتدهور بلادهم .. وخلقوا حياتنا الثقافية من هؤلاء التجار يعنى أجهزة الثقافة من الدخول في مباريات في الاسفاف ، والتهرج .. وها نحن قد تخلصنا كذلك من سبوم الثقافة ومغامرات الجواسيس والجنس التي كانت تنشرها الأفلام والحلقات الأمريكية المسلسلة ، فإذا لم ننتهز فرصة خلق السوق من العملة الرديئة ، لنعمل بكل طاقتنا على تقديم عملة جيدة عن طريق كل وسائل نشر الثقافة عملة ثقافية تبنى وتنفذ وتبقى . فلا نلوم بعد ذلك لا أنفسنا ..

فلنكف عن تدليل الجماهير ، ولنقل تماماً عن توريد نفقة تجار الحرب من أن الجمهور لا يستمع الا الاسفاف والتهرج ، فما أكثر ما كذبت جماهيرنا هذا الادعاء ، ومن قديم قال «سرافنتيز» :

« ليس مرجع الخطأ الى رغبة النظارة في مشاهدة هذا السخف ، ولكن مرجعه الى أولئك الذين لا يعرفون أن يقدموا لهم شيئاً سواه » .

وإذا كانت ظروف التكلفة تضطرنا الى الانتسفال العاجل بعلاج نتائجنا والعمل بكل وسيلة لازالة كل أثر للعدوان ، فيجب الا يصرفنا ذلك عن العمل بنفس الهمة والحساسية في مخططات طويلة الأمد ، لا ننتظر أن نجنى من وراءها نتائج سريعة ، بل قد لا تجنى ثمارها الا الأجيال القادمة من أبنائنا .

والثقافة من أهم الميادين التي تحتاج الى الخطط الطويلة الأمد ، بالإضافة الى المنجزات العاجلة والاسعافات السريعة . فهذه الخطط هي السبيل الوحيد للتخطيط ذات يوم قريب من هذه الاسعافات والضمانات الثقافية التي ما زالت تسرع الأمد الحالية على إنتاجنا الثقافي بصورة مقلقة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ووضع هذه الخطط الثقافية يتطلب تشكيل مجلس متفرغ من كبار مفكرينا يقوم ببحثها ودراستها ، ومراقبة تنفيذها والعمل على تخليص حياتنا الثقافية من كثير مما نشكو منه ولا نقوى على التخلص منه . ولابد أن توضع هذه الخطط على أساس عربي ، وبأحداً لو اشترك في وضعها والالتزام بها ممثلون لكافة الأقطار العربية ، فلم يعد من المقبول اليوم أن تجمع العرب قضية خطيرة كقضية فلسطين السلبية ، وتمتزج دماؤهم على أرضها ، ثم لا تجمعهم بعد ذلك وحدة فكرية متينة الأركان .

ولم يعد خافياً علينا الآن كذلك أننا لا نستطيع اجتذاب مفكرى العالم واقتناعهم بعدالة قضايانا عن طريق الدعاية السياسية المباشرة ، أو افتعال علاقات شخصية معهم ..

والطريق الوحيد المضمون لبلوغ هذه الغاية هو أن يكون لنا إنتاج فكرى وفنى عظيم يفرض نفسه على العالم ، ويدعو كبار مفكريه الى الاهتمام به ودراسته ومحاولة التعرف على منتجه .. وكل ذلك لا يمكن أن يتحقق الا على أساس خطط طويلة الأمد يضعها مفكرون رواد متفرغون .. ويراقبون تنفيذها ، ويظهرون حياتنا الثقافية والفنية من كثير من أدرانها وواجهاتها الزائفة .